بسم الله الرحمن الرحيم

ميقات الحج

العدد: ٥٩

شهر رجب ١٤٤٤ هـ

السنة: ٣٠

Issn : 2538 - 1733

مجلة علميّة تخصصيّة نصف سنويّة تعنى بالشؤون الثقافية والتّاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ

هيْئةُ التَّحْرِيـر:

الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني

الشيخ محمد القايني

الشيخ محمدهادي اليوسفي الغروي

الشيخ رضا المختاري

المُـديـرُ المسؤُول:

السيّد عبدالفـتّـاح نـوّاب

مُـديـرُ التحْـرِير:

الشيخ محمدعلي المقدادي

الفهرس:

مسألتان في فقه الحجّ :

١ - وظيفة المبطون في طواف الفريضة... ٥

٢ - حكم الحدث في الطواف الواجب ٩

الشيخ علي فاضل الصددي

﴿...وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا...﴾ (٢) ٢١

محسن الأسدي.

رسالة في فروض الحج والعمرة ٥١

إعداد وتصحيح : الشيخ هادي القبيسي العاملي

شخصيات من الحرمين الشريفين (٤٧) عقيل بن أبي طالب الهاشمي (٢) ٨٣

محمد سليمان

«تعريف بكتاب» طريق الحجّ الأحسائي (٤) ١٢٧

إعداد: إدارة المجلة

ملخّصات البحوث بالانجليزية ٢٤٧

ملاحظات:

يرجى من العلماء والمحققين الأفاضل الراغبين في التعاون مع المجلة مراعاة النقاط التالية:

١. ذكر المصادر والهوامش بدقّة.

٢. أن تكون المقالة مكتوبة على الآلة الكاتبة إن أمكن أو أن تكتب بخط اليد على وجه واحد من كلّ ورقة.

٣. أن تكون المادّة المرسلة للنشر في المجلة غير منشورة سابقاً وغير مرسلة للنشر إلى مجلة أخرى.

٤. تقوم المجلة بدراسة وتقييم البحوث والدراسات المقدمة إليها، ولها الحقّ في صياغتها وتعديلها بما تراه مناسباً مع مراعاة المضمون والمعنى.

٥. يعتمد ترتيب البحوث والمقالات في المجلة على أسس فنيّة.

٦. تعتذر المجلة عن إعادة المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

٧. المقالات والبحوث التي تنشر على صفحات المجلة تمثّل وجهات نظر كتّابها و آرائهم.

٨. ترسل جميع البحوث والمقالات على عنوان المجلة.

٩. ترحّب إدارة التحرير في مجلة «**ميقات الحج**» بملاحظات القرّاء الكرام ومقترحاتهم.

مسألتان في فقه الحجّ

(١) وظيفة المبطون في طواف الفريضة

الشيخ علي فاضل الصددي

مقدّمة:

من شرائط صحّة طواف الفريضة ـ كما هو واضح ـ الطهارة من الحدث. ثمّ إن مقتضى القاعدة في المبطون هو كفاية الطهارة العذريّة ـ كما هو الحكم في مثل المسلوس والمجبور ـ، إلّا أنّه لا خلاف بين الأصحاب ـ كما في المدارك ـ في الاكتفاء بالطواف عن المبطون[١]،[٢]، وفي كشف اللثام ـ بعد تعرّضه لحكم المغمى عليه ـ قال: «نعم أطلقوا النيابة عمّن لا يستمسك الطهارة».[٣]

---

١ . انظر: مدارك الأحكام٨: ١٥٥، ١٥٦.

٢ . وقد اكتفى بالاستنابة عن المبطون ـ وفاقاً للمشهور وللروايات ـ من المعاصرين سماحة المرجع الوحيد الخراسانيّ دامت بركاته، انظر: مناسك الحجّ ـ المسألة ٢٩٣ـ، وسماحة المرجع الشيخ بهجتﷺ، انظر: مناسك الحجّ (فارسي): ١١٦، ١١٧ـ المسألة ٤٧٣ـ.

٣ . كشف اللثام٥: ١٦٩.

قال في الجواهر: «ولعلّ الفارق[يعني بين المبطون فيطاف عنه، وبين مثل المسلوس والمجبور فيطوف بطهارة عذريّة] النصّ».[1]

روايات المسألة:

واستدلّوا لذلك بجملة روايات،[2] منها: صحيحة مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «الْـمَبْطُونُ وَالْكَسِيرُ يُطَافُ عَنْهُمَا، وَيُرْمَى عَنْهُمَا».[3] ومنها: صحيحته الأخرى عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: «الْكَسِيرُ يُحْمَلُ فَيُطَافُ بِهِ، وَالْـمَبْطُونُ يُرْمَى وَيُطَافُ عَنْهُ، وَيُصَلَّى عَنْهُ».[4] ومنها: صحيحته الثالثة عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «الْكَسِيرُ يُحْمَلُ فَيَرْمِي الْجِمَارَ، وَالْـمَبْطُونُ يُرْمَى عَنْهُ، وَيُصَلَّى عَنْهُ».[5] ومنها: صحيحة حَبِيبٍ الْخَثْعَمِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنْ يُطَافَ عَنِ الْـمَبْطُونِ وَالْكَسِير».[6]

تحديد المبطون في الكلمات:

وقد أخذوا في الكلمات بإطلاق عنوان (المبطون) وأنّ من لا يستمسك بطنه وطهارته بقدر الطواف يُطاف عنه،[7] ولكنّ سيّد الأعاظم قدس سره ـ وتبعه بعض تلامذته،[8] ـ

١ . جواهر الكلام١٩: ٢٧١.

٢ . وهي النصّ المشار إليه في الجواهر.

٣ . وسائل الشيعة١٣: ٣٩٣ بـ ٤٩ من أبواب الطواف ح٣، ٤، ٨.

٤ . وسائل الشيعة١٣: ٣٩٤ بـ ٤٩ من أبواب الطواف ح٦.

٥ . وسائل الشيعة١٣: ٣٩٤ بـ ٤٩ من أبواب الطواف ح٧.

٦ . وسائل الشيعة١٣: ٣٩٤ ب٤٩ من أبواب الطواف ح٥.

٧ . انظر: مدارك الأحكام٧: ١٢٩، ٨: ١٥٦، كشف اللثام٥: ١٦٨، ١٦٩، ٥: ٤٣٥، ٤٣٦، الحدائق الناضرة١٦: ٢٤٤، ٢٤٥، مستند الشيعة١٢: ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، جواهر الكلام١٧: ٣٨٣، ٣٨٤.

٨ . انظر: تعاليق مبسوطة١٠: ٣٠٥، ٣٥٩.

قد حمله على صورة ما إذا عجز عن المباشرة؛ وذلك لقرائن ثلاث:

الأولى: عطف المبطون على الكسير ـ بعد عدم احتمال أن يستنيب مطلق الكسير ولو كان متمكّناً من الطواف لمجرد كسر يده مثلاً ـ.

والثانية: عطف الرمي على الطواف ـ مع أنّ المبطونيّة لا تستوجب الاستنابة في الرمي بعد عدم اعتبار الطهارة فيه ـ، فالمراد بالمبطون في هذه الروايات صنف خاصّ، وهو الّذي لا يتمكّن من مباشرة الرمي بنفسه ولا دخول المسجد ليصلّي ويطوف؛ لفرط خروج الكثافات منه، ولربما تستوجب تلويث المسجد الحرام.

والثالثة: اكتفاء المبطون بصلاة غيره عنه صلاةَ الطواف، والحال أنّ المبطون يصلّي بنفسه مع طهارته العذريّة، لا أنّه يصلّى عنه.[1]

المختار و وجهه:

أقول: إنّ من لا يستمسك بطنه وطهارته بقدر الطواف ـ وهو المبطون في الكلمات ـ فوظيفته وظيفة المسلوس والمجبور من كفاية الطهارة العذريّة لا لما أفاده سيّد الأعاظمِ‌ قدس‌سره من نظر المستفيضة إلى صنف خاصّ من المبطون، وهو العاجز عن مباشرة الطواف بنفسه، بل لأنّ المستفيضة أجنبيّة عن مسألتنا، وأنّ عنوان (المبطون) فيها لا يراد به معناه الاصطلاحي في بابي الطهارة والصلاة، بل المراد منه في المستفيضة معناه اللغوي والعرفيّ، وهو الّذي يشتكي بطنه،[2] ورجل مبطون: في بطنه داء،[3] ورجل مبطون: قد بُطِنَ، وبه البَطَن،[4] وقد بطن فلان: إذا اعتلّ بطنه، وهو مبطون.. أي

---

١ . انظر: مستند الناسك في شرح المناسك ـ تقرير بحث الإمام الخوئيّ قدس‌سره بقلم الشهيد الشيخ مرتضى البروجرديّ قدس‌سره ـ ١: ٣٢٢، ٣٢٣.

٢ . المغرب في ترتيب المعرب ـ مادّة (ب ط ن) ـ: ٤٥.

٣ . جمهرة اللغة: ٣٨٦.

٤ . العين: ٢٣١.

عليـل البطـن،[1] و قـد يدخل فيـه الفرد الّذي ذكره السيّدﷺ. ولا شـاهد عـلى إرادة المعنى الاصطلاحـيّ، كـما أنّ تناول عنـوان (المبطون) بهذا المعنـى لأفراده فرع إحـراز إرادة أصل المعنـى، وأنّ اللفظ مستعمل فيه.

بـل الشـاهد والقرينـة ـ بعـد أصـل اللغـة ـ تـدلّ عـلى إرادة المعنـى العـرفيّ للمبطون، وهـي عطـف الرمي على الطـواف في الصحيحتـين الأوليين لابن عـمّار؛ فإنّـه لا يُمنع ولا فـردٌ من أفـراد المبطـون بالمعنى الاصطلاحيّ مـن مباشرة الرمـي حتى لو كانـت المبطونيّة قـد بلغـت إلى حـدٍّ مفـرط في خـروج الكثافات مـا لم ينتـهِ إلى المنع مـن الخـروج أو ملاقاة الآخريـن أو حرجيّتهـما، بخـلاف مـا إذا أريـد المعنى العـرفيّ للمبطـون فإنّه كـما يَمنع من الرمـي يَمنـع مـن الطـواف أو تعود مبـاشرة الرمـي والطواف منـه حرجيّةً.

كـما أنّ عطف الكسـير عـلى المبطون في صحيحـة ابن عمّار الأولى يشـهد ـ هـو الآخر ـ عـلى إرادة المعنـى العـرفيّ للمبطون، وقـد اضطر سـيّد الأعاظمﷺ إلى حمـل المبطون بمعناه الاصطلاحـيّ ـ لـو كان مـراداً ـ على صنف نادر يُستهجن حمـل المطلق عليه.

كـما أنّ سـقوط مباشرة المبطـون لصـلاة الطـواف واكتفـاءه بصـلاة الغـير عنـه في صحيحتـي ابـن عـمّار الثانيـة والثالثـة ـ رغـم أنّ المبطـون وإن بلـغ بـه البَطَـن الشرعيّ ما بلـغ فوظيفتـه تعـيّن مبـاشرة الصلاة بطهارتـه العذريّـة ـ (هذا الأمر)، ـ شـاهد عـلى إرادة المبطـون بمعنـاه اللغـويّ لا الاصطلاحـي ولـو في الصنـف المتقـدّم ذكـره، ولـو احتملنا خصوصيّـة لصـلاة الطـواف ـ ولـو لأنّ موضع فعلها المسـجد الحـرام ـ فيبقى هـذا الأمر صالحـاً للتأييـد عـلى إرادة المبطـون بمعنـاه العرفيّ.

فهـذه الأمـور الّتـي اتّخذهـا سـيّد الأعاظـمﷺ شـواهد عـلى إرادة صنـف مـن المعنـى الاصطلاحـي للمبطـون هـي أقـرب في الشـهادة عـلى إرادة المعنـى العـرفي للمبطـون.

---

١ . أساس البلاغة: ٦٥.

وقد أصاب الشيخ الحرّ قدس سره عندما عَنْوَن الباب التاسع والأربعين من أبواب الطواف- والّذي ضمّنه الروايات السابقة- (نعم أصاب عندما عَنْوَنَه) بـ(باب جواز الطواف عن المريض الّذي لا يمكن أن يطاف به كالمبطون).

المحصّلة:

فتحصّل أنّ وظيفة المبطون بمعناه الاصطلاحيّ هو مباشرة الطواف بطهارته العذريّة بمقتضى القاعدة ـ بعد أن كانت الروايات أجنبيّة عنه ـ.

* * *

(٢) حكم الحدث في الطواف الواجب

مقدّمة:

لا كلام في شرطيّة الطهارة من الحدث في الطواف الواجب؛ ومن الروايات على الشرطيّة صحيحة محمّد بن مسلم قال: سألت أحدهما عليهما السلام، عن رجل طاف طواف الفريضة وهو على غير طهور (طهر)، قال: يتوضّأ، ويعيد طوافه...[١]

مسألتنا:

ولكن وقع الكلام فيما لو أحدث في أثناء الطواف فالمعروف هو التفصيل بين ما إذا أكمل النصف فلا يعيد، بل يتطّهر، ويبني على السابق، وبين ما إذا لم يكمل النصف فيعيد من أوله، وفي المدارك: «هذا الحكم مقطوع به في كلام الأصحاب،[٢] وقد

١ . وسائل الشيعة١٣: ٣٧٤ ب٣٨ من أبواب الطواف ح٣.

٢ . مدارك الأحكام٨: ١٥٦.

يظهـر من المنتهى دعـواه الإجماع عـلى ذلك؛ لتعرّضه لخلاف الشـافعيّ خاصّـة في ذلك.[1]

ولكـن في الفقيـه: «وروى حريـز عـن محمّـد بـن مسـلم قـال: سـألت أبا عبـد الله عليه السلام عـن امـرأة طافـت ثلاثـة أطـواف أو أقـلّ مـن ذلـك ثـمّ رأت دمـاً، فقـال: تحفـظ مكانها فـإذا طهـرت طافـت منـه واعتـدّت بـما مضى». و روى العـلاء عـن محمّد بن مسـلم عن أحدهمـا عليهما السلام، مثله.

قـال مصنّـف هـذا الكتـاب قدس سره: وبهـذا الحديـث أفتـي...؛ [لأنّـه] رخصـة ورحمـة.[2] وقولـه عليه السلام: (طافـت منـه) يعنـي مـن المكان الّـذي حفظتـه.

وهذا من الصدوق قدس سره قد يمثّل خلافاً منه في مسألتنا.

إلّا أنّ سـيّد الأعاظـم قدس سره أجـاب عـن ذلـك بـأنّ مـا ذكـره الصـدوق قدس سره حكـم خاصّ بالحيـض؛ فـإنّ أقـل الحيض ثلاثـة أيّام، فيتحقّـق الفصل الطويل بـين الأشـواط، وإذا دلّ دليـل خـاصٌّ على الصحّـة وكفاية الإتيـان بالباقـي نقتصر على مـورد النـصّ، ولا نتعدّى إلى غـيره، وهـو الحـدث في نفسـه مع قطـع النظر عـن مانع آخـر كالفصل الطويـل وعدم التـوالي بين الأشـواط.[3]

والأمـر كـما أفاده قدس سره، فلـم يظهر التزام الصدوق قدس سره بالخلاف في مسـألتنا، بـل قد التزم قدس سره في المقنـع حتـى في الحائـض بالتفصيـل المعـروف، ونَسَـبَ مـا أفتى بـه في الفقيـه في حقّها إلى الروايـة، فقـال: «وإذا حاضـت المـرأة وهـي في الطـواف بالبيـت أو بالصّفـا والمـروة، وجـاوزت النّصـف، فلتعلم عـلى الموضع الّذي بلغـت، (فإذا طهرت رجعـت فأتمّت بقيّة طوافهـا مـن الموضـع الّذي علّمتـه)، وإن هي قطعت طوافهـا في أقلّ مـن النّصف، فعليها

1 . انظر: منتهى المطلب10، 360، 361.

2 . من لا يحضره الفقيه2: 383.

3 . انظر: المعتمد في شرح المناسك4، موسوعة الإمام الخوئيّ29 قدس سره: 6، مستند الناسك في شرح المناسك1(3): 295.

أن تستأنف الطواف من أوّله. وروي أنّها إن كانت طافت ثلاثة أشواط أو أقلّ، ثمّ رأت الدّم حفظت مكانها، فإذا طهرت طافت واعتدّت بما مضى».[1]

نعم، لو كان مدرك تفصيله فيها هو المرسلة الآتية فيردّ عليه ـ مضافاً إلى كون موردها الحدث الأصغر؛ للأمر فيها بالوضوء ـ أنّها ناظرة إلى معالجة مانع الحدث، لا ما يتوقّر عليه وعلى غيره كفوات الموالاة سيما مع الفصل الطويل كثلاثة الحيض، فضلاً عمّا هو غالب فيه، وهو الستّة أو السبعة أيام.

مقتضى القاعدة:

والبحث في مسألتنا يقع تارةً على مقتضى القاعدة، وأخرى في ضوء روايات المسألة.

أما على مقتضى القاعدة فقد أفاد سيّد الأعاظم‌ﷺ أنّ المانعيّة شيء، والقاطعيّة شيء آخر، فإنّا لو كنّا نحن وما دلّ على اشتراط الصلاة بالطهارة كقوله‌عليه السلام: «لا صلاة إلّا بطهور» لم يكد يستفاد منه إلّا لزوم إيقاع أجزائها من التكبيرة والقراءة والركوع والسجود ونحوها مع الطهارة، وأما الأكوان المتخلِّلة بينها فلا مقتضي لمراعاة الطهارة فيها؛ فإنّ المكلّف وإن كان بعدُ في الصلاة ومتشاغلاً بها ولم يخرج عنها إلّا بالتسليم إلّا أنّ تلك الأكوان بأنفسها ليست من الصلاة؛ إذ هي كسائر المركبات ليست إلّا نفس الأجزاء لا غيرها. وعليه فلا مانع لمن أحدث في الأثناء أن يجدد الوضوء ـ ما لم يستلزم محذوراً آخر من الفصل الطويل ونحوه ـ، ثمّ يكمل من حيث أحدث لعدم استيجابه قدحاً في حصول الإجزاء بالأسر مع الطهارة، غايته أنّ بعضها بالطهارة السابقة وبعضها الآخر بالطهارة اللاحقة، ولا ضير فيه بالضرورة.

إلّا أنّ الّذي يمنعنا عن الالتزام بذلك ما دلّ من النصوص على قاطعيّة الحدث ـ زائداً على شرطية الطهارة ـ الكاشفة عن اعتبار الطهارة حتى في الأكوان المتخلِّلة،

---

١ . المقنع: ٢٦٤، ٢٦٥.

ومـن ثـمّ لـو خلا كـونٌ منهـا انقطعت الهيئـة الاتصاليـة وسـقطت الأجـزاء اللاحقة عن صلاحيّـة الانضـام بالأجزاء السـابقة.

ومـن الـضروريّ عـدم ورود مثـل هـذا الدليـل في بـاب الطـواف، بعد وضـوح عدم تأليـف حقيقتـه إلّا مـن مجرد السير حـول الكعبة المشـتمل عـلى الأشـواط السـبعة، وأمّا الأكـوان المتخلّلـة مـا بين الأشـواط فلا ارتبـاط لها بالطـواف، وعليه فلا مانـع لمن أحدث أن يمكـث أو يخـرج عـن المطـاف مـن حيـث أحـدث، ويعـود بعدمـا جـدّد الوضـوء إلى مكانه ويسـتمر في سـيره، بحيـث لا تخلو أيّة قطعة من سـيره عـن الطهارة، غايـة الأمر أنّ بعضهـا بطهارة سـابقة والبعض الآخر لاحقة، [وهـو] غير قادح في الصحّة بالضرورة، وقـد عرفـت عدم اعتبـار القاطعيّـة في المقام فلا منـاص إذاً مـن الحكـم بالصحّة بمقتضى القاعـدة، ولا يـكاد يتنـافى ذلك مـع شرطية الطهـارة بوجه.[1]

ومنـه يعـرف ما في الاسـتدلال،[2] عـلى البطلان ولـزوم الاسـتئناف بما دلّ عـلى اعتبار الطهـارة في الطـواف كصحيحـة ابـن مسـلم ـ الّتي أوردناهـا في المقدّمـة ـ، وأنّ المشروط عـدمٌ عنـد عدم شرطـه، وقد خرجنا عن ذلـك في فرض مـا إذا أحدث بعد إكمال الشـوط الرابـع؛ للدليل.

وقـد أورد بعـض الأعـلامقدس سره،[3] ـ عـلى مـا أفـاده سـيّد الأعاظـمقدس سره ـ بعـدّة إيـرادات، وخلـص منهـا إلى أنّ مقتـضى القاعـدة هـو البطـلان:

الإيـراد الأوّل: إنّ الشرطيّـة أمـر، والمانعيّة أمـر آخر، وأنّ كون الـشيء شرطاً لا يلازمه كـون عدمـه مانعـاً، وإنّ ظاهر اعتبار الطهـارة في الصـلاة في مثل قولـهعليه السلام: «لا صلاة إلّا بطهور» هي الشـرطيّة دون المانعيّة.

---

١ . مستند الناسك في شرح المناسك١ (٣): ٢٩٦، ٢٩٧.

٢ . انظر: دليل الناسك للإمام الحكيمقدس سره: ٢٤٤.

٣ . انظر: تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (ك. الحجّ ٤): ٣١٢- ٣١٦.

وفيه: أنّ شرطيّة شيءٍ وإن كانت لا تلازم مانعيّة عدمه بحيث يكون الشيء شرطاً، ويكون عدمه مانعاً في عالم الاعتبار، ولكن مآل الشرطيّة مرّة إلى المانعيّة، كما في اعتبار الطهارة في الطواف بعد إكمال نصفه بدلالة مرسلة ابن مسلم، ومآل الشرطية مرّة أخرى إلى القاطعيّة، كما في نفس اعتبار الطهارة في الطواف قبل إكمال نصفه بدلالة نفس المرسلة.

الإيراد الثاني: النقض بما لو لبس المصلّي ما لا يؤكل لحمه أو شيئاً نجساً ممّا تتمّ فيه الصلاة منفرداً أو استدبر القبلة في بعض تلك الأكوان، فإنّه لا يجوز بوجهٍ الالتزام بعدم كون شيء من ذلك قادحاً في الصحة؛ لعدم وقوع شيء من أجزاء الصلاة مع المانع.

وفيه: أنّ الكلام فيما لو خلّينا ودليل الشرطيّة.

الإيراد الثالث: ـ وهو عمدة الإيرادات لديه‏ﭭ ـ أنّ الأكوان المتخلّلة غير خارجة عن الصلاة؛ فإنّ الظاهر هو أنّ المصلّي بالنيّة وتكبيرة الإحرام يدخل في الإحرام الصغير المتحقّق في الصلاة، ويخرج من الإحرام بالتسليم، فالمصلّي في جميع الحالات يكون في الصّلاة ومحرماً بالإحرام الصّلاتيّ، فإذا قام الدليل على شرطيّة الطهارة في الصلاة أو على مانعيّة لبس غير المأكول فيها فمقتضاه عدم وقوعها صحيحة مع فقدان الشرط ولو في بعض تلك الأكوان المتخلّلة، ولا يحتاج إلى قيام دليل آخر، وهكذا بالنسبة إلى وجود المانع، ويدلّ عليه أنّ المتشرّعة لا يرون المصلّي في تلك الأكوان خارجا عن الصلاة بحيث يتحقّق الخروج والدخول منه مرّة بعد أخرى، والظاهر أنّ الطواف أيضاً مثل الصلاة فإنّ حقيقته وإن كانت عبارة عن الدوران والحركة إلّا أنّه ليس بحيث إذا وقف في أثنائه للاستراحة يسيراً أو لاستلام الحَجَر ـ الّذي هو مستحب ـ يصدق عليه أنّه قد خرج عن الطواف، بل هو في مثل الحالتين مشتغل بالطواف غير خارج عنه، فالدليل على اعتبار الطهارة في الطواف يدلّ على اعتبارها في جميع الحالات ومقتضاه البطلان مع عروض الحدث في الأثناء.

وفيه: ـ مضافاً إلى ما أفاده سيّد الأعاظم١ في كتاب الصلاة من ضعف أسناد ما دلّ من الأخبار على أنّ تحريم الصلاة التكبير، وتحليلها التسليم،[1] وأنّه لا يستفاد منها أكثر من كون الصلاة عملاً واحداً مركّباً من سلسلة أجزاء معيّنة، وأمّا تأليفها حتّى من الأكوان المتخلّلة بحيث يكون وقوع الحدث فيها مخلًّا بها فهو أوّل الكلام، والنصوص المزبورة لا تدلّ عليه بوجه،[2] وبموجبه فلا ملازمة بين عدم كون الأكوان المتخلّلة من الصلاة وبين خروج المصلّي حينها من الصلاة، وأنّه يخرج ويدخل مرّة بعد أخرى ـ، إنّ الكلام ـ كما تقدّم ـ فيما لو خلّينا ودليل الشرطية، ومعه فلا محلّ للاستدلال لدخول الأكوان في الصلاة بأنّ المتشرّعة لا يرون المصلّي في تلك الأكوان خارجاً عن الصلاة.

فتحصّل ممّا تقدّم: إنّ مقتضى القاعدة في ظلّ دليل الشرطيّة ـ أن في باب الصلاة أو الطواف ـ هو عدم بطلانهما بالحدث في أثنائهما، ولو دلّ دليل على قاطعيّة الحدث للصلاة، فالقاعدة في باب الطواف هو عدمها، وعليه فالتزام بطلان الطواف بالحدث قبل إكمال النصف هو المحتاج إلى دليل.

ولكنّ المستفاد من قولهعليه السلام: لا بأس أن تقضي المناسك كلّها على غير وضوء إلّا الطواف؛ فإنّ فيه صلاة...[3] أنّ اعتبار الطهارة من الحدث في الطواف نظير اعتبارها في الصلاة، فمقتضى القاعدة هو البطلان والقاطعيّة، فنحتاج إلى دليل على عدم بطلان الطواف بالحدث فيه بعد إتمام النصف، كما نحتاج إليه لو سلّمنا بأنّ المتشرّعة لا يرون

---

١ . انظر: وسائل الشيعة١: ٣٦٦ بـ١ من أبواب الوضوء ح٤، ٦، الوسائل٦: ٤١٧، ٤١٨ بـ١ من أبواب التسليم١٠، ١١، ١٢، ١٣، الوسائل٧: ٢٨٦ بـ٢٩ من أبواب قواطع الصلاة ح٢، مستدرك الوسائل٥: ٢١ بـ١ من أبواب التسليم ح١. انظر وجه تضعيفها عندهقدس سره: مستند العروة الوثقى (ك. الصلاة٥)= موسوعة الإمام الخوئيّ١٥قدس سره: ٢٩٥- ٢٩٩.

٢ . انظر: مستند العروة الوثقى (ك. الصلاة٥)= موسوعة الإمام الخوئي١٥قدس سره: ٤١١، ٤١٢.

٣ . وسائل الشيعة١٣: ٣٧٤ بـ٣٨ من أبواب الطواف ح١.

الطائف خارجاً عن الطواف ـ الّذي حقيقته عبارة عن الدوران والحركة ـ إذا وقف في أثنائه للاستراحة يسيراً أو لاستلام الحَجَر، ولا يصدق عليه أنّه قد خرج عن الطواف.

رواية المسألة:

ـ وبعد أن فرغنا من حكم مسألتنا بمقتضى القاعدة ـ نأخذ في تناول حكم المسألة في ظل رواياتها الخاصّة، فقد استدلّ لبطلان الطواف لو أحدث قبل إكمال النصف بمرسلة ابن أبي عمير في نقل الكلينيّ ﷺ، ومرسلة جميل في نقل الشيخ ﷺ ـ وقد رواها عنه ابن أبي عمير ـ عن أحدهما، في الرجل يحدث في طواف الفريضة وقد طاف بعضه، قال: يخرج ويتوضّأ، فإن كان جاز النصف بنى على طوافه، وإن كان أقلّ من النصف أعاد الطواف،[1] وهما رواية واحدة.

وهي وإن كانت صريحة الدلالة على بطلان الطواف بالحدث في أثنائه قبل تجاوز النصف إلّا أنّها مرسلة، ولا حجّيّة للمرسل.

وثمّة محاولات للتغلّب على هذا المشكل:

الأولى: إنّ المرسل هو ابن أبي عمير ـ الّذي نقل في الكلمات عمل الأصحاب بمراسيله، ولا أقلّ من حكاية المعتبر الآتية ـ.

ويتوجّه عليها ما قاله المحقّق ﷺ في المعتبر: «ولو قال: مراسيل ابن أبي عمير يعمل بها الأصحاب، منعنا ذلك؛ لأنّ في رجاله من طعن الأصحاب فيه، وإذا أرسل احتمل أن يكون الراوي أحدهم»،[2] على أنّها مرسلة جميل لا ابن أبي عمير ـ بعد ما عرفت من وحدة المرسلتين ـ.

ومنه يعرف الجواب عن محاولة تصحيح الرواية بكبرى أنّه لا يرسل إلّا عن ثقة ـ

---

١. وسائل الشيعة ١٣: ٣٧٨ ب ٤٠ من أبواب الطواف ح ١.

٢. المعتبر ١: ١٦٥.

كما قاله الشيخ‏ﷺ في العدّة ـ،[1] وأنّ المرسل ليس ابن أبي عمير.

المحاولة الثانية: وهي تصحيحها بفكرة الإجماع على تصحيح ما يصحّ عن جماعة ـ في كلام الكشّيّ‏ـ،[2] أحدهم جميل، وعلى تقدير تعدّد الروايتين فقد صحّت رواية مقامنا عن ابن أبي عمير أيضاً.

ولكن من محتملات هذه العبارة بنحوٍ معتدٍّ به هو الإجماع على تصديقهم؛ إذ هو المعطوف على التصحيح في عبارة الكشّيّ في حقّ الستة الأواخر كما الستة الأواسط، فلا تدلّ على اعتبار مرسلاتهم أو الروايات الّتي ينقلها هؤلاء عن المجاهيل والضعفاء، والبحث طويل.

المحاولة الثالثة: أنّ الأصحاب أو المشهور قد عملوا بهذه الرواية، واستنادهم إلى هذه الرواية والفتوى على طبقها ـ خصوصاً مع عدم نقل خلافٍ ولو كان شاذّاً نادراً ـ يجبر الضعف، وتصير الرواية حجّة معتبرة.[3]

وفيه: أنّه من المحتمل قويّاً ـ حتى لو تجاوزنا صغرى وكبرى الانجبار ـ أن يكون وجه العمل بها ما ذكره الكشّيّ من الإجماع، وهي المحاولة السابقة، وقد عرفت ما فيها.

وبعد أن لم تفلح أيّ محاولة في معاضدة المرسلة ورفع ضعفها ـ سلك سيّد الأعاظم‏ طريقاً آخر صحّح به ما هو مشهور ومعروف من بطلان الطواف بالحدث قبل إكمال النصف، وخرج به عن مقتضى القاعدة لديه ـ وهو عدم البطلان والقاطعيّة، كما تقدّم عنه ـ في هذا الفرض، فقال‏ مبيّناً هذا الطريق:

«إنّ حدوث الحيض أثناء الطّواف وإن كان نادراً جدّاً ولكن مع ذلك كثر السؤال

١ . عدّة الأصول١: ١٥٤.

٢ . انظر: اختيار معرفة الرجال٢: ٨٣٠ (١٠٥٠).

٣ . انظر: تفصيل الشريعة (ك. الحجّ٤): ٣١٥.

عنـه في الروايـات، وأمّـا صدور الحـدث خصوصـاً مـن المريض والشـيخ والضعيف كثيراً مـا يتحقـق في الخارج لا سـيما عند الزحـام، ولا سـيما أنّ الطّواف يسـتوعب زمانـاً كثيراً، [هـذا كلّـه مقدّمـة أولى]، ومـع ذلك لم ينسـب القـول بالصحّـة إلى أحد مـن الأصحاب، بل تسـالموا على البطلان وأرسـلوه إرسـال المسلمات، [وهذه مقدّمة ثانيـة]، وهذا يوجب الوثـوق بصدور الحكـم بالبطلان من الأئمـةعليهم السلام، ولو لم يكن الحكم به صـادراً منهمعليهم السلام لخالـف بعـض العلماء ولـو شـاذّاً، فمن تسـالم الأصحاب وعـدم وقوع الخـلاف من أحد ـ مـع أنّ المسـألة مما يكثر الابتلاء بهـ[ـا] ـ نستكشـف الحكـم بالبطلان، فما هـو المعروف هـو الصحيح».[1]

وقد صافقه على ذلك أحد أعاظم تلامذتهقدس سره.[2]

وأورد عليـه أحد الأعلامقدس سره أوّلاً: بمنع المقدّمة الأولى، وأنّ عـروض الحيـض ـ كـما الحـدث من المسـائل المبتـلى بهـا ـ. **وثانياً**: بـأنّ وصول الحكـم من ناحيـة الأئمة: هـل يكـون من غـير طريـق الروايـة والسـؤال والجـواب، أو البيـان الابتدائـيّ، أو يكون كسـائر الأحـكام مـن طريـق الرّوايـة؟ لا مجـال لادّعـاء الأوّل بوجـه، وفي الفـرض الثاني يسـأل عنـه، ما الوجـه في عـدم نقـل الروايات وعـدم وصولهـا إلينا؟

فالـلازم أن يقـال: إمّـا بدلالة الروايـات الدالّة على أصـل شرطيّة الطهـارة في الطواف عـلى البطـلان في هـذا الفـرض، وإمّـا بصـدور المرسـلة المتقدّمة عنهـم الدالّـة عـلى فتاوى الأصحـاب، وعـلى أيّ تقدير يثبـت المطلوب.[3]

ويلاحـظ عـلى مـا أورده أوّلاً: أنّـه يكفـي السـيّد الخوئـيّقدس سره ليسـتطرق إلى النتيجـة في كلامـه ـ بعـد الفـراغ مـن كـون عـروض الحيـض ـ هـو الآخر ـ مـن المسـائل المبتـلى بهـا ـ

---

١ . المعتمد في شرح المناسك٤ = موسوعة الإمام الخوئيّقدس سره ٢٩ : ٨.

٢ . التهذيب في مناسك العمرة والحجّ للميرزا جواد التبريزيّقدس سره ٣ : ١١.

٣ . انظر: تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (ك. الحجّ ٤): ٣١٦.

(نعم يكفيهقدس سره) غلبة الحدث، وعموم الابتلاء به للرجال والنساء، كما لا يخفى، ولعلّهقدس سره يريد بندرة عروض الحيض الندرة بالقياس إلى الحدث لا ندرته في نفسه.

ويلاحظ على ما أورده ثانياً: بأنّ وصول الحكم من ناحية الأئمة: لا ينحصر في طريق الرواية والسؤال والجواب، أو البيان الابتدائيّ، وبيابك الإجماع كدليل على ثبوت رأي الإمامعليه السلام، فما هو المبرّر لحجّيّته وراء الرواية بأنحائها سوى كشفه عن دليل معتبر، كالارتكاز المتشرّعيّ، وأنّ أصحاب الأئمّةعليهم السلام كانوا يعيشون اتجاه بعض المسائل والموضوعات واقعاً تشريعياً لا غبش فيه، فالإجماع يكشف عن رأي الإمامعليه السلام بتوسّط دليل معتبر، كما برّره بذلك الأعلام العراقيّ والخمينيّ والصدرقدس سرهم،[1] وما التسالم في بعض صوره إلّا نسخة من نسخ الإجماع، وبموجب هذا لا ملزم للبناء على تماميّة دليل الشرطيّة على البطلان والقاطعيّة أو على صدور المرسلة عن الإمامعليه السلام.

فتحصّل: أنّ ما سلكه السيّد الخوئيّقدس سره لإثبات بطلان الطواف بالحدث في أثنائه قبل إكمال النصف ـ وفاقاً للمشهور والمعروف ـ متينٌ ووجيه.

ولكن بعد ما خلصنا إلى أنّ مقتضى القاعدة في مسألتنا هو البطلان والقاطعيّة، فيكون ما صار إليه المشهور من بطلان الطواف بالحدث في أثنائه قبل إكمال النصف، مطابقاً للقاعدة، هذا.

والمخالف للقاعدة هو صحّة الطواف في فرض ما إذا اتفق الحدث في أثنائه بعد إكمال النصف، فنسخّر نفس التسالم ـ الّذي تقدّم ـ لإثبات الصحّة في هذا الفرض؛ فإنّ للتسالم دوراً في إثبات الصحّة في الفرض الثاني في مقابل البطلان لو كان هو مقتضى القاعدة ـ كما هو المتّجه ـ، كما كان له دور في إثبات البطلان في الفرض الأوّل في مقابل البطلان لو كان هو مقتضى القاعدة ـ كما عليه سيّد الأعاظمقدس سره ـ.

---

١. انظر: نهاية الأفكار ٣ (ق ١): ٩٧، أنوار الهداية للإمام الخمينيّقدس سره ١: ٢٥٨، دروس في علم الأصول ـ مبحث الإجماع ـ للشهيد السيّد محمّد باقر الصدرقدس سره ٢: ١٣٠.

ثـمّ إنّ أحـد الأعـلام وإن اختار عدم البطلان كمقتضى للقاعدة ـ وفاقاً لأستاذه سـيّد الأعاظم قدس سره ـ إلّا أنّـه تنكّـر للمقدّمـة الثانية في كلام أسـتاذه، قائـلاً: «إذن ليس في المسـألة إلّا الشـهرة ودعـوى عـدم الخـلاف، ومن الواضـح أنه لا أثر لهـا»، ولذا صـار إلى مقتضى القاعـدة ـ من الصحّـة ـ في الفرضين.[1]

وفيه: أنّ الشـهرة ودعـوى عدم الخلاف بمجردها شيء، وهي بضميمـة المقدّمة الأولى شيء آخـر، وذات أثـر، وهـو الكشـف ـ بصورة قطعيّة ـ عـن الحكم الشرعيّ.

والمحصّلة الأخيرة: إنّ ما هو معروف وعليه المشهور في هذه المسألة هو المنصور.

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلّى الله على محمّد النبيّ الأمين وآله الغرّ الميامين.

---

١ . انظر: تعاليـق مبسـوطة عـلى مناسـك الحـجّ: ٢٩٢. هـذا ولم أكن عـلى اطّلاع بـما صار إليـه من عدم بطـلان الطـواف بالحـدث في أثنائه حتى في فرض مـا قبل إكمال النصـف، ففتح عليّ في ذلك الأسـتاذ الأخ الحـاجّ عبـد الرضا عبّـاس (دام موفّقاً)، متسـائلاً عن وجه ذلـك، فوافيته بـما في التعاليق، وتولّد لـديّ عـزمٌ في تحرير هذه المسـألة، فكانت هذه الرسـالة.

﴿...وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا...﴾ (٢)

محسن الأسدي.[١]

لعلّنا في هذه المقالة، نوفّق في دراسة آيات قرآنيّة، ذُكرت فيها مفردة النسك ومشتقاته، وبيان مدى علاقتها بالحجِّ والعمرة أحكاماً ومفاهيم وآداباً وتأريخاً..، بل تطلق في الأعم الأغلب على ما يتضمنه الحجُّ من شعائر وعبادات ومواقع، إن لم نقل قد اختصّت بها... وهو ما نريد الوقوف عنده في هذه المقالة بأكثر من حلقة إن شاء الله تعالى.

* * *

ما زلنا وعبر الحلقة الثانية نعيش قصة الدعاء الإبراهيمي الإسماعيلي الذي وقع في عمق التاريخ، قبل آلاف السنين، يوم أفاض الله عزَّ وجلَّ بركاته: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾، بوادٍ جافٍّ قاحلٍ خالٍ من الحياة، لا يعرف له اسمٌ، ولا هناك مَن يرغب فيه فيقطنه .. ومن تلك البركات أنَّه: ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾.

فكانت هذه العندية تضفي عليه حياةً، تتجلّى بأعظم مقوماتها، وخلوداً بأجمل الصور، فما أزكاها وأثمرها من حياة، انبثقت من ذلك البيت، فأفاضها القرب المبارك

---

١. محقّق وباحث ديني.

على هذا الوادي؛ ليخلد في النفوس حين راحت تهوي إليه أفئدةٌ من الناس وما زالت! فما أعظمه من قربٍ، وما أجلَّه من جوارٍ!

***

بدءًا بدعائهما عليهما السلام ـ وقد ذكرناه في الحلقة السابقة ـ الذي تذوّقا به الإسلام وحلاوة مضامينه..: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾.

وخلاصته: أنَّ ابن عباس وفي قولٍ وابن عوف بن الأعرابي قرآ «مسلِمين» بصيغةِ الجمع. وروي هذا في الشواذ كما جاء عن الشيخ الطوسي قدس سره في تبيانه.

وذكرنا أيضاً تأويلين لذلك: أحدُهما: أنهما أَجْرَيَا التثنية مجْرَى الجمعِ، وبه استدلَّ مَنْ يَجْعَلُ التثنيةَ جمعاً. والثاني: أنهما أرادا أنفسهما وأهلَهما كهاجر.

وأنَّ لهم في ﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ أقوالاً:

وذكرنا بعضها، وكان منها قول الشيخ الطوسي قدس سره، وتبعه الطبرسي قدس سره مضيفاً أنَّه: **قيل**: إنَّ معنى مسلمين موحدين مخلصين لك لا نعبد إلّا إياك ولا ندعو ربًّا سواك.

وقيل: قائمين بجميع شرائع الإسلام مطيعين لك؛ لأنَّ الإسلام هو الطاعة والانقياد والخضوع وترك الامتناع.

﴿مُسْلِمَيْنِ﴾. مخلصين لك أوجهنا، من قوله: ﴿...أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ...﴾.[1] أو مستسلمين. يقال: أسلم له وسلم واستسلم، إذا خضع وأذعن. والمعنى زدنا إخلاصاً أو إذعاناً لك.

وقولهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ...﴾، يفيد الحصر بكلمة (لك) أي نكون مسلمين لك مخلصين لك، لا لغيرك، كذلك فيما تمنياه في دعائهما لبعض ذريتهما: ﴿...وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ...﴾...

١. سورة البقرة: ١١٢.

وهو ما سنؤخر الكلام عنه حتى نصل إلى: ﴿... مُّسْلِمَةً لَّكَ...﴾.[1]

ثـمَّ إنهـما بعـد دعائهـما لنفسـيهما بالإسـلام: ﴿... رَبَّنَـا وَاجْعَلْنَا مُسْـلِمَيْنِ لَـكَ...﴾. لم يقفا عنـد هذا الدعـاء، دون أن يواصـلا دعاءهما أن تنـال هذه الذرية؛ بعضهـا، ولأجيالها القادمـة بالهداية والإسـلام؛ فنعمة الإسـلام، نعمـة عظيمة ما كان لإبراهيم ولا إسـماعيل إلّا أن يطلباهـا لذريتهـما. فانصـبَّ دعاؤهمـا إمـا للذريـة جميعهـا وإمـا لبعض منهـا ـ على الاختـلاف ـ أن تحظـى بهذه النعمـة الطيبة. فقالا: ﴿... وَمِـن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْـلِمَةً لَّكَ...﴾. وهنـا لابـدَّ لي مـن وقفة عنـد (مِـن) المذكـورة في الآيـة: فمعرفة هـذا الأمر يهمنـا وينفعنا في الموقـف اللغـوي والنحـوي فالعقـدي من: ﴿مِنْهُـمْ﴾. الـواردة في الآيـة الآتيـة: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِـمْ رَسُـولاً مِّنْهُمْ...﴾.

وخصوصـاً في دخولهـا عـلى الضمائـر، وقـد دخلـت، وذكـرت في الكثـير مـن الآيات القرآنيّـة، حتـى صارت سـاحة نـزاع علميّ بـين العلـماء، ومعركة لـلآراء قديـماً وحديثاً، ويتّضـح هذا النـزاع والاختلاف جليًّا؛ خصوصاً في تفسـيرهم للآية٢٩ من سـورة الفتح. فهـل هـي في هذه الحالـة بعضيّـة أو بيانيّـة؟ وبالتـالي إن قلنا بـالأولى فقد بعث ﴿رَسُـولاً﴾ في ﴿رَبَّنَـا وَابْعَـثْ فِيهِـمْ رَسُـولاً مِّنْهُمْ ...﴾. من قسـم أو فريـق خاص، وإن قلنـا بالثانية فعندئـذ تكـون بعثته صلى الله عليه وآله مـن جميعهـم...!

و (مِـن) وإن تعـددت معانيهـا أو أقسـامها، حرف جـرٍّ تدخل على الأسـماء والضمائر، ولكـن يبـدو أنَّ في دخـول (مِـن البيانيـة) عـلى الضمائـر خلافـاً بينهـم. نعـم تدخـل على الأسـماء الظاهـرة، هـذا متفـق عليـه في الغالـب، وقد استشـهد عـدد من المعنيـين باللغة والنحـو والتفسـير بآيـات قرآنيّة منهـا: ﴿... فَاجْتَنِبُـوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَـانِ...﴾.[2]

---

١ . تفسـير الـدرّ المصون، السـمين الحلبـي ؛ التبيان للشـيخ الطوسي ؛ مجمـع البيان للطبرسي ؛ الكشـاف للزمخشري ؛ تفسـير المحـرر الوجيز في تفسـير الكتـاب العزيـز ، ابن عطية وغيرهـا: الآية.

٢ . سورة الحجّ : ٣٠ .

وقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.[1]

ولكن الذي يفيدنا هو في دخولها على الضمائر، وفي هذه الحالة أتفيد التبعيض دون التبيين، أو تفيدهما معاً، أو أنَّها بيانيّة؟

ففي (مِن) أقوال: أحدها: أنَّها للتبعيض. وعلامتها جواز الاستغناء عنها بـ (بعض)، ومجيئها للتبعيض كثير. والثاني: أنَّها للتبيين، أو بيانية للجنس. والثالث: أن تكون لابتداءِ غايةِ الجَعْل. والرابع: أنّها للتوكيد.

ولقد فصّل فيها المرادي المالكي (ت: ٧٤٩هـ) فذكر أنَّ: مِن: حرف جرّ، يكون زائداً، وغير زائد، فغير الزائد له أربعة عشر معنى:

الأول: ابتداء الغاية. الثاني: التبعيض، نحو ﴿**منهم مَن كلم الله**﴾. وعلامتها: جواز الاستغناء عنها ببعض، ومجيئها للتبعض كثير. الثالث: بيان الجنس، نحو: ﴿**فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ**﴾. ﴿**وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ**﴾. قالوا: وعلامتها أن يحسن جعل الذي مكانها؛ لأنَّ المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن. ومجيئها لبيان الجنس مشهور في كتب المعربين، وقال به قوم من المتقدمين والمتأخرين. وأنكره أكثر المغاربة، وقالوا: هي في قوله تعالى: ﴿**من الأوثان**﴾، لابتداء الغاية وانتهائها؛ لأنَّ الرجس ليس هو ذاتها، فمن في الآية كمن في نحو: أخذته من التابوت. وأما قوله: من سندس، ففي موضع الصفة، فهي للتبعيض.[2]

أما ابن هشام (ت٧٦١هـ) في المغني، فيذكر أنَّ (مِن)، تأتى على خمسة عشر

١ . سورة الكهف: ٣١.

٢ . انظر كتاب الجنى الداني في حروف المعاني، ابن أُمّ قاسم المرادي أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ). المحقق: د فخر الدين قباوة الأستاذ محمد نديم فاضل. الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ٣٠٨-٣١٠.

وجهاً:.. الثاني: التبعيض، نحو: ﴿مِنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللهُ﴾.[1] وعلامتها إمكان سدّ بعض مسدّها، كقراءة ابن مسعود (حتى تنفقوا بعض ما تحبون). الثالث: بيان الجنس، وكثيراً ما تقع بعد ما ومهما، وهما بها أولى؛ لافراط إبهامهما نحو: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا﴾.[2]

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ...﴾.[3] ﴿...مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ...﴾.[4] وهي ومخفوضها في ذلك في موضع نصب على الحال. ومن وقوعها بعد غيرهما: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾....[5]

الشاهد في غير الأولى فإن تلك للابتداء، وقيل: زائدة. ونحو: ﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾.[6]

وأنكر مجيئ (مِن) لبيان الجنس قوم، وقالوا: هي في ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ و ﴿مِّن سُندُسٍ﴾، للتبعيض، وفي ﴿مِنَ الأَوْثَانِ﴾ للابتداء، والمعنى فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو عبادتها، وهذا تكلف.

ولكنه لم يقف عند عرضه المسألة العلميّة اللغويّة، بل نقل عما في كتاب المصاحف لابن الأنباري (ت٣٢٨هـ): أنَّ بعض الزنادقة تمسّك بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾.[7] في الطعن على بعض الصحابة؛ والحقّ أنَّ (مِن) فيها للتبيين لا للتبعيض، أي الذين آمنوا هم هؤلاء ومثله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ للهِ

---

١ . سورة البقرة : ٢٥٣ .

٢ . سورة فاطر : ٢ .

٣ . سورة البقرة : ١٠٦ .

٤ . سورة الأعراف : ١٣٢ .

٥ . سورة الكهف : ٣١ .

٦ . سورة الحجّ : ٣٠ .

٧ . سورة الفتح : ٢٩ .

وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.[1] وكلّهم محسن ومتّق. ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فالمقول فيهم ذلك كلّهم كفار.[2]

أقول: ولا أدري لماذا وصف ابن الأنباري هذا الفريق بالزندقة، على ما حكاه ابن هشام عنه، ولم يفعل الفريق المذكور شيئاً، إلّا أنّه تمسّك بما ذكرتم من شروط عمل (مِن البيانية) لاغير. وهو ليس طعناً بقدر ما هو تمسّك بقيد عملها، فأخذ هذا التمسك به إلى أنَّ (مِن) في مِنْهُم، في الآية: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾. ليست بيانيّة بل هي بعضيّة، وبالتالي فإنَّ بعضهم صالح لنيل هذه المغفرة والأجر العظيم، وهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾.

وبعضهم غير صالح لهذا، فالموعود بالمغفرة بعضهم دون كلّهم. فيما ذهب آخرون إلى كونها بيانيّة، وبالتالي تشملهم جميعاً بلا استثناء، ولكلٍّ من المتخاصمين دليل يركن إليه...

هذا ومادام الاختلاف في دائرة الدليل، وحيثما مال نميل كما يُقال، فلا ضير، نعم اعطاء الرأي أو الالتزام بقول وموقف بلا حجّة ولا برهان، يعدُّ اتباعاً للهوى، وكذا محاولة جعل الدليل تابعاً للموقف وتسخيره للآراء، بمعنى أن يكون الدليل تابعاً لنا بدل أن نكون تابعين له، هو الذي يشكل خطورةً وضرراً بالغاً على البحث العلمي النزيه، وهو موقف باطل قطعاً، وباطل ما يترتب عليه ...!

---

١. سورة آل عمران: ١٧٢.

٢. مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١ هـ) ١: ٣١٨ـ٣١٩؛ حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، للشيخ مصطفى محمد عرفة الدسوقي (ت١٢٣٠هـ) ٢: ٢٥٧؛ تفسير المفردات وذكر أحكامه، حرف الميم؛ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢: ٢٩٣ـ٢٩٤ (مِن).

هـذا وأنَّ ذلـك يتضـح جليلاً بـين أهل التفسـير في ﴿مِنْهُـم﴾ الـواردة في الوعد الإلهي الـذي ذكرتـه الآيـة ٢٩ من سـورة الفتـح: ﴿وَعَـدَ اللهُ الَّذِيـنَ آمَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصَّالِحَاتِ مِنهُم مَّغْفِـرَةً وَأَجْـراً عَظِيماً﴾.

وسـورة الفتـح نزلـت في السـنة السادسـة مـن الهجـرة النبويّـة بـين مكـة والمدينة عند مرجعـه صلى الله عليه وآله ومـن معه مـن المسـلمين مـن الحديبيـة، أي عقـب صلـح الحديبية.[1]

فمـن جعلهـا بيانيـة لا تبعيضيـة، ذهب إلى شـمولها لمطلـق الصحابة ـ ووسـعوا ذلك لتشـمل حتـى مَن لم يكن في الحديبيـة، ووفّق للإسـلام بعدها، ولمن جاء بعدهـم إن اقتفى أثرهـم، أي التابعـين ـ مدحـاً لهم، ووعـداً لهم جميعاً بالمغفـرة والأجر العظيـم، دون النظر إلى شرطيـة بقـاء الإيمان والعمـل الصالح واسـتمرارهما...، واتخذوها دليـلاً على عدالتهم جميعـاً، وعـدم جـواز التعـرّض لهـم حتـى بالنقـد فضلاً عـن غـيره؛ لوجـوب احترامهم وتوقيرهـم وتعظيمهم والثنـاء عليهم...!

وهـذا الفريـق اسـتدل بدخـول (مِـن) البيانيـة عـلى الأسـماء، وهـو أمـر مفـروغ منه، وكلامنـا في جـواز دخولهـا عـلى الضمائـر بالقيـود التي ذكرهـا ابن هشـام، ومـن قبله ابن أُمّ قاسـم المرادي.

ويبـدو مـن أهـل التفسـير أنَّـه لا فـرق عندهم بـين دخولهـا عـلى الأسـماء أو الضمائر، أو أنَّ هنـاك تقاربـاً بـين كلٍّ مـن البيانيـة والبعضيـة، يصعب التفريـق بينهـما إلّا بجهد، أو لمعنـى خفـي، أو للسـياق... أو أنَّ للموقـف مـن (عدالـة عمـوم الصحابة) أثـراً ضاغطاً عـلى بعض المفسريـن لاختيـار إحداهمـا على الأُخـرى...

الزمخشري: ومعنى ﴿مِنْهُم﴾ البيان، كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾.

ابـن كثير: مِـن هـذه لبيـان الجنس ﴿مَغْفِـرَةً﴾ أي لذنوبهـم ﴿وَأَجْـراً عَظِيمـاً﴾ أي ثواباً جزيـلاً ورزقـاً. ووعـد الله حـقٌّ وصـدق لا يخلـف ولا يبـدل، وكلّ مـن اقتفـى أثـر

---

١ . أسباب نزول القرآن للواحدي: الآية.

الصحابة، فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمّة...

القرطبي في الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾، أي وعد الله هؤلاء الذين مع محمد، وهم المؤمنون الذين أعمالهم صالحة ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾، أي ثواباً لا ينقطع وهو الجنة. وليست (مِن) في قوله: (منهم) مبعّضة لقوم من الصحابة دون قوم، ولكنها عامة مجنّسة، مثل قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾. لا يقصد للتبعيض، لكنه يذهب إلى الجنس، أي فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان، إذ كان الرجس يقع من أجناس شتَّى، منها الزنى والربا وشرب الخمر والكذب، فأدخل (مِن) يفيد بها الجنس وكذا (منهم)، أي من هذا الجنس، يعني جنس الصحابة. ويقال: أنفق نفقتك من الدراهم، أي اجعل نفقتك هذا الجنس. وقد يخصص أصحاب محمدﷺ بوعد المغفرة تفضيلاً لهم، وإن وعد الله جميع المؤمنين المغفرة.

وفي الآية جواب آخر: وهو أنَّ (من) مؤكدة للكلام، والمعنى وعدهم الله كلَّهم مغفرة وأجراً عظيماً. فجرى مجرى قول العربي: قطعت من الثوب قميصاً يريد قطعت الثوب كلّه قميصاً. و (من) لم يبعض شيئاً. وشاهد هذا من القرآن ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾.[1]

معناه وننزل القرآن شفاء؛ لأنَّ كلّ حرف منه يشفي، وليس الشفاء مختصًّا به بعضه دون بعض. على أنّ من اللغويين من يقول: (من) مجنسة تقديرها ننزل الشفاء من جنس القرآن، ومن جهة القرآن، ومن ناحية القرآن.

قال زهير: أمن أمّ أوْفَى دِمْنَةٌ لم تكَلَّم، أراد من ناحية أمّ أَوْفَى دِمْنَةٌ، أم من منازلها دِمْنَة.

وقال الآخر: أخُو رغائبَ يعطيها ويسألها* يأبى الظُّلامةَ منه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ.

---

١ . سورة الإسراء: ٨٢.

فـ(مـن) لم تُبَعِّـض شـيئاً، إذ كان المقصـد يأبـى الظلامـة؛ لأنـه نَوْفَـلٌ زُفَـرُ. والنَّوْفَـل: الكثـير العطـاء. والزُّفَـر: حامـل الأثقـال والمـؤن عـن النـاس.

وقـد سـبقه ابـن عطيـة في هـذا، حيـث يقـول: ﴿منهـم﴾ هـي لبيـان الجنس وليسـت للتبعيـض؛ لأنـه وعـد مـرجٍ للجميع.

وأمـا أبوحيـان فقد استشـهد بقـول ابـن عطيـة : وقوله منهـم، لبيان الجنس وليسـت للتبعيـض؛ لأنَّـه وعـد مـدح للجميـع. (وفي الأصـل مـرجٍّ) بعد أن ذكـر التـالي: ومعنى: ﴿منهـم﴾: للبيـان، كقولـه تعـالى: ﴿**فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ**﴾.

وإلى هـذا ذهـب غيرهم **كالسـمين الحلبـي** القائـل: قولـه: (مِنْهم)،(مِنْ) هـذه للبيانِ لا للتبعيضِ...

والغرناطي ابن جزي: (مِنْهُم) لبيان الجنس لا للتبعيض؛ لأنه وعد عمَّ جميعهم...[1]

فيـما الـذي جعلهـا تبعيضية، ذهـب إلى أنَّها تخصُّ مَن أقـام منهم على الإيـمان والعمل الصالح...

وهـو مـا ذكـره **الزجاج** في الوجـه الثاني لهـا:.. والوجه الثاني أن يكـون المعنى وعد الله الذيـن أقاموا منهـم على الإيمَانِ والعمـل الصالح مَغْفِـرةً وأجراً عظيماً.

واكتفى **ابن الجوزي** بهما.

وكـذا قالـه الطـبرسي: أي وعـد من أقام عـلى الإيـمان والطاعـة ﴿**منهم مغفـرة**﴾، أي سـتراً عـلى ذنوبهم الماضيـة ﴿**وأجـراً عظيمـاً**﴾، أي ثواباً جزيـلاً دائماً.

---

١ . تفسـير القرآن العظيم، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، تفسـير الكشـاف، الزمخشـري (ت ٥٣٨هـ)؛ تفسير الجامـع لأحـكام القـرآن، القرطبي (ت٦٧١هــ)؛ تفسـير المحرر الوجيز في تفسـير الكتـاب العزيز، ابـن عطيـة (ت ٥٤٦ هــ)؛ تفسـير البحـر المحيـط، أبو حيـان (ت ٧٥٤ هـ)؛ تفسـير الـدر المصون، السـمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)؛ تفسـير التسـهيل لعلوم التنزيـل، ابن جزي الغرناطـي (ت ٧٤١ هـ) ٢٩: الفتح .

أما السيد العلّامة في ميزانه: فله كلام مفصل و ردود لأدلة أقوال جعلتها بيانية، نكتفي منه بهذه الخلاصة: وقوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾. ضمير ﴿منهم﴾ للذين معه، و ﴿مِن﴾ للتبعيض على ما هو الظاهر المتبادر من مثل هذا النظم، ويفيد الكلام اشتراط المغفرة والأجر العظيم بالإيمان حدوثاً وبقاءً وعمل الصالحات، فلو كان منهم من لم يؤمن أصلاً كالمنافقين الذين لم يعرفوا بالنفاق كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾،[1] أو آمن أولاً ثم أشرك وكفر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّواْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾...، إلى أن قال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾.[2] أو آمن ولم يعمل الصالحات كما يستفاد من آيات الإفك وآية التبيّن في نبإ الفاسق وأمثال ذلك، لم يشمله وعد المغفرة والأجر العظيم...

وقيل: إنَّ ﴿مِن﴾، في الآية بيانية لا تبعيضية، فتفيد شمول الوعد لجميع الذين معه. ويردُّ السيد هذا القيل بقوله: وهو مدفوع ـ كما قيل ـ بأنَّ ﴿مِن﴾ البيانية لا تدخل على الضمير مطلقاً في كلامهم، والاستشهاد لذلك بقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾.[3] مبني على إرجاع ضمير تزيلوا إلى المؤمنين وضمير ﴿منهم﴾ للذين كفروا، وقد تقدم في تفسير الآية أنَّ الضميرين جميعاً راجعان إلى مجموع المؤمنين والكافرين من أهل مكة فتكون ﴿مِن﴾ تبعيضية لا بيانية...

وتبعه في هذا **الشيخ جعفر السبحاني**، وله أيضاً كلام مفصل وردود، يبدؤها بأنَّ كلمة (منهم) تعرب عن أنَّ المغفرة لا تعمّ جميع الأصحاب، بل هي مختصة بطائفة دون أخرى. وما ربما يقال من أنَّ (من) بيانية لا تبعيضية غير تام؛ لأنَّ من البيانية لا

---

١ . سورة التوبة: ١٠١.

٢ . سورة محمد: ٣٠.

٣ . سورة الفتح: ٢٥.

تدخل على الضمير، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾...[1]

والحاصل: إنه لا يمكن القول بشمول أدلة المغفرة والأجر العظيم لقاطبة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله مع أنهم على أصناف شتى...

الشيخ مكارم: ويضيف القرآن مختتماً بهذه الآية المباركة: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾، بديهي أنّ أوصاف أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله التي وردت في بداية الآية محل البحث جمعت فيها الإيمان والعمل الصالح، فتكرار هذين الوصفين إشارة إلى استمرارهما وديمومتهما؛ أي أنَّ الله وعد أولئك الذين بقوا على نهجهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله واستمروا بالإيمان والعمل الصالح، وإلّا فإنَّ مَن كان يوماً مع النبيّ صلى الله عليه وآله ويوماً آخر مع سواه وعلى خلاف طريقته، فلا يشملون بهذا الوعد أبداً، والتعبير بـ: ﴿مِنْهُم﴾ مع الالتفات إلى هذه المسألة، وهي أنَّ الأصل في كلمة ﴿مِنْ﴾ في مثل هذه الموارد التبعيض، وظاهر الآية يعطي هذا المعنى أيضاً، وهذا التعبير يدل على أنَّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ينقسمون قسمين ـ فطائفة منهم ـ يواصلون إيمانهم وعملهم الصالح وتشملهم رحمة الله الواسعة وأجره العظيم، وطائفة يحيدون عن نهجه فيحرمون من هذا الفيض العظيم. وليس معلوماً السبب في إصرار بعض المفسرين على أنَّ ﴿مِنْ﴾ في كلمة ﴿مِنْهُم﴾ بيانية حتماً، في حين لو ارتكبنا خلاف الظاهر، وقلنا: إنَّ ﴿مِنْ﴾ هنا بيانية، فكيف يمكن أن ندع القرائن العقلية هنا، فلا أحد يدعي أبداً أنَّ جميع أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله معصومون، وفي هذه الصورة يزول احتمال أنَّ كلّ واحد منهم بقي على عمله الصالح وإيمانه، ومع هذه الحال، فكيف يعدهم الله بالمغفرة والأجر العظيم دون قيد وشرط سواء عملوا الصالحات في طول

---

١ . سورة التوبة: ١٠١ .

مسيرتهم، أو أن يعملوا الصالحات في وقت، ثم ينحرفوا من منتصف الطريق...[1]

إذن فالفريق الرافض لبيانيتها يذهب إلى أنَّها لا تدخل على الضمائر مطلقاً، وإن دخلت فهي تبعيضية، ويؤيد هذا عدم ورود (ما) أو (مهما) في السياق، وهذا يرجح أن لا تكون (﴿مِنْ﴾) بيانية.

أقول: ويا ليت مَن ذهب إلى الإطلاق في قوله: مِن البيانية لا تدخل على الضمير مطلقاً، دلَّنا على المصدر اللغوي أو النحوي الذي يقول بهذا الإطلاق، أو أشار إلى مَن يذكر شروط وصفها بالبيانيّة! وجنبنا عناء البحث! فلقد تابعتُ ما تيسر لي من مصادر اللغة فلم أوفق لذلك! وكلُّ ما ذكره ابن هشام عنها هو:.. وكثيراً ما تقع بعد ما ومهما، وهما بها أولى لافراط إبهامهما... وابن أُمّ قاسم المرادي، وهو ما ذكرناه أعلاه.

وثالث جوّز أو ذكر الاثنين: **الشيخ الطوسي**: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ يعني من عرف الله ووحده وأخلص العبادة له وآمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله وصدقه ﴿**وَعَمِلُوا**﴾ مع ذلك الأعمال ﴿**الصَّالِحَاتِ مِنهُم**﴾.

قيل: إنه بيان يخصّهم بالوعد دون غيرهم.

وقيل: يجوز أن يكون ذلك شرطاً فيمن أقام على ذلك منهم؛ لأنَّ من خرج عن هذه الأوصاف بالمعاصي، فلا يتناوله هذا الوعد ﴿**مَغفِرَةً**﴾، أي ستراً على ذنوبهم الماضية ﴿**وأجراً**﴾ أي ثواباً ﴿**عظيماً**﴾ يوم القيامة. فيما لم يذهب الشيخ إلى التبعيضيّة في تفسيره ﴿**مِنْهُمْ**﴾ في الآية: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾.[2] بل إلى أنَّ قوله: مِنْهُمْ، معناه تبيين الصفة

---

١. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، الآية: ٢٩ الفتح؛ تفسير زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)؛ مجمع البيان، للطبرسي؛ تفسير الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي (ت١٤٠١هـ)؛ كتاب الأمثال في القرآن الكريم للشيخ جعفر السبحاني: ٢٥٤؛ وكذا الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ مكارم الشيرازي، الآية: ٢٩ من سورة الفتح.

٢. سورة آل عمران: ١٧٢.

لا التبعيض.

وكذا ذهب **الميرزا محمد المشهدي** في تفسيره لهذه الآية إلى البيانية حيث يقول: ﴿لِلَّذِينَ أحسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوا أجرٌ عَظِيمٌ﴾، بجملته، و ﴿مِنْ﴾ للبيان، والمقصود من ذكر الوصفين، المدح والتعليل، لا التقييد، لأنَّ المستجيبين كلّهم محسنون متقون.[1]

القشيري: قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ للجنس، أو للذين ختم لهم منهم بالإيمان.[2]

أقول: (للذين ختم لهم منهم بالإيمان) هو التبعيض بعينه، أي الذي لم يبدل إيمانه حتى نال حسن العاقبة.

الطنطاوي: (من) في قوله: (مِنْهُم) الراجح أنها للبيان والتفسير، كما فى قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾. أى وعد الله تعالى بفضله وإحسانه، الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وهم أهل بيعة الرضوان، ومن كان على شاكلتهم فى قوة الإِيمان... وعدهم جميعاً مغفرة لذنوبهم، وأجراً عظيماً لا يعلم مقداره إلّا هو سبحانه. ثمَّ يقول: ويجوز أن تكون من هنا للتبعيض، لكى يخرج من هؤلاء الموعودين بالمغفرة والأجر العظيم أولئك الذين أظهروا الإِسلام وأخفوا الكفر، وهم المنافقون الذين أبوا مبايعة الرسول صلى الله عليه وآله وأبوا الخروج معه للجهاد، والذين من صفاتهم أنهم كانوا: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.[3]

أما الرازي: فيأتي بتأويل آخر للقول المحتمل أنّها للتبعيض، فبعد أن يذكر أنَّ الآية: وعد ليغيظ بهم الكفار، يقال رغماً لأنفك أنعم عليه. يقول في قوله تعالى: ﴿مِنْهُم

١ . تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠ هـ) انظر تفسيره للآيتين: ٢٩ الفتح و١٧٢ آل عمران ؛ تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي٢ : ٢٨٣، الآية: ١٧٢ آل عمران.

٢ . تفسير لطائف الإشارات، القشيري (ت ٤٦٥ هـ)، الآية .

٣ . سورة البقرة : ١٤ .

مَّغْفِـرَةً وَأَجْـراً عَظِيمـاً﴾، لبيـان الجنـس لا للتبعيـض، ويحتمـل أن يقـال هـو للتبعيض، ومعنـاه: ليغيـظ الكفـار والذين آمنـوا من الكفـار لهم الأجـر العظيـم، والعظيم...

ابـن عاشـور: قـال بجـواز البيانيـة، وبالتبعيضيـة ولكنهـا أتـت تحذيـراً حيـث يقول: أعقـب تنويه شـأنهم والثناء عليهـم بوعدهم بالجزاء على مـا اتصفوا به مـن الصفات التي لهـا الأثـر المتـين في نشر ونصر هـذا الدين، وقولـه منهم يجوز أن تكون من للبيـان كقوله: ﴿فَاجتَنِـبُوا الرِّجسَ مِنَ الأوثَانِ﴾. وهو اسـتعمال كثير، ويجوز إبقـاؤه على ظاهر المعنى مـن التبعيـض؛ لأنـه وعد لـكلّ من يكون مـع النبـيّ ﷺ في الحـاضر والمسـتقبل، فيكون ذكـر مِـن تحذيـراً وهـو لا ينافي المغفـرة لجميعهـم؛ لأنَّ جميعهم آمنـوا وعملـوا الصالحات وأصحـاب الرسـول ﷺ هم خـيرة المؤمنين.[1]

بعـد هـذه الوقفة، نعود إلى دعـاء هذين النبيـين الكريمـين: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْـلِمَيْنِ لَـكَ وَمِـن ذُرِّيَّتِنَـآ أُمَّةً مُّسْـلِمَةً لَّـكَ﴾، وبالـذات عنـد: ...﴿ وَمِـن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْـلِمَةً لَّـكَ﴾...، والـذي يقول عنه سـيد قطـب: إنه رجاء العون مـن ربهما في الهداية إلى الإسـلام، ... وأنَّ الهـدى هـداه، وأنـه لا حـول لهـما ولا قـوة إلّا بـالله، فهـما يتجهان ويرغبـان، والله المسـتعان. ثـم هو طابع الأمـة المسـلمة.. التضامن.. تضامـن الأجيال في العقيـدة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَـآ أُمَّـةً مُّسْـلِمَةً لَّـكَ﴾. وهي دعوة تكشـف عـن اهتمامـات القلب المؤمـن. إنَّ أمر العقيـدة هـو شـغله الشـاغل، وهـو همّـه الأول. وشعور إبراهيم وإسـماعيل عليهما السلام ـ بقيمـة النعمـة التـي أسـبغها الله عليهـما.. نعمـة الإيـمان.. تدفعهـما إلى الحرص عليهـا في عقبهما، وإلى دعـاء الله ربهّـما ألّا يحـرم ذريتهـما هـذا الإنعـام الـذي لا يكافئـه إنعام.. لقـد دعوا الله ربّهـما أن يـرزق ذريتهما من الثمرات، ولم ينسـيا أن يدعواه ليرزقهم مـن الإيمان، وأن يريهم

---

١ . تفسـير مـدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسـفي (ت٧١٠هـ)؛ الوسـيط في تفسـير القـرآن الكريم، طنطـاوي (ت١٤٣١هـ)؛ تفسـير مفاتيـح الغيب، التفسـير الكبير، الـرازي (ت٦٠٦هــ)؛ التحرير والتنويـر لابن عاشـور، الآية.

جميعاً مناسكهم، ويبين لهم عباداتهم، وأن يتوب عليهم. بما أنه هو التواب الرحيم. ثم ألّا يتركهم بلا هداية في أجيالهم البعيدة.[1]

وقبل الكلام عَن و مِن، في دعائهما عليهما السلام، نقف قليلاً عند الذرية لغةً: جذرها: ذرأ... والذريّة: الخلق والنسل مأخوذة من الذّرء، ذرأ اللهُ الخلق: خلقهم. وذرية الرجل: وَلدهُ، نَسْلُهُ ذكوراً وإناثاً. وفي قول: الذرية أصلها الصغار من الأولاد وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معاً في التعارف، ويستعمل للواحد والجمع وأصله الجمع. وقيل: مأخوذ من الذّرّ وهو: النشر، فيُقال: ذَرّ الشيء يَذرُّه: أي نشره. وقيل: أصله من الذّرّ، أي صغار النمل؛ لأنَّ الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذّرّ، وجمعها: ذُرِّيَّات وذَراريّ. وهي أي الذرية تُعدُّ الامتداد الطبيعي الذي يتمنّاه كلُّ إنسان، وهي إما ذريّة طيبة صالحة تقرُّ بها العيون، وتستريح بها القلوب! وإما غير ذلك... وقد جاءت في العديد من آيات التنزيل العزيز، من ذلك: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.[2] ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.[3] ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[4]

وكذا الذرية التي تناسلت، بعد أن وضعت هاجر وابنها الرضيع إسماعيل عليهما السلام في ذلك الوادي، حين أسكنهما الأب إبراهيم عليه السلام فيه، كما جاء في دعائه عليه السلام أسكنه من ذريته بجوار البيت المحرم، ولمن يأتي منهم، وبعدهم كما عبّر التنزيل العزيز: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ﴿لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾، ﴿رَّبَّنَآ إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ

١ . في ظلال القرآن: الآية.

٢ . سورة الإسراء : ٣.

٣ . سورة آل عمران : ٣٨ .

٤ . سورة آل عمران:٣٤.

وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.[1] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾.[2] وهكذا هو في دعائه الآخر أن يجعله لا هو فقط مديماً للصلاة، بل ومن ذريته من يديمها ويؤديها كاملةً على أصولها!

وإلّا فهناك أهداف أُخرى ووظائف للذين يأتون هذه الديار المقدّسة ومعالمها، تحدّث عنها التنزيل العزيز، وكان منها: ﴿لِيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ* ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.[3]

ولمعرفة أنَّ ﴿مِن﴾ المذكورة في الآية: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، أهي بيانية أم تبعيضية؟ ولماذا خصّا بعض الذرية دون بعض آخر؟ ومَن هي الأُمّة المسلمة في هذه الآية؟

ولأهمية هذه الأسئلة، وضرورة معرفة الأمّة المسلمة بالذات؛ لكون رسول الله صلى الله عليه وآله سيُبعث منها، نضيف هنا أقوالاً أُخر على ما ذكرناه من أجوبة بعض المفسرين عن هذه الأسئلة في الحلقة السابقة، تحت عنوان: (مِن البعضيّة) بعد أن نذكر من يجيز الحالتين (لمِن) زيادةً في الفائدة.

وقبل هذا نُشير إلى أنَّ نبيَّ الله إبراهيم عليه السلام، وكما عوّدنا عليه في أدعيته، ما من وظيفة تكلّفه بها السماء، أو فضيلة ومنقبة، منحتها له، أو دعا بها لنفسه، إلّا وتمنّاها لبعض ذريته؛ ليتواصل منهج الله سبحانه وتعالى في الأرض، ويستمر تكليف السماء، وتبليغ الإسلام الذي أراداه من الله تعالى لنفسيهما ولذريتهما بين الناس؛ من ذرية واعية صالحة إلى ذرية مثلها؛ ومن أُمّة طيبة إلى أُخرى مثلها؛ ليستمر الإسلام الذي

---

١ . سورة إبراهيم: ٣٧ .

٢ . سورة إبراهيم: ٤٠ .

٣ . انظر معاجم اللغة ومنها: لسان العرب لابن منظور؛ مفردات القرآن للراغب الأصفهاني: ذرية.

ينشدانه عبر ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾. عبر سلسلة طهر متواصلة إيماناً بالله تعالى وإخلاصاً وتبليغاً لشرائعه... وأما أجوبة التخصيص، فمنها أنَّ ﴿مِن﴾، في الآية تأتي للتبعيض، أي أنَّ بعض الذرية خُصّت دون بعض آخر؛ لأنَّه تعالى أعلم إبراهيم عليه السلام بأنَّ من ذريته ظلَمة... بدليل آية الإمامة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.[1]

وبدليل الواقع أنَّ الذرية ليست خالصةً مما قد يعلق بها من شوائب، بل وانحرافات وابتعاد عن الأخلاق السليمة والقيم الحسنة، فهي بين محمود السيرة ومذمومها...

الطبري يقول: وأما قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾، فإنهما خَصَّا بذلك بعض الذرية؛ لأنَّ الله تعالى ذكره قد كان أعلم إبراهيم خليله عليه السلام قبل مسألته هذه أنَّ من ذرّيته مَن لا ينال عهده لظلمه وفجوره، فخصّا بالدعوة بعض ذرّيتهما.

وهو ما ذهب إليه **الطبرسي** أيضاً بقوله: وإنما خصَّا بعضهم؛ لأنه تعالى أعلم إبراهيم عليه السلام أنَّ في ذريته من لا ينال عهدُه الظالمين لما يرتكبه من الظلم.

أو أنَّه خصّهم بالذكر في دعائه عليه السلام؛ لأنهم أحقّ بالشفقة والنصيحة... وهو ما ذهب إليه **الزمخشري** في جوابه لإن قلت: لِمَ خصّا ذرّيتهما بالدعاء؟ قلت: لأنهم أحقّ بالشفقة والنصيحة. ﴿قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾.[2] ولأنّ أولاد الأنبياء إذا صلحوا، صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير، ألا ترى أنَّ المقدّمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد، كيف يتسببون لسداد مَن وراءهم؟... وهو قبل كلامه هذا ذكر أنَّ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾، واجعل من ذرّيتنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، و ﴿مِن﴾ للتبعيض أو للتبيين، كقوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ مِنْكُمْ﴾. حيث ذكر في هذه الآية: الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله ولمن معه. ومنكم للبيان، كالتي في آخر سورة الفتح،

---

١ . سورة البقرة: ١٢٤.

٢ . سورة التحريم: ٦.

وعدهـم الله أن ينصـر الإسـلام على الكفـر، ويورّثهـم الأرض، ويجعلهم فيهـا خلفاء، كـما فعـل ببنـي إسرائيل، حـين أورثهم مصر والشـام بعـد إهـلاك الجبابـرة، وأن يمكن الديـن المرتضى وهـو دين الإسـلام...

وكذا **النسفي** ذهب إلى ما ذكره الزمخشري.

يذكـر الـرازي: أنـه تعـالى لمـا أعلـم إبراهيمعليه السلام أنَّ في ذريته من يكـون ظالمـاً عاصياً، لا جـرم سـأل ههنـا أن يجعـل بعـض ذريتـه أمة مسـلمة، ثم طلـب منـه أن يوفـق أولئك العصـاة المذنبـين للتوبـة؛ فقال: وَتُـبْ عَلَيْنَـا، أي على المذنبين مـن ذريتنا، والأب المشـفق عـلى ولـده إذا أذنـب ولـده، فاعتـذر الوالد عنه، فقـد يقـول: أجرمت وعصيـت وأذنبت فاقبـل عـذري، ويكـون مـراده: إن ولـدي أذنـب فاقبـل عـذره؛ لأنَّ ولد الإنسـان يجري مجـرى نفسـه، والـذي يقوي هـذا التأويـل وجوه:

نكتفـي نحـن منهـا بالوجـه الأول: مـا حكـى الله تعـالى في سـورة إبراهيـم أنـه قـال: ﴿وَاجْنُبْـنِي وَبَـنِيَّ أَن نَّعْبُـدَ الأَصْنَـامَ رَبِّ إِنَّهُـمْ أَضْلَلْـنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّـاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّـهُ مِـنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّـكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1] فيحتمل أن يكـون المعنى: ومَن عصاني، فإنـك قـادر عـلى أن تتوب عليـه إن تـاب، وتغفر له ما سـلف مـن ذنوبه.

أبـو حيـان: ﴿وَمِـن ذُرِّيَتِنَـا أُمَّةً مُسـلِمَةً لَكَ﴾، لمـا تقدّم الجـواب له بقولـه: ﴿لَا يَنَالُ عَهـدِى الظَّالِمِـينَ﴾، علـم أن مـن ذريتهـما الظـالم وغـير الظـالم، فدعـا هنـا بالتبعيض لا بالتعميـم، فقـال: ﴿وَمِـن ذُرِّيَتِنَا﴾، وخـصّ ذريته بالدعاء للشـفقة والحنـوّ عليهم، ولأنَّ في صـلاح نسـل الصالحـين نفعـاً كثـيراً لمتبعهـم، إذ يكونـون سـبباً لصـلاح مَـن وراءهم.

والنسـفي: وإنـما خصّـا بالدعـاء ذريتهـما؛ لأنهـم أولى بالشـفقة كقولـه تعـالى: ﴿قُـواْ أَنفُسَـكُمْ وَأَهْلِيكُـمْ نَـاراً﴾.

وكـذا قالـه **الآلـوسي**:.. وإنـما خصّـا الذرية بالدعـاء؛ لأنهم أحـقُّ بالشـفقة... ولأنهم

---

١ . سورة إبراهيم ٣٥ـ٣٦ .

أولاد الأنبياء، وبصلاحهم صلاح كلّ الناس، فكان الاهتمام بصلاحهم أكثر، وخصّا البعض لما علما من قوله سبحانه: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ﴾... ﴿مِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾.[1] ... وأنَّ الحكمة الإلهية تستدعي الانقسام، إذ لولاه ما دارت أفلاك السماء، ولا كان ما كان من أملاك السماء.

ابن عاشور: وقوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَتِنَا أُمَّةً مُسلِمَةً لَكَ﴾، يتعين أن يكون ﴿مِن ذُرِّيَتِنَا﴾ و﴿مسلِمَةً﴾ معمولين لفعل ﴿وَاجعَلنَا﴾ بطريق العطف، وهذا دعاء ببقاء دينهما في ذريتهما، و(مِن) في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَتِنَا﴾ للتبعيض، وإنما سأل ذلك لبعض الذرية جمعاً بين الحرص على حصول الفضيلة للذرية وبين الأدب في الدعاء؛ لأنَّ نبوة إبراهيمعليه السلام تقتضي علمه بأنه ستكون ذريته أمماً كثيرة، وأنَّ حكمة الله في هذا العالم جرت على أنه لا يخلو من اشتماله على الأخيار والأشرار، فدعا الله بالممكن عادة، وهذا من أدب الدعاء... ونظيره في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَتِي﴾. ومن هنا ابتدىء التعريض بالمشركين الذين أعرضوا عن التوحيد واتبعوا الشرك، والتمهيد لشرف الدين المحمدي.

بعد هذا نلخص ما يقوله بعض عن هذه الذريّة التي صارت شعوباً وقبائل...

ابن إسحاق: فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيمعليهما السلام، فولد عدنان رجلين معد بن عدنان، وعك بن عدنان...

وعن **ابن هشام**:.. فالعرب كلّها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، ويقول: إسماعيل أبو العرب كلّها...

ابن جزى الغرناطي:.. والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل؛ وهم العرب الذين من نسل عدنان. وأما الذين من قحطان، فاختلف هل هم من

---

١ . سورة الصافات: ١١٣.

ذرية إسماعيل أم لا...[1]

وأما عن السؤال الثالث: ومَن هي الأُمّة المسلمة في هذه الآية: ﴿**أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**﴾؟ وهو أمر مهم جدًّا أنَّ نتعرّف على هذه الأمة المسلمة التي يكون إسلامها خالصاً لله تعالى، المنبثقة من ذريتهم، فهي التي يُبعث فيها ومنها ذلك الرسول الذي دعا له كلٌّ من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وكما حدثنا التفسير والتاريخ، فلعلّها قريش، وهي التي ترجع بأُصولها وأنسابها إلى إسماعيل فإبراهيم عليهما السلام، وتستمد وجودها وقوامها منهما وتشرفها بما ورثته منهما: قوامة البيت وعمارته، وبه حظيت فضلاً وشرفاً ووجاهةً ورفعةً ومنزلةً بين مَن حولها من أقوام وقبائل، كان لها هذا بعد أن أسكنها قصي بن كلاب بدلاً من قبيلة خزاعة، التي أخرجها وآخرين من مكة، وصارت قريش قسمين؛ قريش البطاح الذين سكنوا حول البيت؛ الأبطح أو بطحاء الحرم. ولأنّهم سكنوا بطن مكة بين أخشبيها، يُطلق عليهم: قريش البواطن. تُقابلهم قريش الظواهر، وهم الذين يسكنون ظواهر مكة بأمر من قصي الذي لم يأذن لهم بدخول أبطح مكة، هذا حسب سكنها، أما بحسب نسبها فهي بطون عديدة...[2]

أو هي الأمّة المسلمة كما هو ظاهر الدعاء التي بقيت على دين إبراهيم عليه السلام وشريعته

---

١ . تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت ٣١٠ هـ) ؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ؛ تفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ؛ تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (ت ٧١٠ هـ) بتلخيص ؛ تفسير روح المعاني، الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ؛ التحرير والتنوير لابن عاشور: الآية ؛ السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤ أو ١: ٢٣ ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وآله إلى آدم عليه السلام ؛ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ) المحقق: إبراهيم الابياري ؛ التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الغرناطي (ت٧٤١هـ) الآية، أو ١: ٦٠ ؛ وكتب الأنساب.

٢ . انظر المنمق في أخبار قريش لابن حبيب: ٥ ؛ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي: ١٣١ ؛ جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٥ ؛ وغيرها من كتب الأنساب.

وملّتـه كـما في آيات، منهـا: ﴿... دِينًـا قِيَمًا مِلَّـةَ إِبْرَاهِيـمَ حَنِيفًا...﴾. ولعـلّ منهم الحنفاء وهـو مـا يدفعنـا للحديث ولـو قليـلاً عنهـم، عاشـوا في الجاهليـة، وفي الجاهليـة المتصلة بالإسـلام، ومنهـم من أدرك الرسـول صلى الله عليه وآله، وهـم من قبائل شـتى، جَمَعَهُـم رفضُهم لتعدد الآلهـة، واكتفاؤهـم بالإيـمان بإلـه واحـد، لا رادّ لأمـره، وهـو الخالـق البـارئ الـرازق المحيـي المميـت..، وإيمانهـم باليوم الآخـر، ونبذ عبادة الأوثـان، وكلّ مـا يدعو للشرك.. والتزامهـم بالحجّ ومناسـكه وتعظيم الكعبـة، وكُرههم للخمـر وشربهـا، وامتناعهم عن أكل المَيْتَـةِ والـدَّمِ والذبائـح التـي تذبـح لغـير الله.. فهم عـلى شريعة إبراهيـم عليه السلام، وهناك مـن يقـول: إنَّ منهـم مـن اعتنـق النصرانيّـة دون اليهوديّـة، لكـون الأولى ديانـة منفتحـة تبشـيريّة، فيما الثانية مغلقة على نفسـها، فليسـت تبشـيريّة، وتشـترط على من ينتسب إليها أن تكـون أُمُّـه يهوديّة بالرتبة السـابقة..

وقـد أدخـل المسـعودي بعـض الأحنـاف في جماعـة أهـل الفترة ممـن كانوا بين المسيح ومحمـد، ومـن أهـل التوحيـد، ممن يقر بالبعث. ثمَّ قـال: وقـد اختلف النـاس فيهم، فمن النـاس مـن رأى أنهـم أنبيـاء، ومنهـم مـن رأى غـير ذلـك. فالأحنـاف هـم الذيـن نبـذوا عبادة الأصنـام في الجاهليـة، و وحـدوا الله تعـالى، بعـد البحث والجدّ والاجتهـاد، فكانوا مـن أتبـاع ملّـة إبراهيـم حنيفـاً، ففارقـوا في موقفهـم هـذا مـا عليـه قومهـم.. و زيـد بـن عمـرو بـن نفيـل، كان واحـداً ممن ضمّهـم اجتماع لقريش يومـاً في عيد لهم عنـد صنم من أصنامهـم، كانوا يعظمونـه وينحرون له، ويعكفون عنـده، ويدورون بـه، وكان ذلك عيداً لهـم في كلّ سـنة يومـاً، فخلـص منهم أربعـة نفر نجيـا، ثم قـال بعضهم لبعـض: تصادقوا وليكتـم بعضكـم على بعض، قالـوا: أجل. وهـم: ورقة بـن نوفل، وعبيـد الله بن جحش، و أُمّـه أميمـة بنـت عبـد المطلـب، وعثمان بـن الحويـرث، وزيد بـن عمرو بـن نفيل.

فقـال بعضهـم لبعـض: تعلَّمـوا والله مـا قومكـم عـلى شيء! لقد أخطئـوا ديـنَ أبيهم إبراهيـم. مـا حجـر نُطيف بـه، لا يسـمع ولا يُبـصر ولا يضرّ ولا ينفـع! يا قوم، التمسـوا

لأنفسكم ديناً، فإنكم والله ما أنتم على شيء. فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم... ومما قاله زيد بن عمرو بن نفيل في فراق قومه..:

أربًّا واحداً أم ألف ربٍّ ... أدين إذا تُقسمت الامورُ

عزلتُ اللات والعزى جميعاً ... كذلك يفعل الجلد الصبورُ

فلا العُزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنمي بني عمرو أزورُ

ولا هُبلاً أدين وكان ربّاً ... لنا في الدهر إذ حلمي يسيرُ

ولكن أعبد الرحمن ربّي ... ليغفر ذنبي الربُّ الغفورُ

فتقوى الله ربّكم احفظوها ... متى ما تحفظوها لا تبوروا

ترى الأبرار دارهم جِنان ... وللكفّار حامية سعيرُ

وخزي في الحياة وأن يموتوا ... يلاقوا ما تضيق به الصدورُ.

وهنا نعرض لما ذكره **الرازي** في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾.

وما حكاه عن القفال في السؤال الثالث وما ذكر فيه من الإشكال، وذلك بعد أن يُشير إلى أنَّ: الظاهر أنَّ الله تعالى لو ردَّ هذا الدعاء لصرح بذلك الردّ، فلما لم يصرح بالردّ، علمنا أنه أجابه إليه. وبعد أن ذكر هذا، يقول: وحينئذ يتوجه الإشكال، فإنَّ في زمان أجداد محمد صلى الله عليه وآله لم يكن أحد من العرب مسلماً، ولم يكن أحد سوى العرب من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وفي جوابه ينقل ما ذكره القفال: أنه لم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، ولم تزل الرسل من ذرية إبراهيم، وقد كان في الجاهلية: زيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة (الأيادي)، ويقال: عبد المطلب بن هاشم جدّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وعامر (وعمرو) بن الظرب، كانوا (كانا) على دين الإسلام، يقرون بالإبداء والإعادة، والثواب والعقاب، ويوحدون الله تعالى، ولا يأكلون الميتة، ولا يعبدون الأوثان.

فهـم جميعـاً ـ ولعلّه بدليل سـياق الآيات٢٦-٢٧ من سـورة البقـرة وبغيرها من آيات تتحـدث عـن هـذا الوادي ومـا يتعلق ببيت الله الحـرام فيه ـ ومَـن كان قبلهـم أهل الحرم، وهـم المقصـودون الذيـن شـملهم دعـاء إبراهيم بالـرزق، ولكـن مَـنْ آمَـنَ مِنْهُـمْ بِالله وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ، ﴿وَإِذْ قَـالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَـلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَـهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَـنْ آمَـنَ مِنْهُـمْ بِـاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَـن كَفَـرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيـلاً ثُمَّ أَضْطَـرُّهُ إِلَى عَـذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ المَـصِيرُ﴾.

وبالتـالي يمكـن القـول بأنّهـم أمّـة محمد بـن عبـد الله صلـوات الله وسـلامه عليه على الخصـوص الذيـن هـم في: أُمَّ الْقُـرَى وَمَنْ حَوْلَهَـا، وهـي مكـة. خصوصـاً وأنَّ نبـيّ الله وخليلـه إبراهيـمعليه السلام إنما وقع دعـاؤه لذريته سـواء بالأمن وبالرزق وبالإسـلام وبالصلاة و... وهـو بمكـة لا بغيرهـا، بـل بـوادي مكـة نفسـها، وهـذا قرينـة بـل دليـل عـلى أنَّ مـراده عليه السلام سـكنة هـذه البقعـة من عهـده إلى قريـش بقبائلهـا، وبالـذات إلى صالحيهم من ذرية إسـماعيل عليه السلام...

صاحـب المنـار: ذكـر الله تعـالى العـرب أوّلاً بنعمتـه عليهـم بهـذا البيـت؛ أن جعلـه مثابـةً للنـاس وأمنـاً، وبدعـاء إبراهيـم عليـه الصلاة والسـلام لبلـد البيت واسـتجابة الله تعـالى دعـاءه إذ جعلـه بلـداً آمنـاً تجبى إليـه الثمـرات مـن البـلاد البعيـدة ، فيتمتّـع أهله بهـا، وهـي نعـم يعرفونهـا لا ينكرهـا أحـد، وانتقـل منهـا إلى التذكـير بالنعـم المعنويّـة، فذكـر عهـده إلى إبراهيـم وإسـماعيل بـأن يطهـرا بيتـه للطائفـين والعاكفـين والركّـع السـجود؛ لينبههـم بإضافـة البيـت إلى نفسـه: إنّـه لا يليـق أن يعبد فيـه غـيره. وبتطهيره؛ لأجـل الطـواف والاعتـكاف والصـلاة: أنّـه يجـب تنزيهـه عـن الأصنـام والتماثيـل وعبادتهـا الفاسـدة، وعـن سـائر الأعـمال الذميمـة، كطـواف العريـان وكانـوا يفعلونـه. ثـم ذكرهم بعد هذا بأنّ إبراهيمعليه السلام هو الذي بنى هذا البيت بمسـاعدة ابنه إسـماعيلعليه السلام، وذكـر لهم مـن دعائهما هنالك ما يرشـدهم إلى العبـادة الصحيحة والدين الحـقّ، ويجذبهم

إلى الإقتداء بذلك السلف الصالح الذي ينتمون إليه ويفاخرون به، فإنّ قريشاً كانت تنتسب إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بحقّ، وتدّعي أنّها على ملّة إبراهيم عليه السلام، ولذلك كانت ترى أنّها أهدى من الفرس والروم، وسائر العرب تبع لقريش... ثمَّ يذكر قول أستاذه الإمام محمد عبده: قال الأستاذ الإمام: أضافا الذرية إلى ضمير الإثنين، للدلالة على أن المراد الذريّة التي تنسب إليهما معاً، وهي ما يكون من ولد إسماعيل، اللفظ ظاهر في هذا المعنى، ويرجّحه الحال والمحل الذي كانا فيه، وعزم إبراهيم عليه السلام على أن يدع إسماعيل عليه السلام في بلاد العرب داعياً إلى توحيد الله، وإسلام القلب إليه، ويرجع هو إلى بلاد الشام. وكذلك الدعاء لهذه الذريّة بأن يبعث الله فيهم رسولاً منهم كما سيأتي. وقد استجاب الله تعالى دعاء إبراهيم وولده عليهما السلام، وجعل في ذريتهما أمّة الإسلام، وبعث فيها منها خاتم النبيّين عليه الصلاة والسلام، وإلى هذا الدعاء الإشارة بقوله في سورة الحجّ: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾.[1]

وبالتالي حصلت من ذلك أُمّة مسلمة؛ وليتضح لنا أكثر من خلال إجاباتهم عن السؤال: مَن هي هذه الأُمّة؟!

والتي يقول عنها ابن عاشور: والأمّة اسم مشترك يطلق على معان كثيرة، والمراد منها هنا الجماعة العظيمة التي يجمعها جامع له بال من نسب أو دين أو زمان، ويقال: أمّة محمد مثلاً للمسلمين؛ لأنهم اجتمعوا على الإيمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله، وهي بزنة فُعله، وهذه الزنة تدلّ على المفعول مثل لقطة وضحكة وقدوة، فالأمّة بمعنى مأمومة، اشتقت من الأم بفتح الهمزة وهو القصد؛ لأنَّ الأمة تقصدها الفرق العديدة التي تجمعها جامعة الأمة كلّها، مثل الأمة العربية؛ لأنها ترجع إليها قبائل العرب، والأمة

1 . انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ١٢ : ٣٧، بتصرف ؛ مروج الذهب للمسعودي ١ : ٧٨ ؛ السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٢٢٢ـ٢٢٩، بتلخيص ؛ مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ؛ تفسير البحر المحيط، أبو حيان (ت٧٥٤هـ) ؛ تفسير المنار، محمدرشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ) : الآية .

الإسلامية؛ لأنها ترجع إليها المذاهب الإسلامية... ويقول أيضاً: وقد استجيبت دعوة إبراهيم في المسلمين من العرب الذين تلاحقوا بالإسلام قبل الهجرة وبعدها حتى أسلم كلّ العرب إلّا قبائل قليلة لا تنخرم بهم جامعة الأمة، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَابعَث فيِهِم رَسُولاً مِنهُم﴾.[1] وأما من أسلموا من بني إسرائيل مثل عبد الله بن سلام فلم يلتئم منهم عدد...[2]

ونبدأ بما ذكره أقدم المفسرين السُّدِّي الكبير، (ت١٢٨هـ)، قول السُّدِّي: نفرده تحت هذا العنوان؛ لأهمية قوله، ولأنه الأقدم، ولأنّه صار محل قبول أو ردٍّ من قبل بعض كبار المفسرين. وأما قوله فهو: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾: يعنيان العرب.[3]

وقول الطبري، ـ وكما ذكرناه في الحلقة السابقة، نعيده لنذكر ردَّ ابن كثير عليه ـ بعد أن يذكر قول السدي: وقد قيل: إنهما عنيا بذلك العرب. ذكر من قال ذلك:.. عن السدي: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾، يعنيان العرب. يردُّه الطبري قائلاً: وهذا قول يدلّ ظاهر الكتاب على خلافه؛ لأنَّ ظاهره يدلّ على أنهما دعوا الله أن يجعل من ذريتهما أهل طاعته وولايته والمستجيبين لأمره، وقد كان في ولد إبراهيم العرب وغير العرب، والمستجيب لأمر الله، والخاضع له بالطاعة من الفريقين، فلا وجه لقول من قال: عنى إبراهيم بدعائه ذلك فريقاً من ولده بأعيانهم دون غيرهم، إلّا التحكم الذي لا يعجز عنه أحد... وأما الأمة في هذا الموضع، فيقول عنها الطبري: فإنه يعني بها الجماعة من الناس، من قول الله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾.[4]

---

١. سورة البقرة: ١٢٩.

٢. التحرير والتنوير: الآية.

٣. انظر تفسير السُّدِّي الكبير للإمام أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير (ت ١٢٨هـ)، جمع وتوثيق ودراسة الدكتور محمد عطا يوسف: ١٣٢ والهامش ٣.

٤. سورة الأعراف: ١٥٦.

فيما **ابن كثير يقول**:.. وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي، فإنَّ تخصيصهم بذلك لا ينفي مَن عداهم، والسياق إنما هو العرب، ولهذا قال بعده: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، الآية. والمراد بذلك محمدﷺ، وقد بعث فيهم كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾، ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

الطوسي - وقد ذكرنا قوله في الحلقة السابقة -: وانما خصّا بالدعوة بعض الذرية في قوله: ﴿ومن ذريتنا﴾؛ لأنَّ (من) للتبعيض من حيث أنّ الله تعالى كان أعلمه أنَّ في ذريتهما من لا ينال العهد؛ لكونه ظالماً. ثمَّ نقل قول السدي: وقال السدي: إنما عنيا بذلك العرب. لكنه قال: والأول هو الصحيح. وهو قول أكثر المفسرين.

وتبعه في هذا **الشيخ الطبرسي**، والذي بعد أن يذكر ما جعله القول الأول: أي واجعل من ذريتنا أي من أولادنا ومن للتبعيض، وإنما خصّا بعضهم؛ لأنه تعالى أعلم إبراهيمعليه السلام أنّ في ذريته من لا ينال عهده الظالمين؛ لما يرتكبه من الظلم. وذكر قول السدي: أراد لذلك العرب. ثم يختار الأول بقوله: والصحيح الأول، ﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾، أي جماعة موحدة منقادة لك يعني أمّة محمدﷺ بدلالة قوله: ﴿وَابعَث فِيهِم رَسُولاً مِنهُم﴾؛ وروي عن الصادقعليه السلام أنَّ المراد بالأُمّة بنو هاشم خاصة. وغير ذلك من الأدلة القاطعة...

الزمخشري: أراد بالأُمة أمّة محمدﷺ.

فيما **يقول القرطبي**: الذي ذكرنا في الحلقة السابقة أنّه يذهب إلى (مِن) البعضيّة في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾، وحكى الطبري أنه أراد بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾، العرب خاصة. ثمَّ نقل **قول السهيلي**: وذريتهما العرب؛ لأنهم بنو نَبت بن إسماعيل، أو بنو تيمن بن

إسماعيل. ويقال: قَيْدَر بن نبت بن إسماعيل. أما العدنانية فمن نبت، وأما القَحْطانية فمن قيدر بن نبت بن إسماعيل، أو تيمن على أحد القولين.

قال ابن عطية : وهذا ضعيف؛ لأنَّ دعوته ظهرت في العرب وفيمن آمن من غيرهم ...[1]

رواية أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام، ذكر صاحب تفسير البرهان: عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام: قلتُ له: أخبرني عن أُمّة محمد صلى الله عليه وآله، مَن هم؟ قال: «أُمّة محمد بنو هاشم خاصة». قلت: فما الحجّة في أُمّة محمد أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: «قول الله»: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.[2]

فلما أجاب الله إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام، وجعل من ذريتهم أُمّةً مسلمةً، و بعث فيها رسولاً منها ـ يعني من تلك الأُمّة ـ يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة.

ردف دعوته الأُولى بدعوته الأخرى، فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة

---

١ . انظر جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري(ت٣١٠هـ) ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(ت٧٧٤هـ) ؛ تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي(ت٤٦٠هـ) ؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي(ت ٥٤٨هـ) ؛ تفسير الكشاف، الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) : الآية ؛ وكذا الآية ٥٥ من سورة النور. والآية ٢٩ من سورة الفتح ؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(ت٦٧١هـ): الآية ؛ تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي(ت٧١٠هـ) ؛ تفسير البحر المحيط، أبو حيان(ت٧٥٤هـ) ؛ تفسير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي(ت ٦٠٦هـ) ؛ تفسير فتح القدير، الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ) ؛ تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ).

٢ . سورة البقرة: ١٢٧ـ١٢٨.

الأصنام؛ ليصحّ أمره فيهم، ولا يتبعوا غيرهم، فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

ففي هذه دلالة على أنه لا يكون الأئمة والأُمّة المسلمة التي بعث فيها محمداً صلى الله عليه وآله، إلّا من ذرية إبراهيم عليه السلام؛ لقوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾، وذكر صاحب البرهان روايةً أُخرى عن علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾. قال: يعني من ولد إسماعيل عليه السلام، فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام».[2]

وعن الرواية الأولى التي أيضاً يذكرها **السيد العلّامة الطباطبائي** عن تفسير العياشي عن الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام، «قال: قلت له: أخبرني عن أُمّة محمد عليه الصلاة و السلام، مَن هم؟ قال: أُمّة محمد بنو هاشم خاصة». قلت: فما الحجّة في أُمة محمد أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: ...». وبعد أن يذكرها يقول عن استدلال الإمام عليه السلام فيها: استدلاله عليه السلام في غاية الظهور، فإنَّ إبراهيم عليه السلام إنما سأل أمة مسلمة من ذريته خاصة، ومن المعلوم من ذيل دعوته: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾.[3] أنَّ هذه الأُمّة المسلمة هي أُمّة محمد صلى الله عليه وآله. لكن لا أُمّة محمد بمعنى الذين بعث صلى الله عليه وآله إليهم. ولا أُمّة محمد بمعنى مَن آمن بنبوّته. فإنَّ هذه الأُمّة أعمّ من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. بل أُمّة مسلمة هي من ذرية إبراهيم عليه السلام.

ويواصل السيد كلامه قائلاً: ثم سأل ربّه أن يجنب ويبعد ذريته وبنيه من الشرك والضلال وهي العصمة، ومن المعلوم أنَّ ذرية إبراهيم وإسماعيل ـ وهم عرب مضر

---

١ . سورة إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦ .

٢ . البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧هـ)، ١٢: ٦٤٤، ١٣: ٦٤٥ .

٣ . سورة البقرة: ١٢٩ .

أو قريش خاصة ـ فيهم ضال ومشرك، فمراده من بنيه في قوله: ﴿وَبَنِيَّ﴾، أهل العصمة من ذريته خاصه، وهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام، فهؤلاء هم أُمّة محمد صلى الله عليه وآله في دعوة إبراهيم عليه السلام.

ولعلَّ هذه النكتة هي الموجبة للعدول عن لفظ الذرية إلى لفظ البنين، قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، حيث أتى بفاء التفريع، وأثبت مَن تبعه جزءًا من نفسه، وسكت عن غيرهم، كأنه ينكرهم ولا يعرفهم. هذا وقوله عليه السلام: «فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام، إنما سأل إبراهيم عليه السلام التطهير من عبادة الأصنام، إلّا أنه عليه السلام علّله بالضلال، فأنتج سؤال التطهير من جميع الضلال من عبادة الأصنام ومن أي شرك حتى المعاصي، فإنَّ كلَّ معصية شرك كما مرّ بيانه في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وقوله عليه السلام: ففي هذا دلالة على أنه لا يكون الأئمة والأمة المسلمة... أي إنهما واحد، وهما من ذرية إبراهيم كما مرّ بيانه.

فإن قلتَ: لو كان المراد بالأُمّة في هذه الآيات ونظائرها كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾.[1]

عدة معدودة من الأُمّة دون الباقين، كان لازمه المجاز في الكلام من غير موجب يصحح ذلك، ولا مجوّز لنسبة ذلك إلى كلامه تعالى، على أن كون خطابات القرآن متوجهة إلى جميع الأُمّة ممن آمن بالنبيّ ضروري لا يحتاج إلى إقامة حجّة.

قلتُ: إطلاق أُمّة محمد وإرادة جميع مَن آمن بدعوته من الاستعمالات المستحدثة بعد نزول القرآن وانتشار الدعوة الإسلامية، وإلّا، فالأُمّة بمعنى القوم كما قال تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾.[2] وربما أطلق على الواحدة كقوله تعالى:

---

١ . سورة آل عمران : ١١٠ .

٢ . سورة هود : ٤٨ .

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلهِ...﴾. وعلى هذا فمعناها من حيث السعة والضيق يتبع موردها الذي استعمل فيه لفظها، أو أُريد فيه معناها. فقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾.

والمقام مقام الدعاء بالبيان الذي تقدم ـ لا يراد به إلّا عدّة معدودة ممن آمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله وكذا قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. وهو في مقام الامتنان وتعظيم القدر وترفيع الشأن، لا يشمل جميع الأُمّة، وكيف يشمل فراعنة هذه الأُمّة ودجاجلتها، الذين لم يجدوا للدين أثراً إلّا عفوه ومحوه، ولا لأوليائه عظماً إلّا كسروه. وسيجيء تمام البيان في الآية إن شاء الله فهو من قبيل قوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.[1] فإنَّ منهم قارون، ولا تشمله الآية قطعاً. كما أنَّ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُواْ هَـٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾.[2] لا يعمّ جميع هذه الأُمّة، وفيهم أولياء القرآن. ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ﴾. وأما قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[3]

فالخطاب فيه متوجة إلى جميع الأُمّة ممن آمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله، أو مَن بعث إليه.[4]

للبحث صلة

---

١ . سورة البقرة: ٤٧ .

٢ . سورة الفرقان: ٣٠ .

٣ . سورة البقرة: ١٣٤ .

٤ . انظر الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي (ت١٤٠١هـ): الآية، وقد آليتُ أن أنقل هذا البحث كاملاً للسيد العلّامة رضوان الله تعالى عليه لأهمّيته وفائدته!

رسالة في فروض الحج والعمرة

لأحد أعلام الطائفة - القرن ١٠-١١هـ

إعداد وتصحيح : الشيخ هادي القبيسي العاملي

تلخيص البحث :

رسالة في فروض الحج والعمرة

رسالة مختصرة جامعة شاملة لجميع الواجبات و أغلب المستحبات بطريقة سهلة، وضعها المصنّف بحسب الظاهر لعامّة المكلّفين ليتسنى لهم الرجوع إليها بدون تكلّف، ذكر فيها جميع نيّات الحج التي يظهر أنه استفادها من رسالة الشهيد الثانيقدس سره هذا من ناحية المتن.

وأما من ناحية السند، فلم نستطع التعريف على مؤلّفها ولا كاتبها ولاتأريخ كتابتها إلّا ما وقفنا عليه من بعض القرائن الدالّة على أنها تعود لأواخر القرن العاشر أو أوائل الحادي عشر من الهجرة، إن من حيث نوع الورق والحبر والخط، وإن من حيث أنه نقل كلاماً لأحد العلماء لم نقف على قائل له إلّا الشهيد الثانيقدس سره.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين الملهم عباده حمده، نحمده حمداً منتهى رضاه، الواحد الأحد الصمد، الذي ليس كمثله شيء، والصلاة والسلام على رسوله ونبيّه محمّد، الذي بعثه بالحق بشيراً ونذيراً ودالًّا عليه، وهادياً إليه، ومستنقذاً عباده من الجهالة وحيرة الضلالة، وعبادة الأوثان والأصنام، وجاعلاً منهم بعبادته خير المخلوقات وبمعصيته أسوأ الموجودات.

وبعد، إنّ أوّل ما دعا إليه النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله الناس هو التوحيد لله تعالى ونبذ الأصنام والأوثان التي لا حول لها ولا قوّة، التي انتشرت عبادتها في الجزيرة العربية وباقي البلدان في أقطار العالم.

فدعاهم إلى عبادة إله واحد أحد فرد صمد لا شريك له ولا ولد، وبما أنّ هذه الدعوة تبطل جميع الإدعاءات من الديانات الواهية، فكانت بطبيعة الحال مورداً لإزعاج زعمائهم وكبارهم، ولهذا عارضوه ونابذوه في دعوته، وحاكوا له أنواع المؤامرات والحيل للقضاء عليه وعلى دعوته، مما اضطرّه ـ بعد وفاة عمّه أبي طالب عليه السلام مؤمن آل قريش والمحامي عن نبيّه بكلّ ما أُوتي من قدرة ـ إلى الهجرة وترك مكّة المكرّمة مهد الدعوة الإسلاميّة، فاستقبلته المدينة المنورة ومنها انطلقت حركة نشر الإسلام وترسيخ الدعوة، وخاض فيها عدّة حروب مع مشركي قريش، فنصره الله عليهم وكسر شوكتهم.

وبعد أن حقّق المسلمون الإنتصارات الإلهية، عزم النبيّ صلّى الله عليه وآله على دخول مكّة لأداء فريضة الحجّ، وفعلاً دخلها فاتحاً فكسّر ما فيها من أصنام وأدّى الفريضة الدينيّة والأخلاقيّة بما لها من معاني وتفاصيل.

نعم، لقد تجسّدت في هذا العمل العبادي كلّ صور التوحيد والطاعة والعبوديّة، ابتداءً من لبس ثوبي الإحرام والتجرّد عن كلّ أنواع اللباس والحليّ إلى أذكار التلبية،

ومـروراً بدخـول البيـت والطواف حـول الكعبة والسـعي، وانتهـاءً بالمشـاعر في عرفات والمشـعر الحـرام ومنـى، التي تجلّت فيها معـاني العبوديّـة والتذلّل لله تعـالى، وختاماً برجم الشـيطان وكلّ مـا يوسوسـه، وتقديـم القربـان للبـاري جـلّ وعـلا؛ ليبيّن للنـاس معنى الطاعـة والإنقيـاد لـربّ الأربـاب، الـذي لا تكـون العبـادة لغيره، فكانت هذه الشـعائر مدرسـة توحيديّـة بامتيـاز، ودروسـاً أخلاقيّة سـامية المعاني.

فلأهميّـة هـذا العمـل وهـذه العبـادة اقتضـت الحاجـة إلى بيـان أحكامهـا وتعاليمها، فصنّـف العلماء في الحـج كتباً مفصّلة ومختصرة، فـكان منها هذه الرسـالة الماثلة بين أيدينا.

قبـل فـترة مـن الزمـن طلـب منّـا أحـد المحققـين رسـالة محفوظـة ضمـن مجموعة في مكتبـة الفاضـلي الخوانسـاري في مدينة خوانسـار في الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانية برقم ٢٤٤ ذكـرت في فهرسـها :٢١١، وبـما أنّهـا مكتبـة خاصّـة فقـد اسـتغرق للحصـول على مصـوّرة عنهـا مـدّة من الزمـن، وبعد أن حصلنـا عليها وهـي مجموعة من الرسـائل، قمنا بتصفحهـا فعثرنـا في الفقـرة الثانية منها على رسـالة مختصـرة في الحـج فقرأناهـا فأُعجبنا بأسـلوبها عـلى صغر حجمها، فكانت مشـتملة على جميـع واجبات الحـج والعمرة وبعض المسـتحبات، وقـد رتّبهـا المؤلـف ﷺ عـلى مقدّمـة ومقالتـين وخاتمـة، وحـرص عـلى ذكر نيّـات جميع الأعمال بالتفصيـل. إلّا أنّ الذي أزعجنـا في الأمر أنّ المؤلّف لم يذكر أسـمه في مقدّمتهـا ولا في خاتمتهـا، ولا صرّح باسـمها، بـل ولم تذيـل بتاريخ كتابتها وهـذا مما دعانا إلى تكثيـف الجهـود للبحث والتحرّي عنها عسـى أن نقف على إشـارة أو علامة تهدينا إلى مؤلّفهـا، فبدأنـا البحـث في بطون الكتب التـي تُعنى بالـتراث وبتراجم العلـماء، فلم نجد لهـا أثـراً ولا ذِكـراً، فأدركنـا أنّ هـذه الرسـالة لم يقـع عليها ناظر أحـد من المعنيّـين في هذا الشـأن، بـل لم يتعـرّف عليهـا حتّـى صاحـب المكتبة التـي هي فيهـا، حيـث لم يكتب على ظهرهـا شيء يـدلّ عـلى ما يرفـع الإبهام.

نعـم، الـذي عرفنـاه من هـذه الرسـالة أنّ مؤلّفهـا من علماء فـارس؛ حيـث أورد جملة

بالفارسية في آخر دعاء دخول المسجد الحرام قائلاً: (سه بار بگويد، وبگويد)، وأنّه من أعلام القرن العاشر والحادي عشر الهجري، لما يلي:

١. من خلال الخط ونوع الورق.

٢. من حيث أنه نقل كلاماً عن الشهيد الثاني قدس سره نيّات أعمال الحجّ دون التصريح بالنقل عنه.

٣. روى رواية في كيفيّة الإحرام بلسان لم ينقله إلّا الشهيد الثاني في المقاصد العليّة.

ولكن مع كلّ هذا عزمنا على تصحيحها ونشرها حتى نكون قد ساهمنا في إحياء أثر من آثار علمائنا الأبرار، فهو وإن جُهل إسمه إلّا أنّ هذا لا يمنع أن يكون عمله هذا صدقة جارية له، فيدعو له كلّ من وقف عليها واطلع على محتواها، هذا مضافاً إلى وجود احتمال أن يسهم نشرها في التعرّف عليها أكثر، فكم وكم من آثارٍ كانت مجهولة المؤلف وتمّ التعرّف عليها فيما بعد، فنكون ممن وضع اللبنة الأولى للوقوف على مؤلِّفها الراحل. فعلى روحه الرحمة والبركة.

فكان عملنا في هذه الرسالة ما يلي: قمنا بتنضيدها ومقابلتها على النسخة الفريدة وتصحيح بعض الأخطاء، ومن ثمّ تخريج الآيات والروايات، وتقويم النصّ وتقطيعه إلى فقرات حسب قواعد التحقيق المتعارفة؛ لتسهيل الاستفادة منها، ومنه نستمدّ التوفيق.

وأخيراً نشكر كُل من ساهم في الحصول عليها وعلى نشرها، ونختصّ بالذكر جناب الشيخ مهدي الدليري الگلپايگاني الذي تجشّم عناء الحصول على صورة منها، فللّه درّهم وعليه أجرهم.

وكتب هادي الشيخ حسن القبيسي العاملي، حامداً مصلّياً

١٣ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ

وفاة أُم البنين عليها السلام

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمـد لله حمـداً كثيـراً عـلى عظيـم نواله وجزيـل إفضالـه، حمـداً يليق بعظمـة جلاله، والصـلاة على سـيدنا محمّـد النبـي وآله.

وبعـد، فهـذه جملة مشـتملة عـلى ما لابـدّ منه من فـروض الحـج والعمرة، ومـا يلحق بهـما مـن المنـدوب والأذكار عـلى وجـه الاختصـار، وهـي مرتبّـة عـلى مقدّمـة ومقالتـين وخاتمة.

أمّا المقدمة: ففي بيان الوظائف المتقدّمة على الأفعال.

ينبغـي لمـن عزم على الحـج أن يقطع العلائـق بينه وبـين معامليه ويوصـل كلّ ذي حقٍّ حقّـه ويـوصي بما لـه وعليه من حـقّ الورثـة والغرمـاء، وأن يكـون السـبت أو الثلاثاء أو الخميـس، ورفيقـاً صالحـاً، ويصـلّي ركعتـين ويقـرأ فيهما ما شـاء مـن القرآن، ويسـأل الله تعـالى الخـيَرة له في السـفر، ويقـول عقيبهما:

اللّهم إنّي استودعك نفسي وأهلي ومالي وذريّتي وديني ودنياي.[1]

ويسـتفتح سـفره بشيءٍ مـن الصدقـة يتّقي بها المكاره، فإذا خـرج مـن داره وقف على بابهـا واسـتقبل الوجـه الـذي يتوجّـه لـه، وقرأ فاتحـة الكتـاب وآيـة الكرسي أمامـه وعن يمينه ويسـاره، ثـمّ يقول:

اللّهـم احفظنـي واحفـظ ما معي، وسـلّمني وسـلّم مـا معـي، وبلّغني وبلّـغ ما معي ببلاغك الحسـن الجميـل.[2] ويدعـو بكلمات الفـرج وبعدهـا بالمنقول.

ثـمّ ينـوي: أتوجّـه إلى البيـت الحرام والمشـاعر العظـام لأعتمـر عمرة الإسـلام عمرة

---

١ . الكافي ٤: ٢٨٣/ ١، وسائل الشيعة ١١: ٣٨٠ الباب ١٨ من أبواب آداب السفر في الطاعات، ح١.

٢ . الكافي ٢: ٥٤٣/ ٩، وسائل الشيعة ١١: ٣٨١ الباب ١٩ من أبواب آداب السفر في الطاعات، ح١.

التمتع، وأحجّ حجّ الإسلام حجّ التمتع؛ لوجوبه قربة إلى الله.

وليخرج متطهّراً متحنّكاً ليرجع إلى أهله سالماً إن شاء الله تعالى.

وليقل عند الركوب: بسم الله والله أكبر، فإذا استوى على الراحلة قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام ومنّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله، سبحان الله، سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين، وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون والحمد لله ربّ العالمين، اللّهم أنت الحامل على الظهر، المعين على الدهر، اللّهم بلّغنا بلاغاً يبلغ إلى الخير، بلاغاً يبلغ إلى رحمتك ورضوانك ومغفرتك، اللّهم لا طير إلّا طيرك، ولا خير إلّا خيرك، ولا حافظ غيرك.

وليكثر من ذكر الله تعالى وبذل الزاد وتطييبه وتحسين الخلق؛ ليستشعر أنّه دليل على سفر الآخرة، فيذكر عند وصيّته وجمع أهله اجتماعهم عند تمرضهم ووصيّة موته.

وتشييع إخوانه لتشييع جنازته للصلاة عليه، ورجوعهم عنه رجوعهم عن جنازته.

وبخروجه من العمران ودخوله في البرّ الأقفر رجوع المعارف وأهل العمران عند إنزاله القبر واستلام أهله وولده وتخليتهم بينه وبين عمله.

وبما يقاسيه من استيحاشه من البريّة واللصوص والأعراب وحشة القبر وأهواله ومفازعه، وبكثرة ما فيها من الصخور والوعر صمومة منكرٍ ونكيرٍ وروعتهما، وببهضه في البرية أكل الدود له، وبشعثه وبؤسه طول بلاياه.

ويتذكّر عند خلع المخيط خلع ثيابه على المغتسل، وبلبس ثياب الإحرام لبسه للأكفان، وباستواء العزيز والذليل والغنّي والفقير في التجرّد وإماطة الملابس وكشف الرؤوس استواءهم في التكفين وخروجهم من القصور إلى القبور، وبإسفار وجه المرأة وكشف رأس الأقرع هتك السرائر وإبداء الضمائر في عرصة الساهرة.

وبالتلبية وخشوعها إجابة نداء داعي القيامة عند نفخ الصور وتبعثر ما في القبور.

وبدخول مكة ومشاهدته الناس مقبلين من أطراف البلاد شعثاً غبراً حشرهم في

عرصة القيامة واجتماعهم على صعيدها ولهينَ مذهولين.

وبرؤية البيت وجلالة البيت ومهابته وقوفه بين يدي ربّه، وبإتيانه المستجار وذكر ذنوبه عنده نداء المنادي ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.[١]

وبخروجه إلى عرفات ووقوفه بها إلى غروب الشمس وقوف الخلائق في عرصة القيامة مهطعين إلى الداعي، منتظرين ما يُقضى عليهم من سعادة أو شقاوة.

وبوقوفه في المشعر الحرام وبإتيانه منى وقضاء مناسكها، ثمّ إتيانه مكّة وقضاء مناسكها منسكاً بعد منسك إحضاره مواقف القيامة، وهي خمسون موقفاً يلبث في كلّ موقف ألف سنة في يوم،[٢] مقداره خمسون ألف سنةٍ ممّا تعدّون.

ويتذكّر عند صعود عقبة منى وقضاء مناسكه وقد حُطّت عنه أثقاله جوازه عقبة الصّراط، وبرؤيته أهل منى على اختلاف طبقاتهم، فيرى منهم من بضاعته الدرّ وخالص الذّهب والمسك، ونفائس الجواهر والعقايق،[٣] ومنهم الطبّاخ والخبّاز والمتطفّل على سقط الذبّائح وفيما بينهما من المراتب تفاوت طبقات أهل الجنّة وتفاضلهم في درجاتها.

وليكن بعد الحج خيراً منه قبله، وليعلم أنّه في خفارة الحجّ مائة يومٍ آخرها عشرين من ربيع الأوّل كما ورد به النقل.[٤]

---

١ . سورة الإسراء ١٧: ١٤.

٢ . وهو يوم القيامة.

٣ . في الموجز الحاوي: «والعقيان» بدل: «والعقايق».

٤ . لم نعثر عليه في مصادر الحديث بهذا النص، والظاهر أنّه نقله عن ابن فهد الحلي في المحرر في الفتوى: ١٥٢، وليس فيه عبارة: «كما ورد به النقل». أي لم ينسبه ابن فهد إلى الرواية، ولكن في نسخة بدل منه كذا: «وليعلم أنّه في خفارة الحج عشرين ومائة يوم آخرها عشرين من ربيع الأوّل» وبناءً على هذه النسخة يمكن أن يكون كلامه مطابقاً لمضمون رواية الكافي عن سعد الإسكاف قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «...حتى يقضي نسكه، فإذا قضى نسكه غفر الله

وليجتهد في إخلاص النيّة وتجريد العزم في حركاته وسكناته بحفظ هذه العبادة العظيمة المشتملة على أصناف أكثر العبادات البدنيّة والماليّة والمسنونة بهما، وعلى ركوب الأهوال وفراق الأهلين وقطعِ العلائق، وعلى التوكّل والتفويض وذكر سفر الآخرة.

وقد ورد في ثوابه ما ينبوا عن الحصر:

فمنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّك إذا توجّهت إلى سبيل الحجّ ومضت بك الرّاحلة لم تضع راحلتك خفًّا ولم ترفع خفًّا إلّا كتب الله لك في كّل خطوة حسنة ومحى عنك سيئة. فإذا أحرمت ولبيّت كتب الله لك بكلّ تلبيةٍ عشر حسناتٍ ومحى عنك عشر سيئات. فإذا طفت بالبيت اسبوعاً كان لك عند الله تعالى ذكراً يستحي أن يعذّبك بعده. فإذا صلّيت ركعتين عند المقام كتب الله لك فيها ألفي ركعة مقبولة.[1] فإذا سعيت بين الصفا والمروة سبعة أشواطٍ كان لك بذلك أجر من عبد الله مثل أجر من حجّ ماشياً من بلاده، ومثل من أعتق سبعين رقبةً مؤمنة. وإذا وقفت بعرفات إلى غروب الشمس فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج وزبد البحر لغفرها الله لك. فإذا رميت الجمار كتب الله لك بكّل حصاة عشر حسنات. فإذا ذبحت هديك كتب الله لك بكلّ قطرة دمٍ من دمها حسنة. فإذا طفت بالبيت اسبوعاً للزيارة وصلّيت عند المقام ركعتين

له ذنوبه، وكان ذا الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأوّل أربعة أشهر تُكتب له الحسنات، ولا تُكتب عليه السيئات إلّا أن يأتي بموجبة، فإذا مضت الأربعة الأشهر خُلط بالناس». الكافي ٤: ٢٥٤/ ٩، وسائل الشيعة ١١: ٩٦، الباب ٣٨، من أبواب وجوب الحج وشرائطه، ح٨. نعم، تبقى جملة في العبارة تتعارض مع الرواية وهي: «آخرها عشرين من ربيع الأوّل» فكيف يكون العدد مائة وعشرون وآخرها «العشرين من ربيع الأوّل» فلا تتوافق مع الأربعة أشهر. ويمكن توجيهها بما يلي: أن نفترض أنّ كلمة «عشرين» نُقلت من أوّل الجملة إلى آخرها مما تسبب بهذا الإختلاف والله تعالى هو العالم.

١. في النسخة: «ألف» وما أثبتناه من المصدر.

ضرب ملك كريم بين كتفيك وقال: امض فقد غُفر لك».[1]

وليُكثر من تلاوة القرآن وصلاة ركعتين في كلّ منزلٍ عند نزوله والارتحال منه، فإذا أشرفت على منزلٍ أو قرية أو بلدةٍ فقل: اللّهم ربّ السماء وما أظلّت، وربّ الأرض وما أقلّت، وربّ الرياح وما ذَرَت، وربّ الأنهار وما جرت، عرِّفنا خير هذه القرية وخير أهلها وأعذنا من شرّها وشرّ أهلها إنّك على كلّ شيءٍ قدير.[2]

المقالة الأُولى في أفعال عمرة التمتع وهي أربعة:

الأوّل: الإحرام، ومعناه توطين النفس على اجتناب عشرين شيئاً.

صيد البرّ: الممتنع بالأصالة من المحلّل كالغزلان والحمام، ومن المحرم صيد الأسد والثعلب والأرنب والضبّ واليربوع والقنفذ، اصطياداً أو أكلاً وإن ذبحه المحلّ،[3] وذبحاً وإشارةً ودلالةً وإغلاقاً مباشرة وسبباً ولو بإعارة سلاح.

واجتناب الاستمتاع بالنساء بالجماع ومقدّماته.

والطيب على العموم، شمّاً وأكلاً وبما مازجه كالمزعفر.

والإدهان وإن لم يكن الدهن مطيّباً.

والإكتحال بالسواد وبما فيه طيب.

وإخراج الدم.

وقصّ الأظفار.

وإزالة الشعر لغير أذى.

وقطع الشجر والحشيش النابتين في الحرم إلّا الإذخر والمحالة، وعوديها، وشجر

١ . من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٢-٢٠٣/ ٢١٣٨، أمالي الصدوق: ٦٤٢/ ٨٧٢، بتفاوت يسير.

٢ . مصباح المتهجّد: ٦٧٥/ ٧٤١.

٣ . في النسخة «المحلّل» وهو من سهو الناسخ، وما أثبتناه هو الصواب.

الفواكـه، وما ينبـت في ملكه.

والكذب.

والجدال، وهو اليمين صادقاً أو كاذباً.

وقتل هوام الجسد كالقمل والبراغيث.

ولبس المخيط للرجل والخنثى، ومثله الزرّ والخلال، ويستثنى المنطقة والهميان.

ولبس ما يستر ظهر القدم للرجل كالخف.

ولبس الخاتم للزينة لا للسنّة، والفارق القصد.

ولبس المرأة ما لم تعتده من الحليّ دون المعتاد مع عدم الزينة وعدم إظهاره للزوج.

والحناء للزينة لا للسنّة.

وتغطيـة الـرأس للرجل ولـو بالارتماس، والوجه للمـراة إلّا القدر الـذي يتوقّف عليه تغطيـة جميـع الـرأس، ويجوز التوسّـد وإن اسـتلزم تغطية بعض الـراس لا حمل الوسـادة ونحوهـا عـلى الـرأس، وكذا يجوز العصابـة للصداع وحمـل عصابـة القربة عـلى الرأس؛ للنصّ.[1]

والتظليل للرجل سائراً اختياراً.

ولبس السلاح اختياراً.

كلّ ذلـك بعـد التلبيـة إلى أن يـأتي المحلّـل مـن الأفعـال، وهـو التقصـير في العمـرة، والحلـق في الحـج، لمـا عـدا النسـاء والطيـب والصيـد الإحرامـي.

ثـمّ يحـلّ مـن الطيـب بالسعي بعـد طـواف الزيـارة، والصيـد الإحرامـي والنسـاء لطوافهـنّ بعـده.

---

١ . مـن لا يحضره الفقيـه ٢: ٢٤٦/ ٢٦٤٢، وفيه: «عصام» بدل «عصابة»، وسـائل الشـيعة ١٢: ٥٠٨، بـاب ٥٧ من أبـواب تروك الإحـرام، ح١.

ويستحبّ قبل الإحرام: توفير شعر الرأس من أوّل ذي القعدة، وتنظيف الجسد، وقصّ الأظفار، وأخذ الشارب، وإزالة شعر الإبط والعانة بالإطلاء دون الحلق، والغسل ـ ولو فقد الماء يتيمم ـ ويجزيء غسل النهار ليومه والليلة لليلته ما لم ينم أو يحدث فيعيده، ولا يُقدَّم على الميقات إلّا لخائف الإعواز، فإن قدّمه وتمكّن بعده استحبّت الإعادة، وصلاة ستّ ركعات سنّة الإحرام أو أربع أو ركعتين، ثمّ صلاة فريضة، والأفضل الظهر، فإن لم يكن وقت فريضة أحرم عقيب فريضة مقضيّة، فإن لم يتفق كفت النافلة المذكورة.

ونيّة الغسل: اغتسل غسل الإحرام لندبه قربة إلى الله.

ونيّة الصلاة: أُصلّي ركعتين من سنّة الإحرام لندبها قربة إلى الله.

وينبغي النيّة عند التجرّد من المخيط: أنزع لبس المخيط لوجوبه قربة إلى الله، وهو شرط في نيل الثواب به، وكذا القول في لبس ثوبي الإحرام، فينوي: ألبس ثوبي الإحرام لوجوبه قربة إلى الله، وليكن لبسها بعد الغسل بغير فصلٍ، بحيث لا يلبس بعده مخيطاً.

ويشترط في الثوبين كونهما من جنس ما يُصلّى فيه، خالية من نجاسة، وساترين للبشرة، فلو حكى أحدهما البشرة لم يجز، فيأتزر بأحدهما ويرتدي بالآخر، بأن يضعه على كتفيه أو يتوشّح به، بأن يضعه على أحد الكتفين، ولو كان الثوب طويلاً فأتزر ببعضه وارتدى بالباقي، أو يوشح أجزاءً. ولا يجوز عقد الرداء ويجوز عقد الإزار، ويلحق بالمخيط ما أشبهه كالدرع المنسوج والثوب المعقود وما أحاط بالبدن من اللبد وغيره، ويجوز الزيادة على الثوبين لنحو الحرّ والبرد لا النقص عنها، وكذا يجوز إبدالهما لكن يستحبّ الطواف فيما أحرم فيه، ويكره غسلهما وإن توسّخا إلّا النجاسة، وبيعهما، وأفضلهما القطن الأبيض، ويكره الأسود والمصبوغ بالمعصفر والوسخ والمعلّم.

فإذا لبس الثوبين أحرم من الميقات.

وهو مسجد الشجرة لأهل المدينة والمجتاز بها، ولا يمنع الحيضُ الإحرامَ ابتداءً

واستدامة، فتُحرِم الحائض من باب المسجد أو منه مجتازة، ولا تصلّي سنّة الإحرام، وتلبس ثيابها طاهرة، فإذا أحرمت نزعتها،[1] ومثلها النفساء.

والجحفة لأهل الشام ومصر، ولا يمكنهم الإحرام من رابع إلّا بالنذر إذا وقع في أشهر الحجّ، وكذا غيره من المواقيت.

ولأهل اليمن يلملم.

ولأهل الطائف قرن المنازل.

ولأهل العراق العقيق، وأوّله المسلخ وهو أفضله، وأوسطه غمرة، وآخره ذات عرق، وما بين الثلاثة فيه بطريقٍ أولى، فيجوز الإحرام ضمنه.

وميقات من منزله دون الميقات منزله، وهذه ميقات عمرة التمتع وحجّ القِران والإفراد.

وميقات حجّ التمتع مكّة، وأفضله المسجد وخلاصته المقام ومن تحت الميزاب. والمكي المقيم بها يحرم بحجّه منها؛ لأنّها دور أهله، وهي أقرب من الميقات.

وكيفيّة الإحرام بعد اللبس أن ينوي: أُحرم بالعمرة المتمتع بها إلى حجّ الإسلام حجّ التمتع، وأُلبّي التلبيات الأربع لعقد هذا الإحرام؛ لوجوب الجميع قربة إلى الله مقارناً بها أوّل التلبية.

وصورتها: لبيك اللّهم لبيك، لبيك إنّ الحمدَ والنعمةَ والملك لك لا شريك لك لبيك، والمعتبر في النيّة القصد إلى الأُمور المذكورة لا اللفظ كباقي النيّات.

ولمّا كان ذلك موقوفاً على فهمها وجب بيان ما يحتاج إليه منها.

فمعنى أُحرم أي: أُوطّن نفسي على ترك الأُمور المذكورة سابقاً.

والعمرة لغة: الزيارة، وشرعاً زيارة البيت لأداء المناسك المخصوصة عنده.

---

١ . للنصّ المروي في تهذيب الأحكام ٥: ٣٨٨/ ١٣٥٧، وسائل الشيعة ١٢: ٤٠٠ الباب ٤٨ من أبواب الإحرام، ح٣.

والمتمتع بها: اسم مفعول من التمتع وهو التلذّذ والانتفاع، سمّيت بذلك لما يتخلل بينها وبين حجتها من الإحلال منها ما حرم بالإحرام.

وإلى الحج أي: يستمر الإنتفاع بها إلى وقت الحجّ، ونيتّها إلى حجّ الإسلام ليتميّز،[1] عن العمرة المتمتع بها إلى حجّ النذر وشبهه.

ولوجوب الجميع: ليمتاز به عن النّدب.

والتقرّب إلى الله تعالى غاية الفعل المتعبّد به، والمراد بالقربة وبالفعل: وقوعه على اسمه الإخلاص، بحيث تستمرّ القربة إلى رضاه سبحانه وإلى ثواب القرب الشرفي لا الزماني والمكانيّ؛ لاستحالتهما على الله تعالى، وامتازت هذه الكلمة،[2] في الطّاعات والعبادات بسبب وقوعها في كلامه تعالى وكلامهم عليهم الصلاة والسّلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ...﴾،[3] «وما يزال العبد يتقرّب إليّ بالصلاة حتّى أُحبّه».[4]

ومعنى لبّيك: إجابة بعد إجابة لك يا ربّ، أو إخلاصاً بعد إخلاص، أو إقامةً على طاعتك بعد إقامة؛ لأنّه إمّا مأخوذ من لبّى إذا أجاب الدعاء، أو من اللّب وهو الخالص من كلّ شيء، أو من لبّ بالمكان إذا قام به.

ومعنى اللّهم: يا الله، ويتعيّن هذا اللفظ، فلو بدّلها بمرادفها لم يجز، وكذا باقي ألفاظ التلبية، ويجوز كسر (ان) وفتحها والأوّل أولى؛ لاقتضائه تعميم التلبية، والثاني بتعليلها بتقدير اللّام للعلّة، وهو يقتضي التخصيص.

---

١ . في النسخة: «يتمّيز» وما أثبتناه للسياق ومن العبارة الآتية.

٢ . في النسخة: «وامتاز هذا» وهو من سهو الناسخ وما أثبتناه هو الأقرب للصواب.

٣ . سورة التوبة ٩: ٩٩.

٤ . الرواية وردت في مصادرهم بـ«النوافل» بدل: «الصلاة» كما في صحيح البخاري ٧: ١٩٠ . والظاهر أن المؤلّف رواها بهذا النص عن الشهيد الثاني في المقاصد العليّة: ٨١ حيث لم نجد من رواها بهذا الشكل غيره.

قيل: وهذه التلبية جواب للنداء المذكور في قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام، ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ...﴾.[1، 2]

وفي تكرار لفظها بعث للقلب على الإقبال على خالص الأعمال، وتلافٍ لما لعلّه وقع من إخلال، ولتكثير الركعات والتسبيحات والتكبيرات.

ويستحبّ الإكثار من التلبيات الواجبة. ومن التلبيات المستحبّة خصوصاً: «لبيك ذا المعارج لبيك» والباقي:[3] «لبيك داعياً إلى دار السلام لبيك، لبيك غفّار الذنوب لبّيك، لبّيك أهل التلبية لبّيك، لبّيك ذا الجلال والإكرام لبيك، لبيك تُبدئ والمعاد إليك لبّيك، لبّيك تستغني ويُفتقر إليك لبّيك، لبّيك مرهوباً ومرغوباً إليك لبّيك، لبّيك إله الحقّ لبّيك، لبّيك ذا النّعماء والفضل الحسن الجميل لبّيك، لبّيك كشّاف الكُرب العظام لبّيك، لبّيك عبدك وابن عبديك لبّيك، لبّيك يا كريم لبّيك، لبّيك أتقرّب اليك بمحمّد وآل محمّد لبّيك، لبّيك بالعمرة المتمتّع بها إلى الحجّ لبّيك».[4]

ويجب المقارنة بين النيّة والتلبية كتكبيرة الإحرام، فيبطل الإحرام بالإخلال واستدامتها حكماً، والإخلال بها مؤثم خاصّة.

ويستحب تكرار التلبية في أدبار الصّلاة المفروضة والمسنونة، وإذا نهض به بغيره أو علا شرفاً أو هبط وادياً، أو مستيقظ بالأسحار عند اختلاف الأحوال، والجهر للرجل، ويقطعها المتمتع إذا شاهد بيوت مكّة، والحاج يقطعها بزوال عرفة.

الثاني: الطّواف: وهو الحركة الدوريّة حول الكعبة القربيّة، والسِرُّ فيه إذلال النفس بتكرّر الدوران حول بيت الملك، على حالة تُشبهُ حالة الميّت في أكفانه؛ طلباً لرضاه

---

١ . سورة الحج: ٢٧.

٢ . القائل الشهيد الثاني في (رسالة: أقل ما يجب معرفته من أحكام الحج): ٣٧٠.

٣ . كذا في النسخة.

٤ . من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٢٩ باب سياق الحج، بتفاوت يسير.

وتحرّياً لغفرانه، ولكنّ الطّواف بالقلب مع الملأ الأعلى كالطّواف بالغالب مع البشرة، وله مقدّمات مسنونة وفروض وسنن.

فالمقدّمات: الغسل عند دخول الحرم، ومضغ الإذخر، والمشي حافياً ونعله بيده. فإذا أراد دخول مكّة اغتسل ثانياً من بئر ميمون بالأبطح أو من غيره ولو في غيره، ولو تعذّر اغتسل بعد دخولها، ويغتسل ثالثاً لدخول المسجد الحرام، ويدخله حافياً خاضعاً خاشعاً من باب بني شيبة ليطأ هُبل، وهو باب السلام إذا دخل منه في المسجد بأزائه، وليقف على الباب ويقول: «السلامُ عليكَ أيّها النبّي ورحمة الله وبركاته، بسم الله وبالله وما شاء الله، والسلام على أنبياء الله ورسله، والسلام على رسول الله، والسلام على إبراهيم خليل الله، والحمد لله ربّ العالمين».[1]

فإذا دخل المسجد رفع يديه واستقبل البيت وقال: «اللهم إنّي أسألكَ في مقامي هذا في أوّل مناسكي أن تقبل توبتي وأن تجاوز عن خطيئتي وتضع عنّي وزري، الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام، اللهم إنّي اُشهدك أنّ هذا بيتك الحرام الذي جعلته مثابةً للناس وأمناً مباركاً وهدىً للعالمين، اللّهم إنّي عبدك والبلد بلدك والبيت بيتك، جئت أطلب رحمتك وأؤم طاعتك، مطيعاً لأمرك راضياً بقدرك، أسألك مسألة الفقير إليك الخائف من عقوبتك، اللهم افتح لي أبواب رحمتك واستعملني بطاعتك ومرضاتك واحفظني بحفظ الإيمان أبداً ما أبقيتني، جلّ ثناءُ وجهك، الحمد لله الذي جعلني من وفده وزوّاره وجعلني ممّن يعمر مساجده وجعلني ممّن يناجيه، اللهم إنّي عبدك وزائرك وفي بيتك وعلى كلّ مأتيّ حقّ لمن زاره وأتاه وأنت خير مأتيّ وأكرم مزورٍ، فأسألك يا الله يا رحمن بأنّك الله لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، وبأنّك واحد أحد صمد لم يلد ولم يولَد ولم يكن له كفواً أحد، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك صلّى الله عليه وآله، يا جواد يا ماجد يا حنّان يا منّان يا كريم، أسألك أن تجعل تحفتك إيّاي

---

١ . مصباح المتهجّد: ٦٧٩/٧٤٦.

مـن زيـارتي إيّـاك فـكاك رقبتي مـن النار، اللهـم فُكّ رقبتـي من النار»، (سـه بـار بگويد، وبگويـد)[1]: «وأوسـع علـيّ من رزقك الحلال وادرأ عني شرّ شـياطين الجـن والإنس وشرّ فسـقة العرب والعجـم»،[2] إلى آخـر الدعاء.

ثـمّ ليتقـدّم إلى البيـت، فـإذا دنـا مـن الحجر الأسـود رفـع يديه وحمـد الله تعـالى وأثنى عليـه وقـال: «الحمـد لله الـذي هدانـا لهذا ومـا كنّـا لنهتـدي لـو لا أن هدانا الله، سـبحان الله والحمـد لله ولا الـه إلا الله والله أكـبر، لا إلـه إلّا الله وحـده لا شريـك له، لـه الملك وله الحمـد يُحيـي ويميـت ويميـت ويحيي وهـو حيّ لا يمـوت بيده الخـير وهو عـلى كلّ شيء قديـر»،[3] ثـمّ يصـلّي عـلى النبـيّ صـلّى الله عليـه وآله كـما تقـدّم ويقـول: «اللّهـم إنيّ أُؤمن بوعـدك وأُوفي بعهـدك، اللّهـم أمانتي أدّيتهـا وميثاقي تعاهدته لتشـهد لي بالموافـاة، اللّهم تصديقـاً بكتابـك وعـلى سـنّة نبيّك صـلّى الله عليه وآلـه، أشـهد أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شريـك لـه، وأشـهد أنّ محمـداً عبده ورسـوله، آمنـت بالله وكفـرت بالجبـت والطاغوت وباللات والعـزّى وعبـادة الشـيطان وعبـادة كلّ نـدٍّ يُدعـى مـن دون الله».[4] ثـمّ يسـتلم الحجـر ويقبّله.

ثمّ يشرع في الطّواف، **وفروضه خمسة عشر**:

أ: الطهـارة مـن الحدث ولـو بالتيمم مع تعـذّر الماء، ومـن الخبث بأنواعـه إلّا أن يُعفى عنـه في الصـلاة إن جـوّز بإدخال النجاسـة غـير الملوِّثة المسـجد، ويعيد ناسي النجاسـة لا الجاهـل بها.

ب: سـتر العـورة الواجبـة سـترها في الصـلاة، ويختلـف بحسـب حـال الطائـف في الذكوريّـة والأُنوثيّـة.

---

١ . تقولها ثلاث مرّات، وتقول:

٢ . مصباح المتهجّد: ٦٧٩/ ٧٤٦.

٣ . مصباح المتهجّد: ٦٨٠/ ٧٤٨.

٤ . م. ن.

ج: الختان في الرجّل المتمكّن منه، وكذا الخنثى المشكل به.

د: النيّـة: أطـوف سـبعة أشـواطٍ في العمـرة المتمتـع بها إلى حجّ الإسـلام حـجّ التمتع، لوجوبه قربـةً إلى الله.

هـ: مقارنتهـا لأوّل الـشروع، وإنّـما يتحقّـق بمحـاذاة أوّل جـزءٍ مـن بدنـه بـإزاء أوّل الحجـر حتّـى يمـرّ عليه كلّـه بجميـع بدنه علـماً أو ظنّـاً، ويتخـيّر بين اسـتقبال البيـت ثـمّ الإنحـراف وبـين جعلـه على اليسـار ابتـداءً.

و: الحركـة الذاتيّـة أو العرضيّـة للعاجز الراكـب مقارنة للنيّة، فلـو تأخّرت الحركة عن اسـتحضار النيّة بطل.

ز: استدامتها حكماً بمعنى،[1] أن لا يجد نيّةً تنافي الأوّل.

ح: جعل البيت على اليسار، فلو استقبله بوجهه أو ظهره أو جعله على يمينه بطل.

ط: إدخـال الحِجْـر في الطواف، فلو مشـى فيه أو عـلى حائطه أو جعل يـده على جداره بطـل، ولا يـضرّه عـن خـارج الجـدار، ويسـتوي في ذلك جميـع جهاته، فلا يجـب الخروج مـن جهـةٍ عن شيء آخـر اتفاقاً، وإنّـما وجب إدخـال الحِجْر للتأسي بصاحـب الشّرع عليه لا لكونـه مـن البيـت؛ لعـدم تحقّق ذلـك، وعـلى تقدير كونـه منه لا يجب مراعـاة التربيع خارجاً عنـه قطعاً.

ي: جعـل المقـام عـلى اليمـين، ويجـب أن يراعى مقـدار ذلك مـن كلّ جانـب، والدنو من البيـت أفضل.

يـا: خـروج جميـع البدن عـن البيـت، فلو مشـى عـلى الشـاذروان وهو أسـاس البيت قديـماً، أو كان يمـسّ الجـدار بيـده مـن جانـب الشـاذروان في حال مشـيه بطل.

يب: إكمال العدد من الحجَرِ إليه شوطاً.

---

١ . في النسخة: «لمعنى» وهو من سهو الناسخ وما أثبتناه هو الصواب.

يح: حفظه، فلو لم يحصل العدد أو شكّ في النقيصة مطلقاً أو في الزيادة قبل بلوغ الركن بطل، ولو بلغ الركن قطع وصحّ طوافه، ولو شكّ بعد الفراغ لم يلتفت مطلقاً. ويجوز الإخلال إلى البالغ في العدد. ولو كان الطّواف نفلاً وشكّ في أثنائه بنى على الأوّل.

يد: الختم لموضع البدأة من الحجَرِ كما تقدّم، ولا يشترط اتحاد موقف البدأة والختم، فلو زاد عليه متعمّداً ولو بخطوةٍ بطل، وناسياً يتخيّر بين الإكمال والقطع إن بلغ في الشوط الزائد الحِجْر، وإلّا قطع وجوباً.

يه: الموالاة، ويتحقق بإكمال أربعة أشواطٍ، فإن قطعه قبلها استانف وإن كان لضرورة، وإلّا أتمّ، ولا يجوز القطع مطلقاً إلّا لحاجة ونحوها.

فرع: لو حاضت المرأة قبل الطّواف أو فيه قبل إتمام أربعة أشواطٍ من طواف العمرة انتظرت الوقوف بعرفة، فإن ضاق الوقت ولم تطهر بطلت متعتها، ونقلت إحرامها إلى حجّ الإفراد وخرجت إلى الوقوف وأكملتها حجّ الإفراد، ثمّ اعتمرت بعد ذلك عمرة مفردة، أجزاءها عن فرضها، ولو كان الحيض بعد طواف أربعة أشواطٍ لم يضر وأكملته بعد الطهر، ولا يمنع الحيض والأفعال التي لا يشترط فيها الطهارة كالوقوف ونحوه.

ويجب ركعتا الطواف بعده خلف المقام حيث هو الآن أو إلى أحد جانبيه، وهما كاليوميّة، ولا جهر فيهما ولا إخفات عيناً، والأولى فيهما نيّة الأداء، ولو نسيهما رجع فأتى بهما في المقام، فإن تعذّر فبحيث شاء من الحرم، فإن تعذّر فبحيث أُسكن، فإن مات قضاهما الوليّ.

ونيّتها: أُصلّي ركعتي طواف العمرة المتمتع بها إلى حجّ الإسلام حجّ التمتع أداءً؛ لوجوبهما قربة إلى الله.

ويستحبّ قراءة التوحيد في الأُولى والجحد في الثانية أو بالعكس.

وسننه: استلام الحجر والأركان كلّها، وآكدها العراقي واليماني؛ لأنّهما على قواعد إبراهيم عليه السلام، والتزام المستجار في الشّوط السّابع خاصّة، وبسط يديه على حائطه وإلصاق بطنه وخدّه، وتعداد ذنوبه مفصلة والاستغفار منها وهو بإزاء الباب وبقرب الركن اليماني، ومن استلم أو التزم وقف وحفظ موضعه وعاد إلى طوافه منه بعد رفع يديه عن الحائط حذراً من التقدّم على البيت بجزءٍ من بدنه باعتبار الشاذروان، والاقتصار في المشي والتداني من البيت، واستمرار الخضوع والخشوع واحضار القلب، وحفظ الجوارح، وترك الكلام إلّا بالذكر، واجتناب كلّ ما يكره في الصّلاة غالباً، كالتثاؤب والتمطي والعبث ومدافعة الأخبثين، والدعاء بالمرسوم والأذكار المرويّة في ابتدائه وانتهائه، وتلاوة القرآن والصّلاة على النبي صلى الله عليه وآله كلّما حاذى باب الكعبة، فممّا ورد من الدعاء فيه:

«اللّهم إنّي أسألك باسمك الذي يُمشى به على ظلل الماء كما يُمشى به على جُدد الأرض، وأسألك باسمك الذي يهتزّ له عرشك، وأسألك باسمك الذي تستهزّ له أقدام ملائكتك، وأسألك باسمك الذي دعاك به موسى من جانب الطور الأيمن فاستجبت وألقيت عليه محبّة منك، وأسألك باسمك الذي غفرت به لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأتممت عليه نعمتك، أن تفعل بي كذا وكذا».[1]

وتقول أيضاً في حال الطواف:

«اللهم إنّي فقير وإنّي خائف مستجير، فلا تبدّل اسمي ولا تغيّر جسمي».[2]

وتقول عند المستجار وأنت ملتصق به:

«اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار».[3]

---

١ . مصباح المتهجّد: ٦٨١/ ٧٥١، وتطلب حاجتك بدل: «كذا وكذا».

٢ . مصباح المتهجّد: ٦٨٢/ ٧٥٢.

٣ . م. ن. ٦٨٢/ ٧٥٣.

فإذا فرغت فأتِ زمزم واستق منها دلواً، واشرب منه وصبّ منه على رأسك وظهرك وبطنك وقل:

«اللهم اجعله عِلماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كُلّ داءٍ وسقمٍ».[1] ويستحبّ كونه من الدلو المقابل للحَجَرِ.

الثالث السعي: وهو الحركات المعهودة من الصفا إلى المروة وبالعكس للقربة، وله مقدّمات مسنونة ومفروضة،[2] وسُنن.

فمقدّماته: الطهارة من الحدث والخبث، والخروج إلى الصفا من الباب المقابل للحَجَرِ الذي خرج منه النبيﷺ وهو الآن داخل الباب من جملة المسجد، يُعلم باسطوانتين، فليخرج من بينهما، ثمّ يخرج من الباب الموازي لهما والصعود على الصفا، بحيث يرى البيت من بابه، واستقبال الركن العراقي وإطالة الوقوف على الصفا [بقدر]،[3] قراءة سورة البقرة مترسّلاً، وذكر الله تعالى، بأن يحمده مائة مرّة، ويكبّره ويسبحه ويهلله ويصلّي على النبيﷺ مائة مرّة، ويقول ثلاثاً: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير. ويقول: الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أبلانا، والحمد لله الحي القيوم، والحمد لله الحي الدائم، ثلاثاً. ثمّ يقول: ثلاثاً: أشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، لا نعبدُ إلّا الله، مخلصين له الدين ولو كره المشركون، ثمّ يقول ثلاثاً: اللّهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار.[4]

---

١ . م. ن. ٦٨٣/ ٧٥٦.

٢ (ب)، كذا في النسخة، والصواب «وفروض».

٤ . في النسخة: «بقرب» وهو من سهو الناسخ وما أثبتناه بين المعقوفين من المصادر الفقهية.

٤ . مصباح المتهجّد: ٦٨٣/ ٧٥٩.

وفروضه إثنا عشر:

أ: النية: أسعى سبعة أشواطٍ بين الصّفا والمروة للعمرة المتمتّع بها إلى حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربة إلى الله.

ب: مقارنتها للصفا، إمّا بأن يصعد عليه إلى أيّ جزءٍ شاء، والأفضل الصعود إلى الدرجة الرابعة، وحينئذٍ ينوي كيف شاء، وإمّا بأن يلصق عقبيه به إن لم يصعد، وإذا عاد ألصق أصابعه به إن لم يصعد أيضاً، فإذا ذهب ثانياً ألصق عقبيه. وفي المروة يصنع ذلك في الذهاب والعود.

ج: استدامتها حكماً، وقد مرّ تفسيرها.

د: الحركة مقارنة للنيّة.

هـ: الذهاب بالطّريق المعهود.

و: الختم بالمروة بأصابع قدميه كما تقدّم.

ز: إتمام السبعة من الصفا إليه شوطان.

ح: استقبال المطلوب، فلا يمشي القهقرى.

ط: ايقاعه بعد الطواف والركعتين.

ي: عدم الزيادة عمداً، فيبطل بها عمداً لا سهواً، ولو لم يحصل العدد أو شكّ في المبدإ وكان في الزّوج على المروة أو في الفرد على الصّفا أعاد دون العكس فيهما.

يا: الموالاة مع الاختيار كالطّواف.

يب: إيقاعه في يوم الطّواف وجوباً على المشهور، وليس شرطاً في الصحّة.

وسننه: السعي ماشياً مع القدرة، والسكينة والوقار، والهرولة للرّجل ما بين المنارتين، والراكب يحرّك دابّته قائلاً:

«بسم الله أكبر وصلّى الله على محمّد وآله، اللّهم اغفر وارحم وتجاوز عمّا تعلم

فإنّـك أنت الأعـز الأكرم».[1]

الرابـع التقصـير: وهو،[2] إبانة مسـمّى الشـعر والظّفر، وبه يتحقّق الإحـلال من إحرام العمـرة المتمتّـع بهـا، أمّا المفـردة فلابدّ فيهـا الإحـلال التـام إلّا بالطّواف للنسـاء وركعتيه بعده.

وفروضـه ثـلاث: أ: النيـة: أُقـصّر للإحـلال مـن إحـرام العمـرة المتمتـع بهـا إلى حجّ الإسـلام حـجّ التمتـع لوجوبـه قربـة إلى الله.

ويجـب فيهـا المقارنة للفعل والاسـتدامة حكماً إلى الفـراغ كونه بمكّة، ويسـتحب كونه عـلى المـروة وتقديمـه عـلى إحـرام الحـجّ، ويتعـيّن التقصـير في عمـرة التمتّـع، فـلا يجزي الحلق عنـه، بخـلاف المفردة.

والواجب إزالة الشعر بحديدٍ أو نورةٍ أو نتفٍ أو قرضٍ بالسنّ.

والمقالة الثانية في أفعال الحجّ وهي ستة:

الأوّل [أ]: الإحـرام بـه، ولا فـرق بينـه وبـين إحـرام العمـرة إلّا بالنيّة، فينـوي: أُحرم بحـجّ الإسـلام حـجّ التمتّـع وأُلبّي التلبيـات الأربـع لعقـد هـذا [الإحـرام]،[3] لوجوب الجميع قربـة إلى الله.

لبيّـك اللّهـم لبيـك، لبيك إنّ الحمـد والنعمة والملك لـك لا شريك لك لبيـك. ومحلّه للمتمتـع مكّـة كما سبق، وأفضله المسـجد، وخلاصتـه المقام، وتحـت الميزاب، ولـو تعذّر أحـرم من حيـث أمكن ولـو بعرفة.

وإحـرام القـارن والمفـرد من ميقـات عمـرة التمتّع أو من دويـرة أهلـه إن كانت أقرب مـن مكّة.

---

١ . مصباح المتهجّد: ٦٨٥/ ٧٦٢.

٢ . في النسخة زيادة: «إبانة» ولعله من سهو الناسخ.

٣ . في النسخة: «الأربع» بدل ما بين المعقوفين وهو الصواب كما في المصادر الفقهية.

ويستحبّ إيقاعه بعد ظهر الثّامن وهو يوم التروية.

ولا يجوز الطّواف بعد الإحرام حتّى يرجع من منى، فإن طاف ساهياً لم ينقض إحرامه، وينبغي تجديد التلبية ليعقد بها للإحرام، أمّا القارن والمفرد فيجوز لهما الطّواف.

ب: الوقوف بعرفة، ومعناه الكون بعرفة يوم التاسع من زوال الشمس إلى الغروب.

فيبدأ بالنيّة عند تحقق الزوال: أقف بعرفة إلى غروب الشمس في حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربة إلى الله، ويجب استدامتها حكماً.

والركن فيه مسمّى الكون، والواجب المجموع. وعرنة وثوية وذو المجاز والأراك حدود عرفة، لا يجوز الوقوف بها. ولو تعذّر الوقوف نهاراً أجزأ ليلة العاشر، والواجب حينئذٍ مسمّى الكون، وهو صالح للمشعر أيضاً.

ويستحبّ الغسل، والدعاء قائماً له ولوالديه ولإخوانه والمبالغة فيه والإكثار منه، فإنّه يوم دعاء ومسألة حتّى تغرب الشمس، بالمنقول أو بما تيسّر، فيستحضر [قيام الناس]،[1] يوم الجمع، خائفاً من خشية الرّد وخسارة السّعي [وحسرة التضييع]،[2] وندامة الفوت، راجياً لنظره سبحانه إليه بعين الرّحمة وقبول توبته وإجابة دعائه، فإنّه وعَدَ بذلك وهو لا يخلف الميعاد.

ج: الوقوف بالمشعر، ويجب المبيت به ليلة العاشر.

ناوياً عند وصوله إليه: أبيت هذه الليلة بالمشعر في حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربة إلى الله، فإذا أصبح نوى مقارناً بها أوّل الفجر: أقف بالمشعر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس في حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربة إلى الله.

وهذا الوقوف هو الاختياري المطلق، ولو أفاض قبل طلوعها أثم ولا كفارة.

---

١ . في النسخة: «إقدام التأسّي» بدل ما أثبتناه بين المعقوفين وهو الصواب.

٢ . في النسخة: «والنفع خيرة» بدل ما أثبتناه بين المعقوفين وهو الصواب.

والركن منه مسماه كما سلف، والاضطراري المطلق من طلوع الشمس إلى الزوال، والواجب فيه مسمّاه. والاختياري الإضافي ليلة المبيت، فتجزي المرّة محافظة على الصيرورة لخائفٍ؛ دفعاً للضرر.

واعلم أنّ الوقوف ركن، من يتركه عمداً بطل حجّه، ويجزي الإختياريان والإضطراريان، والاختياري الواحد واضطراري المشعر لا اضطراري عرفة وحده.

ويستحب إحياء الليلة، فإنّ أبواب السماء لا تُغلق فيها، فإذا أصبحت ونويت الوقوف فاحمد الله واثن عليه وصلّ على النبي صلى الله عليه وآله وقل:

«اللّهم ربّ المشعرِ الحرامِ اعتق رقبتي من النار، وأوسع عليّ من رزقك الحلال، وادرأ عنّي شرّ فسقة الجنّ والإنس، اللّهم أنت خيرُ مطلوبٍ إليه وخيرُ مدعوٍ وخيرُ مسؤول، ولكّل وفدٍ جائزة، فاجعل جائزتي في موطني هذا أن تقيلني عثرتي وتقبل معذرتي وأن تتجاوز عن خطيئتي، ثمّ اجعل التقوى من الدنيا زادي».[1]

د: نزول منى للرمي والذبح والحلق مرتّباً، وهو شرط في نفي الإثم لا في الصحة.

والواجب يوم النحر رمي جمرة العقبة بسبع حصيّاتٍ حرميّة لا مسجديّة، أبكاراً بما يسمّى رمياً، مصيبة بفعله مباشرة بيده.

ووقته ما بين طلوع الشّمس إلى غروبها، ويُقضى لو فات مقدّماً على الحاضر، ويخرج وقته بخروج الثالث عشر إلى القابل.

ويجب الترتيب حيث يجب رمي الثلاث، وهو أيّام التشريق، أعني الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، يبدأ بالأُولى ثمّ الوسطى ثمّ جمرة العقبة.

ونيّته: أرمي هذه الجمرة بسبع حصيّات في حجِّ الإسلام حجّ التمتّع أداءً لوجوبه قربةً إلى الله.

---

١ . مصباح المتهجّد: ٧٠٠/ ٧٧٥.

ويستحبّ أن تكون الحصيات برشاً منقّطة رخويّة كحليّة، وأن يرميها خذفاً، بأن يضع الحصى على بطن الإبهام ويدفعها بظفر السبّابة ويقول والحصاة في يده:

«اللّهم إنّ هؤلاء حصيّاتي فاحصهنّ وارفقهنّ في عملي». ويقول مع كلّ حصاة: «اللّهم ادْحَرْ عنّي الشيطان، اللّهم تصديقاً بكتابك وعلى سنّة نبيّكﷺ، اللّهم اجعله حجّاً مبروراً وعملاً مقبولاً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً».[1] وأن يكون متطهّراً أو التباعد بعشرة أذرع إلى خمسة عشرة ذراعاً.

ويجب في الذبح ذبح الثنيّ من النعم الثلاثة، وهو من الإبل ما دخل في السّادسة، ومن البقر والمعز ما دخل في الثانية، ويجزي من الضّأن الجذع، وهو ما كمل له سبعة أشهر.

ويشترط فيه تمام الخلقة والصّحة، وأن يكون على كليتيه شحم، ويكفي الظنّ وإن ظهر بعد الذّبح خلافه، ولا يجزي المعيب وإن تبيّن بعد الذّبح.

ويجب الأكل منه وإن قلّ، والصدقة بثلثه، وإهداء ثلثه، ناوياً عند ذبحه:

أذبح هذا الهدي في حجّ الإسلام حجّ التمتّع لوجوبه قربة إلى الله.

ويستحب مباشرته الذّبح إن أحسنه، وإلّا جعل يده مع يد الذابح.

وينوي في الصدقة والإهداء والأكل: أتصدّق بثلث هدي حجّ الإسلام حجّ التمتّع لوجوبه قربة إلى الله. أهدي ثلث هدي حجّ الإسلام حجّ التمتّع لوجوبه قربة إلى الله. آكل من هدي حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربة إلى الله.

ويشترط في المهدى إليه الإيمان، والمتصدَّق عليه الإيمان والفقر، ولا ترتيب بين الأكل وأخويه.

ويستحب أن يقول عند الذبح: «وجهتُ وجهي للذي فطرَ السموات والأرض»،

---

١ . مصباح المتهجّد: ٧٠١/ ٧٧٧ و٧٧٨.

إلى آخر الدعاء التوجه: «اللّهم منك ولك، بسم الله والله أكبر، اللّهم تقبّل منّي».[1]

ويجب حلق شعر الرأس أو تقصيره كما سبق مقارناً للنيّة: أحلق أو أقصّر للإحلال من إحرام حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربة إلى الله.

ويستحبّ أن يقول عند الحلق: اللّهم أعطني بكلّ شعرةٍ نوراً يومَ القيامةِ.[2]

ويتعيّن على المرأة والخنثى التقصير.

ولا يخرج من منى حتّى يأتي بالثلاثة ولو في ذي الحجّة، ويرجع للذّبح والحلق بها [للإحلال]،[3] فإن تعذّر استناب في ذبح الهدي وحلق مكانه واجباً وبعث ليدفن بها مستحباً.

وبالحلق يتحلّل من المحرّمات إلّا الطيب والنّساء والصيد، ثمّ يتحلّل من الطيب بالسعي، ويحللن النساء بطوافهنّ كما سبق.

الخامس: العود إلى مكّة للطوافين والسعي، والكيفيّة كما سبق.

فينوي هنا: أطوف سبعة أشواطٍ طواف حجّ الإسلام حجّ التمتّع أداءً لوجوبه قربة إلى الله.

أُصلّي ركعتي طواف حجّ الإسلام حجّ التمتّع أداءً لوجوبهما قربة إلى الله.

أسعى سبعة أشواطٍ سعي حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربة إلى الله.

أطوف سبعة أشواطٍ طواف النساء في حجّ الإسلام حجّ التمتّع أداءً لوجوبه قربة إلى الله.

أُصلّي ركعتي طواف النساء في حجّ الإسلام حجّ التمتّع أداءً لوجوبهما قربة إلى الله.

---

١ . مصباح المتهجّد: ٢/ ٧٠٢/ ٧٨٠.

٢ . م. ن. ٣/ ٧٠٣/ ٧٨١.

٣ . في النسخة: «لوله» وما أثبتناه بين المعقوفين هو الصواب.

السادس: العود إلى منى للمبيت بها ليالي التشريق الثلاث، ويجوز لمن اتّقى الصيد والنساء النّفر في الثاني عشر، فيسقط المبيت ليلة الثالث عشر ورميه إلى أن تغرب الشمس وهو بمنى، ويجزي في المبيت الكون بها إلى نصف الليل، ولو بات بغيرها [فعن]،[1] كلّ ليلة شاة إلّا أن يبيت بمكة مشتغلاً بالعبادة واجبة كانت أو مستحبّة، فيجب استيعاب الليلة بالعبادة إلّا ما يضطرّ إليه من أكلٍ أو شربٍ أو نومٍ يغلب عليه.

ويجب في المبيت النيّة مقارنة لأوّل اللّيل: أبيت هذه الليلة بمنى في حجّ الإسلام حجّ التمتّع لوجوبه قربة إلى الله.

والنائب يضيف إلى نيّته في كلّ فعل: نيابة عن فلان، ولو قال: لوجوبه عليه بالأصالة وعليّ بالنيابة كان أكمل.

فينوي في إحرامه: أحرم بالعمرة المتمتع بها إلى حجّ الإسلام حجّ التمتّع وأُلبّي التلبيات الأربع لعقد هذا الإحرام نيابة عن فلان لوجوب الجميع عليه بالأصالة وعليّ بالنيابة قربة إلى الله تعالى: لبيّك اللّهم لبيك، إلى آخره. وكذا باقي النيّات.

ويستحبّ العود إلى مكّة لوداع البيت ناوياً: أتوجّه إلى مكة لوداع البيت لندبه قربة إلى الله.

ويستحبّ الاغتسال لدخولها ودخول المسجد كما تقدّم ودخول البيت، سيّما الصرورة، وأن يشتري بدرهمٍ شرعيّ تمراً ويتصدّق به قبضةً قبضة.

خاتمة: يستحبّ للحاجّ زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله استحباباً مؤكّداً، وكذا يستحب لغيره.

وقد روي أنّه صلى الله عليه وآله قال: «من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة».[2]

---

١ . في النسخة: «دفعت» بدل ما أثبتناه بين المعقوفين وهو الصواب.

٢ . وسائل الشيعة ١٤: ٣٣٤، الباب ٣ من أبواب المزار، ح٣.

ويستحبّ زيارة فاطمة عليها السلام في بيتها والروضة والبقيع، وزيارة الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

فعنهم: «من زار إماماً مفترض الطّاعة كان له ثواب حجّة مبرورة».[1]

وتفاصيل ثواب زياراتهم لا تكاد تحصى، محرّرة في كتب تختصّ بها.

ويستحبّ زيارة قبور الشهداء، خصوصاً حمزة عليه السلام، ومنتجبي الصحابة بالبقيع، وورود المساجد المشرفة بمكّة والمدينة، كمسجد قبا ومسجد الأحزاب والقبلتين، وصلاة التحيّة بها والدّعاء.

والحمد لله ربّ العالمين والصّلاة على محمّد وآل محمد وعترته الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً كبيراً.[2]

١ . وسائل الشيعة ١٤: ٣٣٢، الباب ٢ من أبواب المزار، ح٢٥، وفيه زيادة: «وصلّى عنده أربع ركعات كتب له...» ورواه بدون الزيادة المحقق الكركي في رسالة في الحج، رسائل المحقق الكركي ٢: ١٦٣.

٢ . تمّ الإنتهاء من تصحيحها وكلّنا أمل في الوقوف على معرفة مؤلّفها ليضاف اسمه إلى قائمة العلماء الأعلام. ومنه نستمد التوفيق.

مصادر التحقيق:

١ - القرآن الكريم.

٢ - الأمالي: للشيخ الصدوق، أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين، مؤسسة البعثة، قم ١٤١٧هـ.

٣ - رسائل الشهيد الثاني: للشيخ زين الدين بن علي العاملي، دفتر تبليغات، قم ١٣٧٩ش.

٤ - الكافي: لثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨هـ.

٥ - مصباح المتهجّد: للشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن بن علي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت ١٤١١هـ.

٦ - المقاصد العليّة: للشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي، دفتر تبليغات، قم١٣٧٨ش.

٧ - من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٨ - وسائل الشيعة: للشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسسة آل البيت، قم ١١٠٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثقتي

الحمد لله حمدا كثيرا على عظيم نواله وجزيل افضاله حمدا يليق
بعظمة جلاله والصلوة على سيدنا محمد النبي وآله وبعد
فهذه جملة مشتملة على ما لا بدّ منه من فروض الحج والعمرة
وما يلحق بهما من المندوب والاذكار على وجه الاختصار
وهي مرتبة على مقدمة ومقالتين وخاتمة اما المقدمة
ففي بيان الوظايف المتقدمة على الافعال ينبغي لمن عزم على
الحج ان يقطع العلايق بينه وبين معامليه ويوصل كل ذي حق حقه
ويوصي بماله وعليه من حق الورثة والفقراء وان يكون السبت
او الثلثا او الخميس ورفيقا صالحا ويصلي ركعتين ويقرا فيهما
ما شاء من القرآن ويسال الله تعالى الخيرة له في السفر ويقول
عقيبها اَللّهُمَّ اِنّي اَسْتَوْدِعُكَ نَفْسي وَاَهْلي وَمالي وَذُرِّيَّتي
وَديني وَدُنْيايَ ويستفتح سفره بشيء من الصدقة ليدفع بها المكاره
فاذا خرج من داره وقف على بابها واستقبل الوجه الذي
يتوجه له وقرا فاتحة الكتاب وآية الكرسي امامه وعن يمينه وعن
يساره

الصفحة الأولى

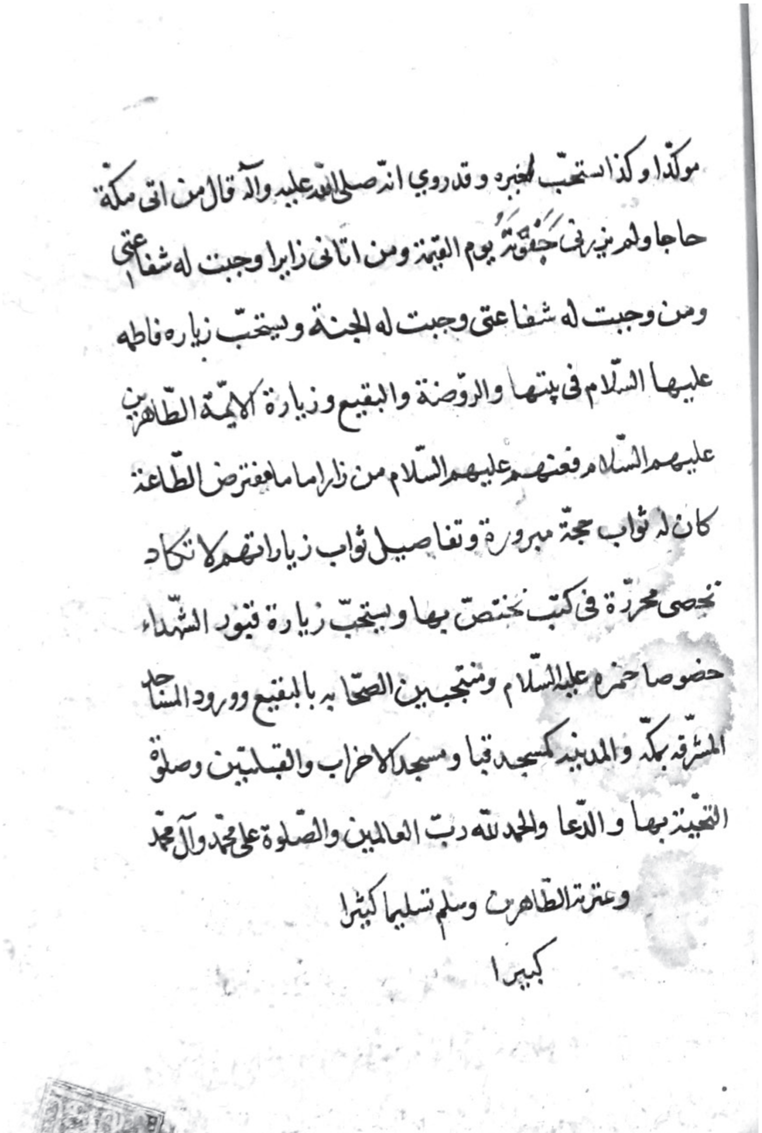

موكدا وكذا استحب المنبر وقد روي انه صلى الله عليه وآله قال من اتى مكة
حاجا ولم يزرني جفوته يوم القيمة ومن اتاني زائرا وجبت له شفاعتي
ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة ويستحب زيارة فاطمة
عليها السلام في بيتها والروضة والبقيع وزيارة الائمة الطاهرين
عليهم السلام فعنهم عليهم السلام من زار اماما مفترض الطاعة
كان له ثواب حجة مبرورة وتفاصيل ثواب زياراتهم لا تكاد
تحصى محررة في كتب تختص بها ويستحب زيارة قبور الشهداء
خصوصا حمزة عليه السلام ومنتجبين الصحابة بالبقيع وورود المساجد
المشرفة بمكة والمدينة كمسجد قبا ومسجد الاحزاب والقبلتين وصلوة
التحية بها والدعا والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآل محمد
وعترته الطاهرين وسلم تسليما كثيرا
كبيرا

الصفحة الأخيرة

شخصيات من الحرمين الشريفين (٤٧)
عقيل بن أبي طالب الهاشمي (٢)

محمد سليمان

ما زلنا مع عقيل بن أبي طالب في الحلقة الثانية والأخيرة من سيرته، وبدايةً أقول: إنَّ عقيلاً من صلب رجل عظيم وسيد في قومه وأكبر زعيم لقريش، ونشأ وتربّى في بيت هذا السيد الكبير، وهو بالتالي من آلٍ عرفوا بالحكمة والقوّة والشجاعة، يعلّمون ذلك مَن حولهم من الناس، وبالأولوية فإن عقيلاً وإخوته أحقّ الجميع بأن يتلقوا تلك المناقب ويتعلموها ويعيشوها ويتمثلوها في سيرتهم،... ومَن حولهم من الناس يعرفون ذلك فيهم، وكيف لا؛ ويرفرف فوق رؤوسهم ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو ولد أبو طالب الناس كلّهم لكانوا شجعاناً»!

فالقول بأنَّ عقيلاً لم يكن له حضور في بعض مواقع المسلمين الأولى ومشاهدهم، وكذا في مواقع الإمام عليٍّ عليه السلام، إما أنه يخلو من الدقّة، أو أنَّ للرجل عذراً كالمرض الذي صرّح به ابن سعد أو العمى، أو اعفاء الإمام عليٍّ عليه السلام له، وبالتالي لم يكن جبناً

منـه، أو عـدم قناعـة بأحقيّتها، ومـا جاء من أخبار تُشـير إلى حضـوره فيهـا، أو في بعضها علـى الأقـل، هي الأقـرب لنشـأته كباقي إخوتـه وأخواته في بيـت عرف بتلـك الصفات، وهـي الأرجـح لعلاقتـه الطيبة بالنبـيّ صلى الله عليه وآله وبالإمام علـيّ عليه السلام، وبقبوله لما يحملانـه من حقٍّ ومبـادئ وقيم، وعـدم وجود نقـل يثبت معارضتـه وممانعتـه لذلك ...

وقعة مؤتة :

ومؤتـة بلـدة في الأردن، قُـدر لها أن تكون سـاحة للقتال بعد السـابع من شـهر جمادى الأولى في السـنة الثامنـة للهجـرة النبويـة الشريفـة بـين المسـلمين وأعدائهـم الـروم ومَـن حالفهـم من قبائـل العرب، وتُعـدُّ أول معركة للمسـلمين خـارج الجزيرة العربيـة، قادها كلٌّ مـن زيـد بـن حارثة فجعفـر بن أبي طالـب فعبـد الله بن رواحـة. وبعد استشـهادهم، تـولّى القيـادة خالـد بن الوليـد وتَّم انسـحاب المسـلمين على يديـه ... وكان عقيـل بن أبي طالب مـن المشـاركين فيها.

يقول ابن سعد وكذا غيره : شهد غزوة مؤتة ...

وعـن جابـر بـن عبـد الله رضي الله عنه أنَّه قـال: «بارز عقيـل بن أبي طالـب رجلاً يوم مؤتة فقتله، فنفله رسـول الله خاتمه وسـلبه».

محمـد بـن عقيل قال: قتل عقيـل رجلاً مـن المشركين يوم مؤتـة، فأخذ خاتمـه وجارية كانـت معـه، فأتـى بهما رسـول الله صلى الله عليه وآله فأخـذ الخاتـم، فجعلـه في إصبعـه، ثـم قـال: لولا التمثـال. قال: فنفـل عقيلاً خاتمـه وجاريته.

وعـن عبـد الله بـن محمد بـن عقيـل أنَّ جدَّه أصـاب يـوم مؤتة خاتماً فيه تماثيـل فنفله أباه.

ويُقـال: إنَّـه بعـد أن كان حـاضراً في غزوة مؤتة، لم يُسـمع لـه ذكرٌ في أي غـزوة أُخرى لا في فتـح مكـة ولا بعدها.

فهـم وإن صرحـوا بحضـوره مؤتة كابـن سـعد، إلّا أنهم ذكـروا عذراً لعدم سـماعهم بحضـوره في غيرهـا، فيقـول: خـرج عقيـل مهاجـراً في أول سـنة ثمان، وشـهد مؤتـة. ثمَّ رجـع فتمـرض مـدّة، فلـم يسـمع لـه بذكـر في فتـح مكـة ولا حنيـن ولا الطائـف، وقـد أطعمـه رسـول الله صلى الله عليه وآله بخيـبر مائـة وأربعين وسـقاً كلّ سـنة.

وكـذا ابـن حجر: وشـهد غـزوة مؤتة، ولم يسـمع لـه بذكـر في الفتح وحنـين كأنَّه كان مريضـاً، أشـار إلى ذلـك ابـن سـعد بقولـه:.. شـهد غـزوة مؤتـة، ثـمّ رجـع، فعـرض له مـرض، فلـم يسـمع لـه بذكـر. لكـن ابـن حجـر في فتح البـاري قـال: وممـن ذكـر الزبير بـن بـكار وغـيره أنـه ثبـت يـوم حنين أيضـاً جعفـر بـن أبي سـفيان بـن الحرث وقثم بن العباس وعتبـة ومعتـب ابنـا أبي لهب، وعبـد الله بـن الزبير بـن عبـد المطلب ونوفـل بـن الحـرث بـن عبـد المطلب وعقيـل ابـن أبي طالـب وشـيبة بـن عثـمان الحجي.

شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله:

نصرنـا رسـول الله في الحرب تسـعة وقـد فـرَّ مـن قـد فـرَّ عنـه فأقشـعوا

وفي تهذيـب التهذيـب يذكـر ابـن حجر قـول ابن سـعد: خرج عقيـل مهاجـراً في أول سـنة (٨) فشـهد مؤتـة، ثـمَّ رجـع فعرض لـه مرض، فلم يسـمع لـه بخـبر لا في فتح مكة ولا حنـين ولا الطائـف، وله عقب.

وبعـد أن ينقـل ابـن حجر قول ابن سـعد هذا، يقول: وفيـما قال نظر، فقـد روى الزبير بـن البـكار مـن طريق الحسـين بن عـلي عليهما السلام، قـال: كان ممن ثبت مـع النبيّ صلى الله عليه وآله يـوم حنين العبـاس وعليٌّ عليه السلام وعقيل وسـمّى جماعة.

وفي كتـاب المرويـات ذكـر أيضـاً عقيـلاً ضمـن عدد مـن الأسـماء المشـاركة في حنين: «قثم بـن العبـاس، وعتبة ومعتـب ابنا أبي لهـب، وعبد الله بـن الزبير، ونوفل بـن الحارث بـن عبـد المطلب، وعقيـل بن أبي طالب، وشـيبة بـن عثمان الحجبـي، وأبو دجانة ـ سـماك بـن خرشـة الأنصـاري ـ وأبـو طلحـة ـ زيـد بـن سـهل الأنصـاري ـ وسـعد بـن عبادة،

وأسـيد بن حضـير، وأبو بـشر المـازني الأنصـاري». ويأتي غيرهـا...[1]

فتح مكة :

في اليـوم العشرين من شـهر رمضـان المبارك من العـام الثامن للهجـرة النبوية الشريفة تـمَّ فتـح مكة مـن قبل رسـول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وهـو حدث كبـير في تاريـخ الرسـالات وبالذات رسـالة نبيّنـا محمـدصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ... وقـد اختلـف في حضـور عقيـل في فتـح مكـة وحتـى في حنين والطائـف كما ذكرنـا أعلاه.

وهنـا لا بـدَّ أن نشـير إلى أنَّ ما روي مـن أنَّ أمَّ هانئ أجـارت أخاها عقيـلاً يوم الفتح، وهـو مـا ذكره الطـبراني في معجمـه: «وإنَّ أمَّ هانئ بنـت أبي طالب أجـارت أخاها عقيلاً، فأجاز النبـيُّصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ جوارها».

فهـو إن لم نقـل فيـه اشـتباه بسـبب الـراوي، وهو أبو مـرّة مـولى عقيل بـن أبي طالـب، وإلّا فهـو يتصـف بالضعـف أو البطـلان؛ لمخالفتـه لمـا أكّدتـه الأخبـار مـن أنَّ اللذيـن أجارتهـما أُمُّ هانـئ مـن بنـي مخزوم ، كما جـاء في كلامهـا: «... فـرَّ إليَّ رجلان مـن أحمائي، من بنـي مخـزوم...».

وكـما عـن ابـن هشـام في ذيل مـا ذكره ابـن اسـحاق القائـل: وحدثنـي سـعيد بن أبي هنـد، عـن أبي مـرة، مـولى عقيـل ابـن أبي طالـب، أنَّ أمَّ هانـئ بنـت أبي طالب قالـت: لما نـزل رسـول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بأعلى مكـة، فرَّ إليَّ رجـلان من أحمائي، مـن بني مخـزوم، وكانت عند هبـيرة بـن أبي وهـب المخزومي.

قالـت : فدخـل عـليَّ عليُّ بـن أبي طالب أخـي، فقـال: والله لأقتلنهما، فأغلقـتُ عليهما

---

١ . مجمـع الزوائـد ومنبـع الفوائد رقم ٩٦٩٩ ؛ مسـند أحمد بـن حنبل : ٢١٩ ؛ وكـذا الطبقات الكبرى: ٤ : ٤٣ ؛ السـيرة النبويـة لابـن هشـام: ٣ : ٣٦٥ ، وغيرهـا ؛ فتح البـاري لابن حجـر ٨ : ٢٣ ؛ وانظر تهذيـب التهذيـب لابـن حجـر ٧ : ٢٥٤ عقيل بن أبي طالب رقـم ٤٦٣ ؛ كتاب مرويـات غزوة حنين وحصـار الطائـف، لإبراهيم بن إبراهيم قريبـي ١ : ١٨٤ .

باب بيتي، ثمَّ جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثمَّ صلّى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إليَّ. فقال: مرحباً وأهلاً يا أمَّ هانئ، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليٍّ عليه السلام. فقال صلى الله عليه وآله: قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما.

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة.

و ذكره المتقي الهندي: «وأنَّ أمَّ هانئ ابنة أبي طالب أجارت أخاها عقيل بن أبي طالب يوم الفتح، فأجاز رسول الله صلى الله عليه وآله جوارها». (كر ـ وقال: هذا الحديث غير محفوظ، إنما أجارت رجلين من بني مخزوم).

وكذا قال ابن عساكر بعد أن نقل الرواية نفسها: إنَّ هذا الحديث غير محفوظ، وإنما أجارت رجلين من أحمائها من بني مخزوم، فأما عقيل، فتقدم إسلامه قبل الفتح، والله أعلم.

فهل ترك لنا عقيل ... ؟!

وهب رسول الله صلى الله عليه وآله لعقيل داره التي تسمى دار ابن يوسف، قال الطبري: قيل: إنه ولد صلى الله عليه وآله في الدار التي تعرف بدار ابن يوسف، وقيل: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان وهبها لعقيل بن أبي طالب، فلم تزل في يد عقيل حتى توفي، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف، وأدخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران، فجعلته مسجداً يصلّى فيه ...

ويُقال: إنَّ عقيلاً، بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة المكرمة إلى يثرب، (المدينة المنورة) باع دار رسول الله صلى الله عليه وآله ويبدو أنَّها المنزل الذي تسكنه أُمُّ المؤمنين خديجة، وفيه ابتنى رسول الله صلى الله عليه وآله بها، وولدت أولادها، وبقيت فيه حتى وفاتها عليها السلام. وبقي يسكنه

رسـول اللهﷺ حتـى هاجـر إلى المدينة.

ويقال: اشـتراه معاوية فيما بعد في خلافته، فاتخذه مسـجداً. وفي خبرٍ أن بيت خديجةعليها السلام أخـذه معتـب بـن أبي لهـب ... ولم يبقَ بيت لرسـول اللهﷺ حتـى أنّه لما دخل مكـة المكرمة في يـوم فتحها، أو في عمـرة القضية، أو في حجّة الوداع عـلى اختلاف الروايات...

قيل لهﷺ: ألا تنزل منزلك من الشِّعب؟

قالﷺ: فهل ترك لنا عقيل منزلاً؟ وهل ترك لنا عقيل من ظلّ؟

وفي بعضها في حديث أسامة بن زيد: «... من منزل»، وفي أُخرى: «وهل ترك لنا».

عقيل من رباع أو دور... ؟

عـن أبي رافـع قال: قيـل للنبيّﷺ يـوم الفتـح: ألا تـنـزل منزلك بالشـعب؟ قالﷺ: وهـل تـرك لنا عقيل منـزلاً؟ قـال: وكان عقيل بن أبي طالـب قد باع منزل رسـول اللهﷺ ومنـازل إخوتـه مـن الرجـال والنسـاء بمكـة حـين هاجـروا، ومنـزل كلّ مـن هاجر من بني هاشـم. فقيـل لرسـول اللهﷺ: فأنـزل في بعـض بيـوت مكـة في غـير منزلـك، فأبـى رسـول اللهﷺ وقـال: «لا أدخـل البيـوت»، فلـم يـزل مضطرباً بالحجـون لم يدخـل بيتاً. وكان يـأتي المسجد مـن الحجون...

وعن أسامة بن زيد أيضاً، قـال: قلت: يا رسول الله أين تنزل غداً في حجّته؟

قـالﷺ: وهـل تـرك لنـا عقيـل منـزلاً، ثمّ قـالﷺ: نحـن نازلـون غـداً إنْ شـاء الله بخيـف بنـي كنانـة يعني المحصـب...

وقـد حـدّث أبو رافـع قائـلاً: وكان عقيل قد بـاع منزل رسـول اللهﷺ ومنـزل إخوته مـن الرجـال والنسـاء بمكـة. فقيـل لرسـول اللهﷺ: فأنزل في بعـض بيوت مكـة في غير منازلـك؟ فأبـى رسـول اللهﷺ وقـال: لا أدخل البيـوت. فلم يـزل مضطربـاً بالحَجُون لم يدخـل بيتـاً، وكان يأتي إلى المسـجد مـن الحَجُون!

... عن إبراهيم الكرخي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: لأي علّة ترك عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما ولي الناس، فقال: للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة، وقد باع عقيل بن أبي طالب داره، فقيل له يا رسول الله، ألا ترجع إلى دارك؟ فقال صلى الله عليه وآله: «وهل ترك عقيل لنا داراً»؟! إنا أهل بيت لا نسترجع شيئاً، يؤخذ منا ظلماً. فلذلك لم يسترجع فدك لمّا ولّي!

وظاهر هذه الأخبار أنَّ عقيلاً استولى على هذين الدارين للنبيّ صلى الله عليه وآله دار ولادته صلى الله عليه وآله ودار سكنه صلى الله عليه وآله مع أُمّ المؤمنين خديجة عليها السلام، وبالتالي ينافي الخبر الأول من أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وهبه داره.

وعن الأزرقي:.. وسكت المهاجرون، فلم يتكلم أحد منهم في دار هجرها لله سبحانه، وسكت رسول الله صلى الله عليه وآله عن مسكنيه كليهما؛ مسكنه الذي ولد فيه، ومسكنه الذي ابتنى فيه بخديجة بنت خويلد عليها السلام، وولد فيه ولده جميعاً، وكان عقيل بن أبي طالب أخذ مسكنه الذي ولد فيه. وأما بيت خديجة عليها السلام فأخذه معتب بن أبي لهب، وكان أقرب الناس إليه جواراً، فباعه بعد من معاوية بمأة ألف درهم ...[1]

وتذكر بعض الأخبار أنَّ عقيلاً استولى على دور مَن هاجر من بني هاشم...

الغلول!

قد يمكننا وصفها بأنّها ظاهرة وقعت في الساحة المسلمة وبالذات في المشاهد القتالية التي خاضها المسلمون ضدَّ خصومهم من المشركين، وسببها الوحيد هو

---

١ . تاريخ الطبري ١ : ٥٧١ ؛ أخبار مكة للأزرقي ٢ : ١٦١ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ؛ السيرة النبوية لابن هشام : فتح مكة ؛ كنز العمال للمتقي الهندي (ت٩٧٥هـ) ٢٢ : ٤٢٥ ؛ الجامع الكبير للطبراني (ت٣٦٠هـ) ١٠ : ٥٢١ رقم ٣٠١٩٢ ؛ المسند، الأنصار رقم : ٢٠٧٧١ ؛ علل الشرائع للشيخ الصدوق ١ : ١٥٥ رقم ٢ ؛ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٧ : ١١٨ ؛ وانظر مقالتنا: أُمُّ هانئ ، في العددين: ٥٦ـ٥٧.

حصـول الغنائـم مـن تلـك المشـاهد، وما انبثـق عنها مـن التنافس بين الإخوة المسـلمين المقاتلـين فيهـا، والمسـارعة من قبلهـم في أخـذ مـا يرونـه مـن حـقٍّ لهـم، وقـد ظهـر من بعضهـم سـوء خلق حين وقع تشـكيكهم حتـى في رسـول الله ﷺ، ولخطورة هـذه التهمة ومـا تضمنتـه مـن الخيانة.

نزلـت: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.[1]

وأردفهـا رسـول الله ﷺ بتحذيـرات، كـما روي عنـه، حـين كان إذا غنـم مغنـماً بعـث مناديـاً: «ألا لا يغلـن أحـدٌ مخيطاً فـما دونـه، ألا لا يغلن أحدٌ بعـيراً، فيأتي به عـلى ظهره له رغـاء، ألا لا يغلـن أحـدٌ فرسـاً، فيـأتي به يـوم القيامة عـلى ظهره لـه حمحمة!

«وإيّاكـم والغلـول، فـإنَّ الغلـول عـار ونـار وشـنار عـلى أهلـه في الدنيـا والآخـرة»، وهنـاك أحاديـث مثلهـا.

جـاء هذا تعظيـماً للغلول، وتشـدياً بالوعيـد عليه، وحرصـاً على متانة السـاحة المؤمنة وطهارتهـا، وإبعاداً للفرقـة، ورصًّا لصفوفها، وبنـاءً للنفوس المؤمنة، وترسـيخاً للورع في سـلوكها وحسـن الخلق، وحفظـاً للأمانة، وإبعـاداً للخيانـة، وتذكيراً بالآخرة وحسـابها، حـين يلقـى الإنسـان ربَّه عزَّ وجلَّ، ومـا أجمله من لقـاء إن كان بنفس نقيّة ويـد نظيفة ...!

وبالتـالي جـاءت هـذه الآيـة والروايـات؛ لينفـي سـياقُها عـن النبـيِّ ﷺ وبالتـالي عن جميـع الأنبيـاء والرسـل أي شـائبة مـن غلٍّ، فـلا يخونـون، ولا يأخذون شـيئاً مـن غنيمة، ولا يحتجـزون جـزءًا مـن مـال بغير حـقٍّ، ولا يعطون لأنـاس ويمنعـون عـن آخرين...

نقـف قرآنيًّـا عند هذه السـلبية التي ظهرت في المجتمع المسـلم، وبالـذات بين المقاتلين بسـبب وجـود غنائـم الحرب التي تعـدُّ مصدراً مالياً لهم يومذاك. وسـبباً عنـد كثير منهم للمشـاركة في الغـزوات ومشـاهد القتال، ونتعرّف عـلى آثارها والتـي أدّت إلى نزول الآية

---

[1] . الآية ١٦١ من سورة آل عمران .

المذكـورة، وما تبعهـا من أحاديث ومواقـف نبويّة.

فالغلُـولُ: الخِيانَـةُ، يُقـال: غَـلَّ، يَغُـلُّ، غُلُـولاً، وإغلالاً أيْ: خـانَ، وكُلُّ مَـنْ خانَ في شَيْءٍ خُفْيـةً فَقَـدْ غَـلَّ. وأَصْلُـه مِن الغَـلِّ: وهو التَّخَلُّـلُ بين الـشَّيْء، يُقال: تَغَلْغَـلَ الماءُ في الشَّـجَرِ: إذا تَخَلَّلَهـا، ومنـه سُـمِّيَ المَسْروقُ مِن الغَنِيمَـةِ غلـولاً؛ كأَنَّ صاحِبَهُ قـد غَلَّهُ بين ثِيابِـهِ، وقِيـلَ: سُـمِّيَ غلُولاً؛ لأنَّ الأَيْـدي فِيهِ مَغْلُولَـةٌ، أيْ: مُقَيَّدَةٌ بِالأَغْـلالِ... فغلَّ فلانٌ غلـولاً وإغـلالاً: خـان في المغنم وغـيره. بل الخيانـة في كلّ شيءٍ والسرقـة... أي أخذ المال مـن الغنيمـة في خفاء، أغـل الرجل إغـلالاً، خـان في الأمانة...

هذا لغةً، وأما قراءةً:

فقـد ذكر الشـيخ الطـوسي التالي: قـرأ كلٌّ مـن ابن كثير وابـن عمرو، وعاصـم (يغل) بفتـح اليـاء وضـمّ الغـين. الباقون بضـم اليـاء وفتح الغـين. فالذي قـرأ بفتح اليـاء وضمّ الغـين، فمعنـاه مـا كان لنبـيٍّ أن يخـون، يقال مـن الغنيمة غـلَّ يغـلّ: إذا خان فيهـا. ومن الخيانـة أغـلَّ يغـل قال النمر بـن تولب: جـزى الله عنا جمزة ابنـة نوفل جزاءَ مغـلٍّ بالأمانة كاذب بـما سـألت عنـي الوشـاة ليكذبوا عـليَّ وقـد أوليتهـا في النوائب ويقـال من الخيانة غـلَّ يغلّ.

ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين أراد: وما كان لنبيّ أن يخون أي ينسب إليه الخيانة.

ويحتمـل أن يكـون أراد مـا كان لنبـيّ أن يخـان بمعنـى يـسرق منـه. ويكـون تخصيص النبـيّ بذلـك تعظيـماً للذنب.

قـال أبوعـلي الفـارسي: لا يـكاد يقـال: مـا كان لزيـد أن يضرب، فهـذه حجّـة من قرأ بفتـح اليـاء.

نزولها:

وقد اختلف في وقت نزول الآية ١٦١ من سورة آل عمران: في بدر الكبرى:

نزلت في وقعة بدر الكبرى وغنائمها، وهي أول معركة للمسلمين ضدَّ مشركي مكة، وأول غنيمة يحصلون عليها بعد انتصارهم الكبير، فعن ابن عباس، وسعيد بن جبير في سبب نزولها: أنَّ قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم، فقال بعضهم: لعلَّ النبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أخذها...

في وقعة أُحد: هناك رواية أنّها نزلت حين ترك الرماة المركز يوم أُحد طلباً للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَن أخذ شيئاً فهو له، وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر. فقال النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ظننتم أنا نَغلُّ ولا نقسم لكم». فأنزل الله تعالى هذه الآية.

في حنين: وهناك رواية عن ابن عباس في رواية الضحاك: إنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لما وقع في يده غنائم هوازن يوم حُنين غلَّه رجل بمخيط، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وهناك من يبتعد عن كلِّ هذه الوقائع؛ ليذكر ما روي عن ابن عباس: أنَّ أشراف الناس استدعوا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يخصصهم بشيءٍ من الغنائم؛ فنزلت هذه الآية...

ما أرى إبرتكِ إلّا قد ذهبت!

وبما أننا نترجم للصحابي عقيل بن أبي طالب، فقد ذكروا له موقفاً يُشاد به ويُثنى بسببه عليه، ففي الثالث عشر من شهر شوال في السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة، وقعت معركة كبرى في وادي حنين الواقع بين مكة والطائف، دارت رحاها بين المسلمين من جهة وقبيلتي هوازن وثقيف من جهة أخرى، وقد ذكروا أنَّ عقيلاً كان مشاركاً مقاتلاً فيها، ومن الثابتين المدافعين عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حسب بعض الأخبار، وقد اختلفت الأخبار حين فرَّ المقاتلون المسلمون في عدد الثابتين الواقفين مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بين كونه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقي وحيداً يُقاتل، وبين أنّهم أربعة أو تسعة نفر، اثنا عشر نفراً،...

فعن حسين بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: كان ممن ثبت مع النبيِّ يوم حنين: العباسُ،

وعليٌّ عليه السلام، وأبو سفيان بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير بن عبدالمطلب، والزبير بن العوام، وأسامة بن زيد.

عن المغيرة بن الحارث بن نوفل بن الحارث، عن أبيه، عن جدّه نوفل: أنّه كان يحدث عن يوم حنين، قال: فرَّ الناس جميعاً، وأعروا رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يبق معه إلّا سبعة نفر من بني عبد المطلب: العباس، وابنه الفضل، وعليٌّ عليه السلام، وأخوه عقيل، وأبوسفيان، وربيعة، ونوفل بنو الحارث بن عبد المطلب، ورسول الله صلى الله عليه وآله مصلت سيفه في المجتلد، وهو على بغلته الدلدل، وهو يقول:

أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب ...

ولما وضعت الحرب أوزارها، وجمعت الغنائم، أخذ عقيل إبرةً من الغنائم قبل توزيعها يوم حنين، ودخل على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة، وسيفه متلطِّخ دماً، فقالت: إني قد عرفتُ أنَّك قد قاتلتَ، فماذا أصبتَ من غنائم المشركين؟ فقال: دُونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابَك، فدفعها إليها.

فسمع مناديَ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن أخذ شيئاً فليردَّه؛ حتى الخِياط والمِخيَط. فرجع عقيل، فقال: ما أرى إبرتَكِ إلّا قد ذهبت، فأخذها، فألقاها في الغنائم!

وفي قول: لما عاد إلى ساحة القتال، ورأى النبيَّ صلى الله عليه وآله قد أخذ يوم حنين وبرة من سنام بعير من الغنائم، فجعلها بين إصبعيه!

وسمعه يقول: «أيّها الناس إنَّه لا يحلّ لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه، إلّا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدّوا الخياط والمخيط، وإيّاكم والغلول، فإنَّ الغلول عار ونار وشنار على أهله في الدنيا والآخرة»!

ولما رأى الناس - وعقيل منهم - ذلك وسمعوا هذا الزجر المتضمن للوعيد من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، وأيضاً سمعوا منادي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَن أخذ شيئاً فليردَّه، حتى الخِياط والمِخيَط»!

أخذهم الاشفاق والخوف الشديد على أنفسهم، ورغبتهم الأكيدة في تلبية أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فرجع عقيل إلى امرأته، فقال لها: ما أرى إبرتك إلّا قد ذهبت! فأخذها وألقاها في الغنائم؛ لتصيبها قسمة الغنائم، وهو دليل ورعه وزهده والتزامه بأوامر الرسول صلى الله عليه وآله ونواهيه![1]

موقفه من الإمام عليّ عليه السلام :

سجلت لنا بعض الأخبار مواقف طيبة، تدلّ على ودّه وحبّه لأخيه عليّ عليه السلام، بدءًا بما روي من قوله للإمام عليٍّ عليه السلام: «يا أخي ما فرحت بشيءٍ كفرحتي بتزويجك فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله يدخلها عليك، فنقر عيناً باجتماع شملكما! قال عليٌّ عليه السلام: «والله يا أخي إني لأحبّ ذلك، وما يمنعني من مسألته إلّا الحياء منه»! فقال: أقسمت عليك إلّا قمت معي، فقمنا نريد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلقينا في طريقنا أمَّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فذكرنا ذلك لها، فقالت: لا تفعل و دعنا نحن نكلمه فإنَّ كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال ...

حدث هذا من عقيل، بعد أن أعدَّ الإمام عدّة الزواج ومكث ينتظر شهراً، كما يقول الإمام: «... ومكثتُ بعد ذلك شهراً، لا أعاود رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر فاطمة بشيء استحياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أني كنتُ إذا خلوتُ برسول الله صلى الله عليه وآله، يقول لي: «يا أبا الحسن ما أحسن زوجتك وأجملها، أبشر يا أبا الحسن فقد زوجتك سيدة نساء العالمين»!

قال عليٌّ عليه السلام: «فلما كان بعد شهر دخل عليَّ أخي عقيل بن أبي طالب، فقال: ومروراً

---

١ . انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ١٣٥ . البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥٣ . كتاب المغازي للواقدي ٣ : ٩١٨ ؛ وقعة حنين، الإصابة لابن حجر ٤ : ٤٣٨ رقم: ٥٦٣٢، ٤٥٦٤، أُسد الغابة لابن الأثير ٤ : ٦١ رقم ٣٧٣٣ . الأمالي للشيخ الطوسي : ٥٧٤-٥٧٥ .

تفسير التبيان للشيخ الطوسي، جامع البيان في تفسير القرآن للطبري وغيرها : الآية .

بحضوره زواجه من سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد ذكر ابن شهرآشوب: كتاب مولد فاطمة، عن ابن بابويه في خبر: أمر النبيُّ صلى الله عليه وآله بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن يرجزن ويكبرن ويحمدن، ولا يقولن ما لا يرضى الله.

قال جابر: فأركبها على ناقته، وفي رواية: على بغلته الشهباء، وأخذ سلمان زمامها، وحولها سبعون حوراء، والنبيّ صلى الله عليه وآله وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت عليهم السلام يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، ونساء النبيّ صلى الله عليه وآله قدامها يرجزن.

فأنشأت أمّ سلمة:

سرن بعون الله جاراتي واشكرنه في كلّ حالات

وإذ كرن ما أنعم ربّ العلى من كشف مكروه وآفات

هدانا بعد كفر وقد أنعشنا ربّ السماوات

وسرن مع خير نساء الورى تفدى بعمات وخالات

يا بنت من فضله ذو العلى بالوحي منه والرسالات.

ثم قالت عائشة:

يا نسوة استرن بالمعاجر واذكرن ما يحسن في المحاضر

واذكرن ربّ الناس إذ خصنا بدينه مع كلّ عبد شاكر

فالحمد لله على أفضاله والشكر لله العزيز القادر

سرن بها فالله أعطى ذكرها وخصّها منه بطهر طاهر.

ثم قالت حفصة:

فاطمة خير نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمر

فضلك الله على كلّ الورى بفضل من خصّ بآي الزمر

زوجك الله فتًى فاضلاً أعني عليًّا خير من في الحضر

فسرن جاراتي بها إنّها كريمة بنت عظيم الخطر .

ثم قالت معاذة أمّ سعد بن معاذ:

أقول قولاً فيه ما فيه وأذكر الخير وأبديه

محمد خير بني آدم ما فيه من كبر ولاتيه

بفضله عرفنا رشدنا فالله بالخير مجازيه

ونحن مع بنت نبي الهدى ذي شرف قد مكنت فيه

في ذروة شامخة أصلها فما أرى شيئاً يدانيه .

وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كلّ رجز، ثم يكبرن ودخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليٍّ عليه السلام ودعاه إلى المسجد، ثم دعا فاطمة عليها السلام فأخذ يديها ووضعها في يده، وقال: بارك الله في ابنة رسول الله ...!

أقول: كان ذلك الزواج المبارك في اليوم الأول من شهر ذي الحجّة من العام الثاني للهجرة النبوية الشريفة، ففي الكافي عن الإمام السجاد عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله وبعد هجرته إلى المدينة بسنة، زوّج السيدة فاطمة عليها السلام من الإمام عليٍّ عليه السلام .

الطبري نقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام: أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام تزوّج السيدة فاطمة عليها السلام في السنة الثانية للهجرة، وقبل أن ينتهي شهر صفر بعدّة أيام.

وفي خبرٍ آخر ذكره الطبري في تاريخه، قال: زُفّت السيدة فاطمة عليها السلام إلى عليٍّ عليه السلام بعد غزوة بدر.

ومن المعلوم أنَّ وقعة بدر الكبرى كانت في السابع عشر من شهر رمضان في العام الثاني للهجرة النبوية الشريفة.

وبالتالي هنا ملاحظات منها أنَّ جعفراً رضوان الله عليه كان في الحبشة مهاجراً، ولم

يعـد إلّا في فتـح خيبر في العام السـابع، ووقتها نسـب إلى الرسـولﷺ أنَّه قـال: «ما أدري بأيهـما أنا أسر؛ بفتـح خيبر، أم بقـدوم جعفر»؟!

ولم أجـد مـن يذكـر أنَّ جعفـراً عـاد إلى المدينة مـن هجرته للحبشـة قبل هـذا التاريخ؛ **هذا أولاً.**

وأمـا ثانيـاً: فـإنَّ عقيـلاً كان يومـذاك في مكة المكرمـة، ولم يدخـل المدينة إلّا أسـيراً في وقعـة بـدر الكـبرى في شـهر رمضـان من العـام الثاني مـن الهجـرة النبويـة، اللهـم إلّا أن نأخـذ بروايتـي الطبري المذكورتين أعـلاه:.. أنَّ الإمـام عليًّا عليه السلام تزوّج السـيدة فاطمة عليها السلام في السـنة الثانيـة للهجـرة، وقبـل أن ينتهي شـهر صفر بعـدّة أيام.

أو: زُفّـت السـيدة فاطمـة عليها السلام إلى علـيٍّ عليه السلام بعـد غـزوة بـدر في السـابع عشر من شـهر رمضـان في العـام الثاني مـن الهجـرة النبويـة المباركة.

والسـيدة أُمّ سـلمة تزوجها النبيُّ ﷺ بعد وقعت أُحد في شـوال سـنة ٣ هجرية، والتي جُـرح فيهـا زوجها أبـو سـلمة المخزومي، ثـمَّ استشـهد إثـر جُرحه هـذا، وإمـا أنَّه خرج بعدهـا في سريـة، ولما عـاد منها في جمادى الآخـرة من السـنة الرابعة للهجـرة انتقض عليه جرحـه ومـات. وبالتالي يكـون زواجهﷺ منها عـلى أقل تقديـر في أوائل السـنة الرابعة.

والقـول نفسـه في زواجـهﷺ مـن حفصـة بنت عمر، فـإنَّ زوجهـا خنيس بـن حذافة السـهمي هـو الآخـر استشـهد بعد إصابتـه في أحـد ٧ شـوال ٣ هجرية وقيل: بعـد غزوة بدر...[1]

١ . انظر مناقب آل أبي طالـب لابن شـهر آشـوب ٣ : ١٣٠ـ١٣١عن كتاب مولد فاطمة عـن ابن بابويه ؛ بحـار الأنـوار للعلامـة المجلسي ٤٣ : ١١٥ـ١١٦ ـ١٩٣ ؛ الـكافي للشـيخ الكليني، الروضة ٢ : ١٨٠ـ١٨١ ؛ تاريخ الطـبري ٢ : ٤١٠ ، و ١١ : ٥٩٨ ؛ طبقـات ابـن سـعد، أبـو سـلمة عبـد الله بن عبـد الأسـد المخزومـي ؛ الإصابـة في تمييـز الصحابـة، عبـد الله بـن عبد الأسـد، خنيس بـن حذافة ؛ سـير أعـلام النبـلاء للذهبي، أبـو سـلمة ؛ البداية والنهايـة لابن كثـير ٤ : ١٠٤ .

وبالتـالي لم يكـنَّ من نسـائهﷺ وقـت زواج وزفـاف السـيدة المطهرة الزهـراءعليها السلام من الإمـام عليٍّعليه السلام.

فهذه الأخبار تنقصها الدقّة والتحقيق كما يبدو لي.

وحضر وفاة الصديقة الطاهرة سلام الله عليها

هـذا وكان عقيـل واحداً ممن حـضر وفاتها سـلام الله عليها، وشـارك في الصلاة عليها كـما في الخـبر:.. وصـلّى عليهـا أمـير المؤمنـين، والحسن والحسـينعليهما السلام، وعـمار، والمقداد، وعقيـل، والزبـير، وأبـوذر، وسـلمان، وبريـدة، ونفـر مـن بنـي هاشـم في جـوف الليـل، ودفنها أمـير المؤمنـينعليه السلام سرًّا بوصية منهـا في ذلـك!

ويقـال: إنَّ عقيـلاً هو الـذي اختار أُمَّ البنين رضـوان الله عليها زوجـةً للإمام عليٍّعليه السلام؛ لتكـون أول امرأة يتزوّجهاعليه السلام، بعد وفاة سـيدة نسـاء العالمين فاطمـة الزهراءعليها السلام.

ولكنـهعليه السلام في قـولٍ قـد تـزوّج، بعـد وفـاة الصديقـة الطاهـرةعليها السلام، أمامـة بنـت أبي العـاص؛ وهـو ابـن أخـت أُمّ المؤمنيـن خديجـةعليها السلام. وأُمّهـا زينـب بنـت رسـول اللهﷺ وفي قـولٍ: زينـب هـذه كانت ربيبـة المصطفىﷺ والعرب يزعمـون أنّ الربيبـة بنت ...؛ لوصيـةٍ نُسـبت للزهـراءعليها السلام حين قالـت للإمام عليعليه السلام: «يا بـن عمّ رسـول الله، أُوصيك أولاً أن تتـزوج بعـدي بابنـة أختي أمامـة، فإنها تكون لولـدي مثلي، فإنّ الرجـال لابدّ لهم من النسـاء ...».[1]

وبالتـالي فأُمامـة تُعـدُّ الزوجـة الأولى للإمـام عـليعليه السلام بعـد سـيدة النسـاءعليها السلام، وقبـل زواجـه مـن أُمّ البنـين، التي أنجبت لـه أربعة، شـاركوا في واقعة كربلاء يوم عاشـوراء، و استشـهدوا جميعاً مـع أخيهم الإمام الحسـينعليه السلام، وهـم العباس وعبدالله وعثمان وجعفر

---

١ . بحـار الأنـوار للعلامـة المجلسي ١٨ : ١٣٨ ؛ وانظر أُسـد الغابـة ٧ : ٢٠ ، ٦٧٢٤ ؛ الإصابة ٨: ٢٥، ١٠٨٢٨.

سلام الله عليهم.

وكان أبرزهم العباس عليه السلام، وهو المقصود بالخبر التالي: «فتلد لي غلاماً فارساً المولود في اليوم الرابع من شهر شعبان من العام (٢٦هـ).

وإن صحَّ التاريخ المذكور لولادة أبي الفضل العباس عليه السلام، فيعني أنَّ وقت زواج الإمام عليٍّ عليه السلام من السيدة أُمّ البنين إلى ما يقرب من العام المذكور، أي بعد رحلة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بأكثر من أربعة عشر عاماً. وبالتالي فإنَّ طلب الإمام عليٍّ عليه السلام، إن صحَّ، من أخيه عقيل قد تأخر طويلاً...

وطلب الإمام عليه السلام ذكره ابن عنبة المتوفى (٨٢٨هـ) ولم يذكر سنداً ولا مصدراً، وكأنَّه تفرّد بما ذكره في المقطع الأول قائلاً: وقد روى أنَّ أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام قال لأخيه عقيل ـ وكان نسابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم ـ: «اُنظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب؛ لأتزوّجها، فتلد لي غلاماً فارساً».

مضيفاً عليه: ولما كان يوم الطف، قال شمر بن ذي الجوشن الكلابي للعباس واخوته: أين بنو أختي؟ فلم يجيبوه.

فقال الحسين عليه السلام لإخوته: أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنّه بعض أخوالكم.

فقالوا له: ما تريد؟

قال: اخرجوا إليَّ فانّكم آمنون، ولا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم.

فسبّوه وقالوا له: قبحت وقبح ما جئت به، أنترك سيّدنا وأخانا ونخرج الى أمانك؟ وقتل هو وإخوته الثلاثة في ذلك اليوم.

ولكني وجدتُ الشيخ أبا نصر البخاري من أعلام القرن الرابع الهجري (والمتوفى ٣٩٨ أو ٣٤١ هـ) في كتابه سرّ السلسلة العلوية يقول: قال أمير المؤمنين عليه السلام لعقيل بن أبي طالب ـ وهو أعلم قريش بالنسب ـ أطلب لي امرأة ولدتها شجعان العرب حتى تلد لي ولداً شجاعاً، فوقع الاختيار على أمّ البنين الكلابية، وولدت العباس بن علي

وأخوتـه. ولم يذكـر هـو الآخر مصـدراً لهذا.

وفي التعريـف بالكتـاب المذكـور يقـول السـيد محمـد صـادق بحـر العلـوم:.. فـانَّ صاحـب (عمـدة الطالـب) كثيراً مـا ينقـل عـن (سرّ السلسـلة العلويـة).

ولعـلّ ابـن عنبـة اكتفـى بنقـل هـذا الخبر مـن السلسـلة العلوية الـذي هـو الآخر لا أدري مـن أيـن جـاء به؟[1]

وداع أبي ذرٍّ الغفاري!

صـدر قـرار الخليفة الثالـث عثمان بإبعـاد الصحابي الجليـل صاحب أصدق لهجة ... كـما روي عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله أنَّـه قـال: «مـا أظلّـت الخـضراء، ولا أقلّت الغـبراء من ذي لهجـةٍ أصـدقَ مـن أبي ذر»! عـن المدينة المنـوّرة إلى حيث الربـذة؛ ليموت وحـده كما بشّره بذلـك حبيبُه رسـولُ الله صلى الله عليه وآله!

فـكان عقيـل ضمن أُولئـك المودّعـين للصحـابي الجليـل أبي ذرٍّ؛ قائلاً له قولاً سـديداً لا يخلـو مـن حكمـة ورشـاد، في وقت منعت سـلطة الخلافـة أن يُكلمـه أحدٌ وأن يُشـيعه وحتى حظـرت على النـاس أن يُقاعـدوه...

ففـي خـبرٍ ذكـره ابـن أبي الحديد عـن عكرمة عـن ابن عبـاس، قال: لما أُخـرج أبو ذرّ إلى الربـذة، أمـر عثمان، فنودي في النـاس ألّا يُكلم أحـدٌ أبا ذر ولا يشـيّعه. وأمر مروان بن الحكـم أن يخـرج بـه. فخرج بـه، وتحامـاه الناس إلّا عـليّ بـن أبي طالب عليه السلام وعقيـلاً أخاه وحسـناً وحسـيناً عليهما السلام، وعـماراً، فإنهـم خرجـوا معـه يشـيّعونه، فجعل الحسـن عليه السلام يكلم أبـاذر، فقـال لـه مـروان: إيهاً يـا حسـن! ألا تعلـم أنَّ أمير المؤمـنين قد نهى عـن كلام هذا

1 . عمدة الطالب في أنسـاب آل أبي طالب لابن عنبة (ت ٨٢٨ هجرية) ؛ سرّ السلسـلة العلوية للشيخ أبي نـصر البخـاري : ٨٨ ؛ التعريـف بكتاب سرّ السلسـلة العلوية للسـيد محمد صادق بحـر العلوم: ٣٥٧ .

الرجـل؟! فـإن كنت لا تعلـم فاعلم ذلـك، فحمل عليّ عليه السلام على مروان، فضرب بالسـوط بـين أذني راحلتـه، وقال عليه السلام: «تنـحَّ لحـاك الله إلى النار»!

فرجع مروان مغضباً إلى عثمان: فأخبره الخبر، فتلظّى على عليّ عليه السلام.

ووقـف أبـو ذر فودعـه القـوم، ومعـه ذكـوان مـولى أمّ هانـئ بنـت أبي طالـب. قـال ذكـوان: فحفظـت كلام القـوم ـ وكان حافظـاً ـ فقال عـليٌّ عليه السلام: «يـا أبـا ذر، إنّـك غضبت لله! إنَّ القـوم خافـوك عـلى دنياهـم، وخفتهـم على دينـك. فامتحنـوك بالقـلى، ونفوك إلى الفـلا، والله لـو كانـت السـماوات والأرض عـلى عبـدٍ رَتقا، ثـمَّ اتقـى الله؛ لجعل لـه منها مخرجـاً. يـا أبـا ذر لا يؤنسـنك إلّا الحـقّ، ولا يوحشـنّك إلّا الباطـل».

ثـم قال لأصحابـه: «ودعوا عمَّكـم، وقال لعقيـل: ودع أخاك»! فتكلـم عقيل، فقال: مـا عسـى أن نقـول يا أبـا ذر، وأنـت تعلم أنـا نحبّك، وأنـت تحبّنا فاتـق الله، فـإنَّ التقوى نجـاة، واصبر فإنَّ الصبر كـرم، وأعلـم أنَّ اسـتثقالك الصبر من الجـزع، واسـتبطاءك العافيـة من اليـأس، فدع اليأس والجـزع!

ثمَّ تكلّم الحسن عليه السلام... ثمَّ تكلّم الحسين عليه السلام... ثمَّ تكلّم عمّار رحمه الله مغضباً...

فبكـى أبـو ذر رحمه الله، وكان شـيخاً كبـيراً، وقـال: «رحمكـم الله يـا أهـل بيـت الرحمـة! إذا رأيتكـم ذكـرتُ بكم رسـول الله صلى الله عليه وآله؛ مـا لي بالمدنيـة سـكنٌ ولا شـجنٌ غيركـم، إني ثَقُلتُ عـلى عثـمان بالحجـاز، كما ثَقُلـتُ عـلى معاوية بالشـام، وكـره أن أجـاور أخاه وابـنَ خاله بالمصريـن، فأُفسِـد النـاس عليهما، فسـيّرني إلى بلدٍ ليس لي بـه ناصر ولا دافـع إلّا الله، والله مـا أريـد إلّا الله صاحبـاً، وما أخشـى مع الله وحشـةً»!

ورجـع القـوم إلى المدينـة، ... وبفـلاة مـن الأرض رحل أبـو ذرٍّ إلى ربّه وحيـداً؛ تظلّله كلمـةٌ مباركـةٌ قالهـا لـه رسـول الله صلى الله عليه وآله: «رحـم الله أبـا ذرٍّ يُحشر وحـده، ويمـوت وحده، ويُبعـث وحده»!

وسـمعها مَـن حولـه، وذلك حـين رآه، وقـد أبطأ بعيره في غـزوة تبـوك، فحمل متاعه

على ظهره، وتبع أثر الرسول ﷺ ماشياً حتى لحق به.

ويبدو أنَّ أبا ذرٍّ ظلَّ يحمل متاعه الحقيقي وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طيلة مسيرته في الإسلام، حتى حظي بثمار صدقه، أن حلَّ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.[1]

رسالة عقيل للإمام عليه السلام، البلاذري عن عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد أنّ عقيلاً كتب إلى أخيه عليّ عليه السلام: «أمّا بعد كان الله جارك من كلّ سوء، وعاصمك من المكروه على كلّ حال، إنّي خرجت ــ يا بن أمّ ــ معتمراً، ولقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فقلت لهم ــ وعرفت المنكر ــ: أين تريدون يا بني الطلقاء؟ أبمعاوية تلحقون عداوة لنا غير مستنكرة منكم، تحاولون تغيير أمر الله وإطفاء نور الحق! فأسمعوني وأسمعتهم، ثمّ إنّي قدمت مكة وأهلها يتحدّثون بأنّ الضحاك بن قيس أغار على الحيرة وما يليها، فأف لدهر جرأ علينا الضحاك، وما الضحاك إلّا فقع بقرقر، فاكتب إليّ يا بن أمّ برأيك وأمرك، فإنْ كنت الموت تريد، تحمّلت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا مت.

فكتب إليه الإمام عليّ عليه السلام: «أنّ ابن أبي سرح وغيره من قريش قد اجتمعوا على حرب أخيك اليوم كاجتماعهم على حرب ابن عمّك قبل اليوم، وإنَّ الضحاك أقلَّ وأذلَّ من أن يقرب الحيرة، ولكنه أغار على ما بين القطقطانية والثعلبية».

أمّا الثقفي فقد أورد الرواية نفسها التي وردت عند البلاذري مع شيء بسيط من الاختلاف، منها: بدلاً من أبناء الطلقاء ذكر أبناء الشائنين، وأضاف على قصّة إغارة الضحاك قوله: «فاحتمل من أموالهم ما شاء ثمّ انكفأ راجعاً سالماً... ثم قال: وقد

1. سورة القمر: ٥٥؛ انظر شرح نهج البلاغة ٨: ٢٥٢ ـ ٢٥٤؛ كتاب السقيفة لعبد العزيز الجوهري؛ وانظر مقالة أبو ذر الغفاري وحده في العدد ١٣ من هذه المجلة.

توهّمت حين بلغني ذلك أنّ شيعتنا وأنصارك خذلوك، فاكتب إليّ يا بن أمّ برأيك... فوالله ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً، وأقسم بالأعزّ الأجلّ إنّ عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وعن الدينوري: خروج علي عليه السلام من المدينة... فلما كان في بعض الطريق، أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبي طالب، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد يا أخي، كلاك الله، والله جائرك من كلّ سوء، وعاصمك من كلّ مكروه على كلّ حال، وإني خرجت معتمراً، فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما، وهم متوجهون إلى البصرة، قد أظهروا الخلاف، ونكثوا البيعة، وركبوا عليك قتل عثمان، وتبعهم على ذلك كثير من الناس، من طعناتهم وأوباشهم، ثم مرّ عبد الله بن أبي سرح، ...

وردّ عليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب: سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا أله إلّا هو، أمّا بعد كلأنا الله وإيّاك كلاءة من يخشاه بالغيب إنّه حميد مجيد، فقد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي، تذكر فيه أنّك لقيت عبد الله بن سعيد بن أبي سرح مقبلاً من قديد في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء متوجّهين إلى المغرب، وأنّ ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصد عن سبيله وبغا عوجاً، فدع ابن أبي سرح ودع عنك قريشاً، وخلّهم وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، إلّا وإنّ العرب قد اجتمعت على حرب أخيك اليوم اجتماعها على حرب النبيّ صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه وجحدوا فضله، وبادروه العداوة ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كلّ الجهد، وجرّوا عليه جيش الأحزاب، اللّهمّ فأجز قريشاً عنّي الجوازي فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليَّ، ودفعتني عن حقّي، وسلبتني سلطان ابن أمّي، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول صلى الله عليه وآله وسابقتي في الإسلام، إلّا أن يدّعى مدّع ما لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كلّ حال.

وأمّا ما ذكرت من غارة الضحّاك على أهل الحيرة فهو أقلّ وأذلّ من أن يلمّ بها أو يدنو منها ولكنه قد كان أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة حتّى مرّ بواقصة وشراف والقطقطانية فما والى ذلك الصقع، فوجّهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرّ هارباً، فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوشوا القتال قليلاً كلّا ولا، فلم يصبر لوقع المشرفية وولّى هارباً، وقتل من أصحابه تسعة عشر رجلاً، ونجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق ولم يبق منه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا.

والله ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه فإنّ رأيي جهاد المحلّين حتّى ألقى الله، لايزيدني كثرة الناس معي عزّة، ولا تفريقهم عنّي وحشة؛ لأنّي محقّ والله مع الحقّ، والله ما أكره الموت على الحقّ، وما الخير كلّه بعد الموت إلّا لمن كان محقّاً.

وأمّا ما عرضت عليّ من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً فوالله ما أحبّ أن تهلكوا معي إنْ هلكت، ولا تحسبن أنّ ابن أمّك ـ ولو سلّمه الناس ـ متخشّعاً ولا متضرّعاً ولا مقراً للضيم واهناً ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المقتعد، إنّي لكما كما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنّني ... صبور على ريب الزمان صليب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة ... فيشمت عاد أو يساء حبيب».

وقد ورد الكتاب في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء»، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك شمّر هارباً ونكص نادماً، فلحقوه ببعض الطريق، وقد طفلت الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا، فما كان إلّا كموقف ساعة حتى نجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق ولم يبق منه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا.

فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه، فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي، فجزت قريشاً عنّي الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمّي.

وأمّا ما سألت عنه مِن رأيي في القتال، فإنّ رأيي قتالُ المحلّين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّةً، ولا تفرقهم عنّي وحشةً، ولا تحسبن ابن أبيك ـ ولو أسلمه الناس ـ متضرّعاً متخشّعاً، ولا مقرًّا للضيم واهناً، ولا سلس الزمام للقائد، ولا وطئ الظهر للراكب المقتعد، ولكنَّه كما قال أخو بنى سليم:

فإن تسأليني كيف أنتَ فإنَّني ... صبورٌ على ريب الزمان صليبُ
يعزُّ عليَّ أن تُرى بي كآبةٌ ... فيّشمت عادٍ أو يُساء حبيبُ.[1]

أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟!

حفظاً لبيت مال المسلمين، وتجذيراً لمبدإ الإنصاف بينهم، وبعيداً عن تضييع حقوقهم، ومنعاً للتبذير والتجاوزات، وإبعاداً لطمع القريب وتسلط العشيرة،... رسم الإمام عليّ عليه السلام منهجه في العدل والإحسان بين عباد الله تعالى.

ومن مصاديق هذا موقفه من أخيه عقيل بن أبي طالب الذي لطالما سأله عطاءً، وذلك حين جاءه يوماً يطلب منه أكثر من حقّه، قال عليه السلام: «والله لأن أبيتُ على حسك السعدان مسهداً، أو أجرّ في الأغلال مصفّدًا، أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها، والله لقد رأيتُ عقيلاً وقد أملق، حتى

---

١ . أنساب الأشراف للبلاذري: ٧٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦ : ١٤٨ رقم٣٦، ٣ : ٦٠؛ الغارات للثقفي ٢ : ٤٢٩، ٤٣١؛ الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١ : ٧٤ـ٧٦؛ كتاب عقيل وجواب الإمام عليه السلام، مع اختلافات يسيرة في الكتب.

استماحني من برّكم صاعاً، ورأيتُ صبيانه شعثَ الشعور غُبرَ الألوان من فقرهم، كأنما سُوِّدت وجوههم بالعِظْلم، وعاودني مؤكداً وكرّر عليَّ القول مردداً، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنَّ أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقتي، فأحميتُ له حديدةً، ثمَّ أدنيتُها من جسمه؛ ليعتبر بها، فضجَّ ضجيجَ ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها! فقلتُ له: ثكلتك الثواكلُ يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانُها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارُها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى...!

حدثنا محمد، عن ... عن جعفر بن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: روى الثقفي، قال: قدم عقيل على عليٍّ عليه السلام، وهو جالس في صحن مسجد الكوفة، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله. قال: وعليك السلام يا أبا يزيد، ثم التفت إلى الحسن بن علي عليهما السلام، فقال: قم وأنزل عمَّك، فذهب به فأنزله وعاد إليه.

فقال له: اشتر له قميصاً جديداً، ورداءً جديداً، وإزاراً جديداً، ونعلاً جديداً.

فغدا على عليٍّ عليه السلام في الثياب، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: وعليك السلام يا أبا يزيد.

قال: يا أمير المؤمنين، ما أراك أصبتَ من الدنيا شيئًا إلّا هذه الحصباء؟!

قال عليه السلام: يا أبا يزيد، يخرج عطائي فأعطيكاه!

قال حميد بن هلال: أتى عقيل عليًّا عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، إني محتاج وإني فقير فأعطني. قال: اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم.

فألحَّ عليه، فقال لرجل: خذ بيده، فانطلق به إلى حوانيت أهل السوق، فقل: دقّ هذه الأقفال، وخذ ما في هذه الحوانيت. فقال: يا أمير المؤمنين، أردت أن تتخذني سارقًا! قال: أنت - والله - أردت أن تتخذني سارقًا، أن آخذ أموال الناس فأعطيكها دونهم.

قال: لآتيَنَّ معاوية. قال: أنت وذاك!...

وعـن عبدالصمـد، عن جعفـر بن محمدعليهما السلام قـال: قلت: يـا أبا عبـدالله حدثنا حديث عقيـل، قـال : نعـم، جـاء عقيل إليكـم بالكوفـة وكان عليعليه السلام جالسـاً في صحن المسـجد وعليـه قميـص سـنبلاني قـال: فسـأله، قـال: أكتب لـك إلى ينبـع، قـال: ليس غـير هذا؟ قـال: لا، فبينـما هـو كذلك إذ أقبل الحسـينعليه السلام (الحسـن بـن عليّعليه السلام).

فقال: اشتر لعمّك ثوبين، فاشترى له.

قال: يا ابن أخي ما هذا؟

قال: هذه كسوة أمير المؤمنينعليه السلام.

ثـم أقبـل حتى انتهـى إلى عـليّعليه السلام، فجلس فجعـل يضرب يـده على الثوبـين، وجعل يقـول: مـا ألين هـذا الثـوب يا أبـا يزيد!

قـال: يـا حسـن أخـد عمّك قـال: قـال: مـا أملـك صفـراء ولا بيضـاء، قـال: فمر له ببعـض ثيابـك، قـال: فكسـاه بعض ثيابـه، قال: ثم قـال: يا محمـد أخد عمك، قـال: والله مـا أملك درهمـاً ولا دينـاراً، قال: اكسـه بعـض ثيابك.

قال عقيل: يا أمير المؤمنين، ائذن لي إلى معاوية؟

قال: في حلّ محلل!

إلى حيث معاوية!

ليَسـمَعَ معاويـةُ عقيـلاً يُعلنهـا صريحـةً قويّةً في ميدان سـلطته؛ سـلطة بنـي أُميّة، حين يُجيبـه عن سـؤاله: كيف تركـتَ عليًّـا وأصحابَه؟

قال عقيل: كأنّهم أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله يوم بدر، إلّا أنّي لم أرَ رسول اللهصلى الله عليه وآله فيهم!

وكأنّك وأصحابك أبو سفيان يوم أُحد، إلّا أنّي لم أرَ أبا سفيان معكم!

فليـس عقيـل التقى بمعاوية طلباً للرفـد وطمعاً بالمال بمعنى أنّه كان في أزمة معيشـية، يعـاني منهـا كما ذكـروا، ولكنـي أرى أنّـه برحلته هـذه إضافـةً إلى أنّه أخـذ ما يـراه حقًّا له

مـن المـال، أظهـر لا فقط الدنس في نسـب معاوية، بل والخسّـة في سـيرته وسـيرة من تبعه من أصحابـه وجنده!

فـإن صحّـت أخبار الـرواة أنَّ عقيلاً أفي حياة الإمـام عليٍّ عليه السلام ، بعد أن اسـتأذن منه، أو بعـد رحلـة الإمـام عليه السلام إلى الملكوت الأعلى على الاختـلاف في هذا، ارتحل إلى الشـام حيث معاويـة بـن أبي سـفيان، وهـذا هو ما أشـار إليه ابـنُ أبي الحديـد في قوله: واختلـف الناس في عقيـل؛ هـل التحق بمعاويـة وأمير المؤمنين حيٌّ؟ فقـال قوم: نعـم ... ورووا أنَّ معاوية قـال يومـاً وعقيـل عنده هذا أبـو زيد لولا علمـه فقال: إني خير لـه من أخيه لما أقام عندنا وتركـه. فقـال عقيـل: أخي خـير لي في دينـي وأنت خـير لي في دنيـاي، وقد آثـرت دنياي، أسـأل الله خاتمة خير!

وقـال قـوم: إنـه لم يعـد إلى معاويـة إلّا بعد وفاة أمـير المؤمنـين عليه السلام، واسـتدلوا عـلى ذلـك بالكتـاب الذي كتبه إليه في آخـر خلافته، والجـواب الذي أجابـه عليه السلام... ويختم هذا بقولـه: وهـذا القول هـو الأظهـر عندي.

وأمـا الكتـاب فهـو رقـم ٣٦ في الجزء ١٦ : ١٤٨ مـن الـشرح المذكـور. وعنوانه: من كلام لـه عليه السلام إلى أخيـه عقيـل بـن أبي طالـب، وهـو جـواب كتـاب إليـه كتبـه عقيـل: فَسَرَّحْـتُ إِلَيْـهِ جَيْشـاً كَثِيفاً مِـنَ الْـمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَـهُ ذَلِكَ شَـمَّرَ هَارِباً وَ نَكَـصَ نَادِماً، فَلَحِقُـوهُ بِبَعْـضِ الطَّرِيـقِ... و هـو الضحّاك بـن قيس... فيـما يفهم من ابن قتيبـة (المتوفى سـنة ٢٧٦هـ) في كتابـه الإمامـة والسياسـة ـ إن صحّت نسبته إليـه ـ أنَّ عقيـلاً خرج إلى معاويـة في حيـاة أخيـه الإمـام عليٍّ عليه السلام.

وأيضاً يقول التستري: و في كتاب عقيل إليه (أي إلى الإمام عليه السلام):

«فـافّ لحيـاة في دهر جـرؤ عليك الضحّـاك، و ما الضحّـاك إلّا فقع بقرقـر» أي: كمأة رخـوة في قـاع أملس تطأهـا كلّ دابة».

وهـو جـواب كتاب كتبـه إليه أخـوه عقيل. المفهـوم من ابن قتيبـة أنّ عقيـلاً كتب إليه

في أوّل خلافتـه كتاباً، فأجابه بـما في العنوان.

وأما كتاب أو رسالة عقيل للإمام عليه السلام.

فعـن البـلاذري عـن عبّـاس بـن هشـام عـن أبيه عـن أبي مخنـف عن سـليمان بـن أبي راشـد أنّ عقيـلاً كتـب إلى أخيه عليّ عليه السلام: أمّـا بعد كان الله جارك من كلّ سـوء، وعاصمك مـن المكـروه على كلّ حـال، إنّي خرجـت ــ يا بـن أمّ ــ معتمـراً، ولقيت عبدالله بن سـعد بـن أبي سرح في نحـو مـن أربعـين شـاباً من أبنـاء الطلقـاء، فقلت لهـم ــ وعرفـت المنكر ــ :أيـن تريـدون يـا بني الطلقـاء؟ أبمعاوية تلحقـون عـداوة لنا غـير مسـتنكرة منكم، تحاولـون تغيـير أمـر الله وإطفاء نـور الحق!! فأسـمعوني وأسـمعتهم، ثـمّ إنّي قدمت مكة وأهلهـا يتحدّثـون بـأنّ الضحـاك بـن قيس أغـار على الحـيرة وما يليهـا، فـأف لدهر جرأ علينـا الضحـاك، ومـا الضحـاك إلّا فقع بقرقـر، فاكتـب إليّ يا بـن أمّ برأيك وأمـرك، فإنْ كنـت المـوت تريـد، تحمّلت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشـنا معك ما عشـت، ومتنا معـك إذا مت.

فكتـب إليـه الإمـام علـيّ عليه السلام: «أنّ ابـن أبي سرح وغـيره مـن قريـش قد اجتمعـوا على حـرب أخيـك اليـوم كاجتماعهـم على حـرب ابـن عمّك قبـل اليـوم، وإنَّ الضحـاك أقلَّ وأذلَّ مـن أن يقـرب الحـيرة، ولكنـه أغـار على مـا بـين القطقطانيـة والثعلبية».[1]

إنَّ أهـم مـا في هـذه الرحلـة إلى معاوية، هي تلـك اللقـاآت والحوارات التـي تخللتها، وإجابـات عقيـل عـمّا يسـأل عنـه معاويـة، وردوده عـلى كلّ ما طرحـه معاوية إن سـاخراً أو مسـتفهماً. وبـلا شـك أنّهـا جميعاً تركت دروسـاً وعـبراً ومواعـظ: لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّـمْعَ وَهُـوَ شَـهِيدٌ. فضلاً عمّا كشـفته مـن حقيقة بني أُميّـة ومعاوية ومَـن تبعه،

---

١ . مختـصر تاريـخ دمشـق لابن منظـور١٧ : ١١٤ـ١٢٢، رقـم ٣٦، وغيره؛ شرح نهـج البلاغة لابن أبي الحديـد١١ : ٢٥١ ؛ الإمامـة والسياسـة١ : ١٠١ ـ ١٠٢ ؛ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشـيخ محمد تقي التسـتري١٠ ؛ أنسـاب الأشراف:٧٤.

وخصومتهم للإمام عليٍّ عليه السلام!

ومن الجدير ذكره هنا أنَّه يُقال وحسب عدد من الأخبار أنَّ عقيلاً أُصيب في آخر عمره بالعمى، أي قبل وفاته، وإن قيل بأنَّه كان أعور قبل ذلك، وبعضها يذهب إلى أنَّه أُصيب بالعمى وهو في الكوفة، ولما ذهب إلى معاوية كان كذلك، أي دخل على معاوية وقد كُفَّ بصره، فأجلسه معاوية على سريره، ثمَّ قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم!! قال: وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم، وأحسَّ وانتبه لما فعله معاوية حين دخل عتبة بن أبي سفيان، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما، فقال عقيل: من هذا الذي أجلس أمير المؤمنين بيني وبينه؟ قال: أخوك وابن عمّك عتبة.

قال: أما إنه إن كان أقرب إليك مني، إني لأقرب لرسول الله صلى الله عليه وآله منك ومنه، وأنتما مع رسول الله صلى الله عليه وآله أرض ونحن سماء.

قال عتبة: أبا يزيد! أنت كما وصفت، ورسول الله صلى الله عليه وآله فوق ما ذكرت، وأمير المؤمنين عالم بحقّك، ولك عندنا مما تحبّ أكثر مما لنا عندك مما تكره إذن لم يمنعه العمى ولا كبر سنّه من أي حركة أو قول، بل هو يحتفظ بقدرته وانتباهه لما يدور حوله وفي مجالسه، وبحضوره الذهني وقوّة حجّته في المحاججة، وردوده القويّة على معاوية وأمثاله، حينما التقى به في أواخر عمره، وعندما يحتدم الجدال بينه وبين عقيل وبين عقيل وجلساء معاوية...

يقول عنه الجاحظ: كان عقيل رجلاً قد كفَّ بصره، وله بعد لسانه وأدبه ونسبه وجوابه، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال، صار لسانه بها أطول..!

كان عقيل أسرع الناس جواباً وأشد عارضة، وأحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك. وهذه بعض كلمات حقٍّ أطلقها عقيل، وأسمعها معاوية وجلساءه، يجدها القارئ في أي لقاء ضمَّ عقيلاً ومعاوية، وبحضور جلساء سلطانه ومريديه!

ففـي مواجهـة له لمعاويـة، وقد سـأله فأعطاه مائـة ألف، ثم قـال: اصعد المنـبر، فاذكر مـا أولاك عـليٌّ من نفسـه، وما أوليتُـك من نفسي!

فصعـد عقيـل، فحمـد الله وأثنـى عليه، ثـمَّ قال: أيهـا النـاس، إني أخبركـم أني أردتُ عليًّـا عـلى دينـه، فاختـار دينـه! وإني أردتُ معاويـة عـلى دينـه، فاختارني عـلى دينه!

ومـن أقوالـه الأُخـرى: أخـي خـير لي في دينـي، وأنـت خـير لي في دنياي، وقـد آثارت دنيـاي، وأسـأل الله خاتمـة خير!

يا أهل الشام، إنَّ أخي خير لنفسه وشرّ لي، وإنَّ معاوية شرّ لنفسه، وخير لي!

إنَّ أخـي آثـر دينـه على دنيـاه، وأنت آثـرتَ دنياك على دينـك، فأخي خير لنفسـه منك لنفسك!

وجدتُ عليًّا انظر لنفسه منه لي، ووجدتُك انظر لي منك لنفسك.

فأنت خير لي من أخي، وأخي خير لنفسه منك!

وردًّا على سؤال معاوية: يا أبا يزيد، كيف تركت عليًّا؟

فقال: تركتُه على ما يُحبّ اللهُ ورسولُه، وألفيتُك على ما يكره اللهُ ورسولُه!

هـذا ومـا أن رأى كلٌّ منهـا الآخـر في أول لقـاءٍ لهما ـ كما يبـدو من الأخبار ـ في الشـام حيـث معاوية وسـلطانه، قـال معاوية سـاخراً: هـذا عقيل وعمّـه أبو لهب!

فقال عقيل: هذا معاوية عمّته حمالة الحطب!

وفي خـبرٍ أنَّـه قال: يا أهل الشـام، هل سـمعتم قـول الله في كتابه: ﴿تَبَّتْ يَـدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَـبَّ﴾. قالـوا: نعـم. قـال: فـإنَّ أبا لهب عـمّ عقيل. فقـال عقيـل: فهل سـمعتم قول الله عزّوجـلَّ: ﴿وَامْرَأَتُـهُ حَمَّالَـةَ الْحَطَبِ﴾. قالوا: نعم! قـال: فإنّها عمّتـه. قالوا: نعم!

وأنـا أقـول: ويكفي ردًّا هـو أنَّ معاوية لمـا أراد أن يغضب عقيلاً، عـيّره بعمّه أبي لهب، فـردّ عليـه بأنَّ عمَّته حمالـة الحطب، فأسـكته... وليس هذا يُعـدُّ ردًّا على معاويـة فقط، بل

هـو يصلـح أن يكـون ردًّا ضمـن ردود عديدة على أولئك المشـككين بإيمان سـيد البطحاء وشـيخها أبي طالب رضـوان الله عليه.

إذ لـو كان أبـو طالـب رضـوان الله عليـه غـير مسـلم؛ لعـيّر معاويـة عقيلاً بـه قبل أن يُعـيّره بعمّـه، فالأب أقـرب من العـمّ، والعار به أوقع، والسـخرية والانتقـاص من عقيل بأبيـه أخطـر أثراً وأبلغ وقعـاً أمام الملإ الذين كانـوا حضوراً. لكنَّ معاوية لم يجد في سـجله مـا فيـه دنسٌ في نسـب عقيل وبيت شـيبة الحمد؛ شـيبة بني هاشـم أبي طالـب رضوان الله عليـه، إلّا مـا وجـده في أبي لهب، فلم يسـتطع كتمانه، فبـدأ به، وختم به. ولم يـردّ على عقيل بـشيءٍ أبـداً، حينما عـيّره بعمّته امـرأة أبي لهب!!

الحديدة المحماة!

ومـا أسرع مـا تَذكَّـر معاويـةُ قصةَ الحديـدة المحـماة، فراح يسـأل عقيلاً عنهـا! فبكى، وقـال: نعـم أقويـت وأصابتني مخمصـة شـديدة، فجمعتُ صبيـاني وجئتُه بهـم، والبؤس والـضرُّ ظاهـران عليهـم، فقـال: إئتني عشـية لأدفع إليك شـيئاً.

فجئتُـه يقـودني أحـدُ ولدي، فأمـره بالتنحي، ثـم قـال: ألا فدونك، فأوهيـت حريصاً قـد غلبنـي الجشـع، أظنّهـا صرةً، فوضعـتُ يـدي على حديـدة تلتهب نـاراً، فلـما قبضتها نبذتهـا، وخـرتُ كـما يخور الثور تحت يد جـازره!

فقـال لي: ثكلتـك أمُّـك، هذا من حديدة أوقـدت لها نار الدنيا، فكيف بـك وبي غداً إن سـلكنا في سلاسـل جهنم! ثم قرأ: ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾.[1]

ثـم قـال: ليـس لك عنـدي فوق حقّـك الـذي فرضـه الله لـك إلّا ما تـرى، فانصرف إلى أهلـك! فجعـل معاويـة يتعجـب ويقـول: هيهـات هيهـات عقمـت النسـاء أن يلدن مثله!!!.

---

١ . سورة غافر: ٧١.

وفي خبرٍ: فلما سمع به معاوية، نصب كراسيه، وأجلس جلساءه.

فورد عليه، فأمر له بمائة ألف درهم، فقبضها، فقال له معاوية: أخبرني عن العسكرين.

قال: مررتُ بعسكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا ليل كليل النبيّ صلى الله عليه وآله، ونهار كنهار النبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم.

ومررتُ بعسكرك، فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة.

ثمَّ قال: مَن هذا الذي عن يمينك يا معاوية؟ قال: هذا عمرو بن العاص.

قال: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر، فغلب عليه جزارها! فمَن الآخر؟ قال: الضحاك بن قيس الفهري.

قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيس.

فمَن هذا الآخر؟ قال: أبو موسى الأشعري.

قال: هذا ابن المراقة. وفي شرح النهج: السراقة.

فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه، قال: يا أبا يزيد ما تقول فيَّ؟

قال: دع عنك.

قال: لتقولن.

قال: أتعرف حمامة؟

قال: ومَن حمامة؟

قال: أخبرتك! ومضى عقيل!

فأرسل معاوية إلى النسابة، قال: فدعاه، فقال: أخبرني مَن حمامة؟!

قال: أعطني الأمان على نفسي وأهلي، فأعطاه، قال: حمامة جدّتك، وكانت بغية في الجاهلية، لها راية تؤتى.

قال الشيخ: قال أبو بكر بن زبين: هي أمّ أمّ أبي سفيان.

ونقله ابـن أبي الحديـد في شرح النهـج (١: ١٥٧، س٦) مـن دون نسـبة ومـع زيـادة وهـي: فلـما رأى معاويـة أنه قد أغضب جلسـاءه، علم أنه إن اسـتخبره عن نفسـه قال فيه سـوءًا، فأحـب أن يسـأله ليقول فيه مـا يعلمه من السـوء، فيذهب بذلك غضب جلسـائه (إلى أن قـال) فقـال معاوية لجلسـائه: قد سـاويتكم وزدت عليكم فـلا تغضبوا!

وقال معاوية لعقيل: إنّ فيكم يا بني هاشم لخصلة لا تعجبني.

قال: وما تلك الخصلة؟

قال: اللين.

قال: وما ذلك اللين؟

قال: هو ما أقول لك.

قـال: أجـل يـا معاويـة، إنَّ فينا للينـاً من غير ضعـف، وعـزًّا في غير عنف، فـإنَّ لينكم يـا بن صخر غـدر، وسـلمكم كفر!

فقال معاوية: ما أردنا كلّ هذا يا أبا يزيد!

فقال عقيل: لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلّا ليعلما

أنَّ السفاهة طيش من خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين (الملاعينا).

فأراد معاوية أن يقطع كلامه فقال: ما معنى كلمة (طه)؟

فقـال عقيـل: نحن أهله وعلينا نـزل لا على أبيـك ولا على عمّك ولا عـلى أهل بيتك، طه بالعبرانيـة يا رجل!

أقـول: الملتمـس لقب شـاعر جاهـلي، اختلف في اسـمه بـين جرير بن عبد المسيح أو جريـر بـن عبـد العزى، يُقـال: إنَّـه كان يكره الظلم، ويتصف بأنه سـليط اللسـان، نسبوا إليـه أنَّه مـن ضمن أشـعاره قال:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا   وما عُلِّم الإنسان إلّا ليعلما

وهو مثل يضرب لمن إذا نُبِّه انتبه!

من طرائفه ونوادره:

عرف الرجل بذكائه وسرعة بديهيته، وأجوبته الحاضرة، وواقع ما يتكلم به، وقد وصفت بعض ردوده بالطرافة، فقد سجلوا له أنَّه لما تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، ودخل عليها، قالت: أين عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة؟ فيسكت عنها.

حتى إذا دخل عليها يوماً وهو برم، قالت: أين عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة؟ قال: عن يسارك في النار إذا دخلت، فشدّت عليها ثيابها، فجاءت عثمان، فذكرت ذلك له فضحك!

قال معاوية لعقيل: يا أبا يزيد! أين يكون عمّك أبو لهب اليوم؟

قال: إذا دخلت جهنم، فاطلبه تجده مضاجعاً لعمّتك أمّ جميل بنت حرب بن أمية!

وفي خبرٍ قال له يوماً: يا أبا يزيد! أين ترى عمَّك أبا لهب؟

فقال له عقيل: إذا دخلت النار، فانظر عن يسارك تجده مفترشاً عمَّتك، فانظر أيّها أسوء حالاً الناكح أم المنكوح؟!

وقال معاوية له: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم!

قال: لكنه في نسائكم يا بني أمية أبين!

دخل عقيل على معاوية وقد كفّ بصره، فلم يسمع كلاماً، فقال: يا معاوية: أما في مجلسك أحد؟

قال: بلى.

قال: فما لهم لا يتكلمون؟

فتكلم الضحاك بن قيس، فقال عقيل: مَن هذا؟

فقال له معاوية: هذا الضحاك بن قيس.

قال عقيل: كان أبوه خاصي القردة، ما كان بمكة أخصى لكلب وقرد من أبيه!

وفي خبرٍ:.. قال عقيل: يا أمير المؤمنين، ائذن لي إلى معاوية؟

قال: في حلّ محلل.

فانطلق نحوه، وبلغ ذلك معاوية، فقال: اركبوا أفره دوابكم والبسوا من أحسن ثيابكم، فإنَّ عقيلاً قد أقبل نحوكم، وأبرز معاوية سريره، فلما انتهى إليه عقيل، قال معاوية: مرحباً بك يا أبا يزيد! ما نزع بك؟

قال: طلب الدنيا من مظانها!

قال: وقفتَ وأصبتَ، قد أمرنا لك بمائة ألف، فأعطاه المائة الالف.

ثم قال: أخبرني عن العسكرين اللذين مررت بهما عسكري وعسكر عليّ.

قال: في الجماعة أخبرك أو في الوحدة؟

قال: لا بل في الجماعة.

قال: مررتُ على عسكر عليٍّ عليه السلام، فإذا ليل كليل النبيّ صلى الله عليه وآله، ونهار كنهار النبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيهم!

ومررتُ على عسكرك، فإذا أول من استقبلني أبو الأعور وطائفة من المنافقين والمنفرين برسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أنَّ أبا سفيان ليس فيهم!

فكفّ عنه حتى إذا ذهب الناس قال له: يا أبا يزيد! أيش صنعت بي؟

قال: ألم أقل لك: في الجماعة أو في الوحدة فأبيت عليّ؟

قال: أما الآن فاشفني من عدوي، قال: ذلك عند الرحيل.

فلما كان من الغد شدّ غرائره ورواحله، وأقبل نحو معاوية وقد جمع معاوية حوله، فلما انتهى إليه قال: يا معاوية مَن ذا عن يمينك؟

قال: عمرو بن العاص، فتضاحك، ثم قال: لقد علمت قريش أنه لم يكن أحصى لتيوسها من أبيه، ثم قال: مَن هذا؟ قال: هذا أبو موسى، فتضاحك، ثم قال: لقد علمت قريش بالمدينة أنه لم يكن بها امرأة أطيب ريحاً من قِبِّ أُمّه!

قال: أخبرني عن نفسي يا أبا يزيد! قال: تعرف حمامة؟ ثم سار فألقى في خلد معاوية، قال: أُمّ من أُمهاتي لستُ أعرفها، فدعا بنسابين من أهل الشام، فقال: أخبراني أو لأضربن أعناقكما، لكما الأمان، قالا: فإنَّ حمامة جدّة أبي سفيان السابعة، وكانت بغيًّا، وكان لها بيت توفي فيه.[1]

رواياته:

نُسبت إليه عدّة روايات، وعلى قلّتها إلّا أنَّ لها أهمية في تراثنا العقدي والإمامي والتاريخي والفقهي، تدلُّ على مواكبته لبعض أحداث ومفاصل الرسالة المباركة لرسول الله ﷺ ومتابعته لبعض مراحلها التي توفّرت على لقاءآت رسول الله ﷺ وحواراته، وقد ذكروا أنَّ هناك مَن روى عن عقيل كابنه محمد وحفيده عبد الله بن محمد، والحسن البصري وعطاء بن أبي رباح... وهكذا ذكروا له روايات عن رسول الله ﷺ وكُتب له مسندٌ تضمّنها، كان منها:

أنَّه قال: جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إنَّ ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا، فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفَّه عنا فافعل.

فقال لي: يا عقيل التمس لي ابن عمّك، فأخرجته من كبس - بيت صغير - من أكباس أبي طالب، فأقبل يمشي معي يطلب الفيء يمشي فيه فلا يقدر عليه حتى

١. انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٩٢-٩٣، ١١: ٢٤٥، ٢٥٢؛ كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي ١: ٦٥ مع الهامش، ٢: ٥٥١؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٣٤: ٢٦٣، ٤٢: ١١١-١١٢؛ مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري ١: ٣٧ رقم ١٤٦؛ المصنّف لعبد الرزاق ٦: ٥١٣؛ أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٧٢ وأيضاً: ٧٥.

انتهى إلى أبي طالب، فقال له أبو طالب: يا ابن أخي والله ما علمت إن كنت لي لمطاعاً، وقد جاء قومُك يزعمون أنّك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم، تسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكفَّ عنهم!

فحلق ببصره إلى السماء، فقال صلى الله عليه وآله: «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار!

فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط، ارجعوا راشدين!

ومنها ما أخرجه أبو نعيم في الدلائل عن عقيل بن أبي طالب أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله لما أتاه الستة النفر من الأنصار، جلس إليهم عند جمرة العقبة، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته والمؤازرة على دينه، فسألوه أن يعرض عليهم ما أوحي إليه، فقرأ من سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ ءَامِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾،[1] إلى آخر السورة.

فرق القوم واخبتوا حين سمعوا منه ما سمعوا وأجابوه!

ومنها أنَّه كان واحداً من الذين رووا حديث المنزلة الشريف، فعن عقيل بن أبي طالب، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنَّه لا نبيَّ بعدي».

ومنها عن عبد الله بن عمر عن عقيل بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن الزهري، أنَّ العباس بن عبد المطلب مرَّ بالنبيِّ صلى الله عليه وآله، وهو يكلّم النقباء ويكلّمونه، فعرف صوت النبيّ صلى الله عليه وآله، فنزل وعقل راحلته، ثمَّ قال لهم: يا معشر الأوس والخزرج، هذا ابن أخي وهو أحبُّ الناس إليَّ، فإن كنتم صدقتموه وآمنتم به وأردتم إخراجه معكم، فإنّي أريد أن آخذ عليكم موثقاً تطمئن به نفسي، ولا تخذلوه ولا تغروه، فإنَّ جيرانكم اليهود، وهم لكم أو له عدو، ولا آمن مكرهم عليه.

---

١ سورة إبراهيم: ٣٥.

فقـال أسـعد بن زرارة، وشـقَّ عليه قـول العباس حين اتهـم عليه أسـعد وأصحابه: يا رسـول الله ائـذن لي، فلنجبـه غير مخشـنين (اخشـن صـدره تخشـين: أوغـره) أي أهماه من الغيـظ لصـدرك ولا متعرضـين لشيء مما تكـره إلّا تصديقاً لإجابتنـا إيـاك وإيماناً بك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أجيبوه غير متهمين».

فقال أسـعد بن زرارة، وأقبل على النبيِّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسـول الله إنَّ لكلّ دعوة سـبيلاً؛ إن لـين وإن شـدّة، وقد دعوتنا اليوم إلى دعوة متجهمـة أو متهجمة للناس، متوعرة عليهم دعوتنـا إلى تـرك ديننـا واتباعك إلى دينك، وتلك مرتبـة أو رتبة صعبة، فأجبنـاك إلى ذلك، ودعوتنـا إلى قطـع مـا بيننا وبـين الناس مـن الجـوار والأرحـام والقريب والبعيـد، وتلك رتبـة صعبة، فأجبنـاك إلى ذلك ودعوتنا ونحـن جماعة في عزّ (في المنتخـب دار عزّ) ومنعة، لا يطمـع فينـا أحـدٌ أن يـرأس علينـا رجـلٌ مـن غيرنا، قـد أفـرده قومُـه وأسـلمه أعمامُه، وتلـك رتبـة صعبة، فأجبنـاك إلى ذلـك، وكلّ هؤلاء الرتـب مكروهة عند النـاس، إلّا من عـزم الله عـلى رشـده، والتمس الخير في عواقبها، وقـد أجبناك إلى ذلك بألسـنتنا وصدورنا إيمانـاً بـما جئـت به، وتصديقاً بمعرفة ثبتـت في قلوبنا، نبايعك عـلى ذلك، ونبايـع الله ربّنا وربّـك، يـد الله فـوق أيدينا، ودماؤنـا دون دمك، وأيدينـا دون يدك، نمنعك مما نمنع منه أنفسـنا وأبناءنـا ونسـاءنا، فـإن نف بذلـك، فبالله نفـي، ونحن به أسـعد، وإن نغـدر فبالله نغـدر، ونحـن بـه أشـقى، هـذا الصـدق منـا يـا رسـول الله والله المستعان! ثـم أقبل على العبـاس بـن عبد المطلـب بوجهه، وأما أنـت أيّها المعترض لنـا القول دون النبـيّ صلى الله عليه وآله، فالله أعلـم بـما أردت بذلـك، ذكرت أنه ابـن أخيك، وأنه أحـبّ الناس إليك، فنحـن قد قطعنا القريـب والبعيد وذا الرحم، ونشـهد أنّه رسـول الله أرسـله من عنده، ليس بكذاب، وإن مـا جـاء بـه لا يشـبه كلام البشر، وأما مـا ذكرت أنّـك لا تطمئـن إلينا في أمـره حتى تأخذ مواثيقنـا، فهـذه خصلـة لا نردها على أحد لرسـول الله صلى الله عليه وآله، فخذ ما شـئت، ثـم التفت إلى النبـيّ صلى الله عليه وآله، فقـال: يـا رسـول الله خـذ لنفسـك ما شـئت، واشـترط لربّك ما شـئت، فقال

النبـيّ صلى الله عليه وآله: «أشـترط لـربّي أن تعبـدوه، ولا تشركوا به شـيئاً ولنفسي أن تمنعـوني مما تمنعون منه أنفسـكم وأبناءكم ونسـاءكم».

وقالوا: فذلك لك يا رسول الله!

ومنها أنَّه روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً في الوضوء بالمدّ والطهور بالصاع.

«يجزئ مُدٌّ لِلْوُضُوءِ وَصَاعٌ لِلْغُسْلِ».

وعـن الحسـن، عـن عقيل بـن أبي طالـب أنَّه تـزوّج، فقيـل له: بالرفـاء والبنـين. قال: لا تقولـوا هكـذا، ولكـن قولـوا كما قـال رسـول الله: «عـلى الخير والبركـة، بـارك الله لك وبـارك عليك».

وفي روايـة: «كنـا نؤمـر بـأن نقول: بـارك الله لكـم، وبارك عليكـم، ولا نقـول بالرفاء والبنين».

وفي خـبرٍ: تـزوّج عقيـل... فخـرج علينـا فقلنـا بالرفـاء والبنين، فقـال: مـه لا تقولوا ذلـك، فـإنّ النبـيّ صلى الله عليه وآله قـد نهانا عـن ذلـك، وقال: قولـوا: بـارك الله فيـك وبارك لـك فيها.

وعنـه أنَّـه قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «يـا عـكاف ألـك زوجـة»؟ قـال: لا. قـال: «ولا جاريـة»؟ قـال: لا. قـال: «وأنـت مـوسر بخـير»؟ قـال: نعم.

قـال: «أنـت إذن مـن إخـوان الشـياطين، إمّا أن تكـون من رهبـان النصارى فأنـت منهم، وإمّـا أن تكـون منـا فاصنـع كـما نصنـع، لـو كنت مـن النصـارى لكنـت مـن رهبانهـم. وإنَّ مـن سـنتنا النـكاح، شراركـم عزابكـم، وأراذل موتاكـم عزابكم، إنَّ الشـياطين يمرُسـون، ما للشـياطين من سـلاح أبلغ في الصالحين من النسـاء، إلّا المتزوجون، أولئك المطهرون المبرأون مـن الخنـا. ويحك ياعـكاف! تـزوّج، إنهّن صواحـب أيوب وداود ويوسـف وكرسـف.

قيل: ومَن كرسف يا رسول الله؟!

قـال صلى الله عليه وآله: «رجـل كان في بنـي إسرائيـل، يعبد الله بسـاحل من سـواحل البحـر ثلاثمائة عـام، يصـوم النهـار ويقـوم الليل، ثـمَّ إنَّه كفر بـالله العظيم في سـبب امرأة غشـيها، وترك

مـا كان عليـه مـن عبـادة الله عـزَّ وجلَّ، ثـمَّ اسـتدركه الله ببعض مـا كان من عمـل عمله، فتـاب عليـه. ويحك يا عُـكاف! تـزوّج، وإلّا فأنت مـن المذنبين! وعُكاف هـذا هو عُكاف بن وداعـة الهلالي.

أحـرم عقيـل بن أبي طالـب في ثوبين وردائـين، فرآه عمـر (وكان عمر يهابـه) فقال: ما هـذا؟! فقال لـه: إنَّ أحداً لايعلمنا بالسـنة!

وكـذا عـن أبي إسـحاق قـال: خرج عقيـل بـن أبي طالب في موردتـين، فقال لـه عمر: قـد أحرمـوا في بيـاض، فتحـرم أنـت في موردتـين؟ إنَّك لحريص عـلى الخلاف!

فقال له عقيل: دعنا منك، فإنه ليس أحد يعلمنا السنة.

فقال له عمر: صدقت صدقت![1]

في كتب علماء الرجال:

نكتفـي ببعضهم: السـيد البروجردي: عقيـل بن أبي طالب، أخـوه عليه السلام معظم لا يحتاج إلى التوصيـف، بـل هـو أجـلُّ من أن يسـطر ويحـرر، جليل عنـد أخيـه عليه السلام، وفي النبوي في جواب عـليّ عليه السلام انّـك لتحبّ عقيـلا؟ قـال: «اي والله لأحبه حبـين حبًّا له وحبًّـا لحب أبي طالـب»، الحديث.[2]

---

١ . انظـر في هـذا جامـع الأحاديـث ؛ الجامـع الصغـير وزوائـده والجامـع الكبـير للحافظ جـلال الدين عبدالرحمـن السـيوطي (ت٩١١ هــ) ... الجـزء التاسـع ؛ مسـند عقيـل بـن أبي طالب، رقـم ٥١٤ : ٣٠ـ٣٣ أرقـام الروايـات ١٨٢٣٠ ـ٨٢٣٩ ؛ مسـند أحمـد بـن حنبـل، المجلـد الثالـث، حديث عقيل ؛ كتـاب الاسـتيعاب في معرفـة الأصحـاب لابـن عبد الـبرّ ٣ : ٧٨ رقـم ١٨٣٤ ؛ معرفـة الثقات ١ : ٣١٤ ؛ البحـر الزخـار المعروف بمسـند البزار، مسـند عقيل بن أبي طالب عن النبـيّ صلى الله عليه وآله : ١١٢ـ١١٥ ؛ المصنـف لابـن أبي شـيبة الكـوفي ٤ : ٢١٤ ؛ المناقـب للكـوفي ٢ : ٤٠ رقـم ٥٢٧.

٢ . طرائـف المقـال للسـيد علي البروجردي ٢ : ١٠٠ رقم ٧٦٠٢ ؛ السـيد الخوئي: عقيـل بن أبي طالب، من أصحاب عـلي عليه السلام، رجال الشـيخ ؛ وقال ابن داود (٩٨١)، من القسـم الأول.

وروى الصدوق قدس سره في الخصال بإسناده إلى ابن عباس قال: كان بين طالب وعقيل عشر سنين، وبين عقيل وجعفر عشر سنين، وبين جعفر وعلي عليه السلام عشر سنين، وكان علي عليه السلام أصغرهم. باب الثلاثة، ثلاثة إخوة بين كلّ واحد منهم وبين الذي يليه عشر سنين، الحديث ٢٤٧.

وروى الصدوق قدس سره بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنك لتحب عقيلاً»!

قال صلى الله عليه وآله: «إي والله إني لأحبه حبين، حبّاً له وحبّاً لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك...»، الحديث.[١]

وبنى السجاد عليه السلام دار عقيل بن أبي طالب التي هدمت من المال الذي بعثه إليه المختار.[٢]

الشيخ الشاهرودي: هو أخو أمير المؤمنين عليه السلام يكنى أبا يزيد. وكان عالماً بأنساب العرب فصيحاً لطيف الطبع حسن المجاورة. وأخواه الآخران جعفر الطيار وطالب. وتقدم في أخيه جعفر عدة من الآيات النازلة في مدحه مع أخويه علي وجعفر صلوات الله عليهما... ويقول في ترجمة جعفر: فضائله ومناقبه كثيرة نتبرك بذكر بعضها، ونقدم الآيات التي نزلت فيه وفي إخوانه وعشيرته، وذكرنا مداركها في مستدرك سفينة، ونكتفي هنا بذكر متون الروايات.

ثمَّ راح يذكر الآيات، نكتفي منها بالتي ذكر عقيل كواحد من المصاديق فيها: قوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.[٣] هم أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة

١. الأمالي، المجلس ٢٧، الحديث ٣.

٢. ذكره الكشي في ترجمة المختار بن أبي عبيد (٥٩)؛ معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ١٢: ١٧٤-١٧٥. رقم: ٧٧٥٥.

٣. سورة الحجر: ٤٧.

صلوات الله عليهم وعقيل وجعفر في الجنة كما في الحديث النبوي.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾. قال: ويبشر محمداً بالجنة وعلياً وجعفراً وعقيلاً وحمزة وفاطمة صلوات الله عليهم.[1]

أقول: بمعنى أنَّ الشيخ ذكر مدارك تلك الآيات في كتابه: مستدرك سفينة البحار وهو عشرة أجزاء، لكنه لم يُشر إلى الجزء والصفحة، حتى يُسهل على الباحث؛ ليتأكّد هو الآخر من دقّتها وصحتها. هذا أولاً، وأما ثانياً فإنَّ السيد العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.[2]

وفي آخر (بحث روائي) وبعد أن ينقل ما جاء من روايات، يقول: والروايات ـ على ما بها من الاختلاف ـ تطبيقات من الرواة، والآية تأبى بسياقها عن أن تكون نازلة في بعض المذكورين، كيف؟ وهي في جملة آيات تقصّ ما قضاه الله وحكم به يوم خلق آدم وأمر الملائكة وإبليس بالسجود له، فأبى إبليس، فرجمه ثم قضى ما قضى، ولا تعلّق لذلك بأشخاص بخصوصيتهم هذا.

وثالثاً: هناك آيتان في التنزيل العزيز: الأولى تنتهي بـ: ...﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾. ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾.[3]

فيما الثانية تنتهي بـ: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾. ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ

---

١ . مستدركات علم الرجال للشيخ علي النمازي الشاهرودي ٢ : ١٣١ـ١٣٤ رقم ٢٤٩٢ جعفر بن أبي طالب، ٥ : ٢٥٥ـ٢٥٦ رقم٩٤٥٣.

٢ . سورة الحجر : ٤٧ ؛ الآية، تفسير الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي (ت١٤٠١هـ).

٣ . سورة الإسراء : ٩ .

﴿الَّذِيـنَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَـاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَـناً﴾.[1]

ولم يوضح الشيخ أي الآيتين هي مورد للرواية أو أنهما معاً.

وفاته :

وقـد اختلفـت المصادر كثـيراً في وقت وفاتـه وموقعها ومـكان دفنه: فقد ذكـر ابن أبي الحديـد أنَّ عقيـلاً: «توفّي في خلافة معاوية في سـنة خمسـين هجرية وعمره سـتة وتسـعون سـنة. قـال ابـن الضحـاك: ولم يوقف على السـنة التـي مات فيهـا، ويقـال: إنَّ وفاته سـنة ٥٠، وفي قـولٍ سـنة ٥٢، وقيـل: في سـنة ٦٠ هـ كما ذكر السـهيلي.

أمّـا ابـن كثـير فأشـار إلى وفاته في خلافـة معاوية، وكـذا قال الـزركلي: إنّ عقيـلاً توفّي في أوّل أيـام يزيـد، وقيـل: في خلافـة معاوية. وقيل: مـات في أول خلافة يزيـد قبل الحرة.

أما جعفر النقدي، فيقول: توفى عقيل بالشام في أيام معاوية.

وقيـل: إنَّ بنـي أمية قتلـوه في الطريـق، وهو سـائر من الشـام إلى المدينة؛ لـكلام جرى بينه وبـين معاويـة. والصحيح الأول.

قبره :

أمـا بخصـوص موضع دفنـه، فهناك روايـات ذكرت وفاتـه وهو في طريقه إلى الشـام، ولم تذكـر مـكان دفنـه. فيـما يقـول أبـو الفـداء:.. الباب: بليدة صغـيرة ذات سـوق وحمام ومسـجد جامـع، ولهـا بسـاتين كثيرة نزهـة، وأمـا بزاعـا فضويعـة مـن أعـمال البـاب، وبظاهرهـا مشـهد بـه قـبر عقيـل بـن أبي طالـب، وهـي عـلى مرحلة مـن حلـب في الجهة الشـمالية الشرقيـة، وفي بسـاتينها يقـول المنـازي مـن أبيـات، وقد اجتـاز بها:

وقانـا لفحـة الرمضـاء واد   وقاه مضاعـف النبت العميم

١ . سورة الكهف : ٢ .

الشـمس أنى أوجهتهـا يصدّ فيحجبها ويـأذن للنسـيم...

وكذا ذكره في صبح الأعشى، القلقشندي:

... الرابـع والعـشرون: عمـل البـاب وبزاغـا وضبـط البـاب ... أمـا البـاب فبليـدة صغـيرة، قـال في تقويـم البلـدان: بهـا مشـهد بـه قـبر عقيل بـن أبي طالـب، وبها أسـواق وحمـام ومسـجد جامـع، وبهـا البسـاتين الكثـيرة والنـزه، وأمـا بزاغـا فضيعـة مـن أعمال البـاب.

وبـما أنّـه ـ عـلى قـولٍ ـ كان في المدينـة وقـت وفاتـه، فلعلَّ مـكان دفنه في مقـبرة البقيع إلى جـوار أُمّـه السـيدة فاطمـة بنت أسـد رضـوان الله عليهـا. قريب مـن قـبره، بقعة فيها زوجـات النبـيّ صلى الله عليه وآله، وقـبر عمّـة النبيّ صلى الله عليه وآله صفيـة بنت عبـد المطلب.

وقـد ذكـرت بعض المصـادر أنَّ هناك في البقيع قـبراً لعقيل يقع بين قـبر العباس وقبور أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي قولٍ:

كان قـبر صفيـة بنـت عبد المطلـب عند زاويـة دار المغيرة بـن شـعبة، وقبرعقيل بن أبي طالـب أخـي عـليٍّ في قبـة في أول البقيع أيضـاً، ومعـه في القبر ابن أخيـه عبد الله بن جعفـر الطيـار وابن أبي طالب الجواد المشـهور، وقبـور أزواج النبيّ، وهـي أربعة قبور ظاهرة.

وبنحـوه قالـت مصادر وأضافـت أنَّ بإزائـه قبر عقيل بـن أبي طالب وقبر عبـد الله بن ذي الجناحـين جعفـر بـن أبي طالب، وبإزائهـم روضة فيها قبـور أمهات المؤمنـين، ويليها روضـة فيهـا قبرالعباس بـن عبد المطلب عمّ رسـول الله صلى الله عليه وآله، وقبر الحسـن بن عـلي بن أبي طالـب، وهـي قبـة ذاهبـة في الهـواء بديعة الإحـكام، عن يمـين الخـارج من بـاب البقيع، ورأس الحسـن إلى رجـلي العبـاس، وقبراهمـا مرتفعـان عـن الأرض متسـعان، مغشـيان بألـواح بديعـة الالتصـاق، مرصعة بصفائـح الصفر البديعـة العمل.

وقال ابن النجار المتوفى ٦٤٣:

وقبر عقيل بن أبي طالب أخي عليٍّ، في قبة في أول البقيع أيضاً، ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب الجواد المشهور.[١]

فرضوان الله تعالى على عقيل بن أبي طالب

١ . انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ : ٩١ ؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ : ٢٥٠ ؛ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للسهيلي (ت٥٨١هـ) ٥ : ٣٥٣ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ٧ : ٤٧ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٤ ؛ الأنوار العلوية لجعفر النقدي : ١٨ ؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأحمد بن علي القلقشندي ٤ : ١٣٢ ؛ تقويم البلدان، عماد الدين إسماعيل، أبو الفداء :٣٠٧ ؛ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٢ : ٤٦٦ ؛ نهاية الإرب للنويري ٣٣ : ٢١٧ ؛ رحلة ابن جبير : ١٧٤ ؛ رحلة ابن بطوطة : ١١٩ ؛ الدرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار ١ : ١٦٦ ؛ السمهودي في وفاء الوفا ٣ : ٩٦.

«تعريف بكتاب»

طريق الحجّ الأحسائي(٤)

إعداد: إدارة المجلة

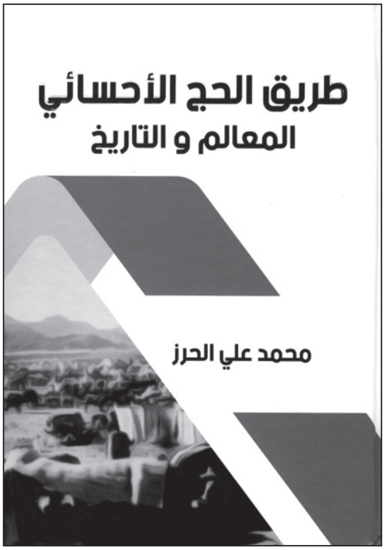

نظـراً لمنهـج مجلة «ميقـات الحـجّ»، وعنايتها بالشـؤون الثقافيـة والتاريخية والسياسـية والاجتماعيـة للحـجّ ودائرتـه المباركـة...، فتحـت بابهـا لا فقـط لاسـتقبال مـا يتفضل به

الكتّاب، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشر أو يُلقى هناك؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة؛ تتمدّد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من طرق وأماكن ومواقع.

إنّ هذا الكتاب «**طريق الحج الأحسائي**» لمؤلفه سماحة الشيخ محمدعلي الحرز كتابٌ جيّدٌ، بما تحمله من أهمية تاريخية، وفوائد ميدانية، ومعرفة هذا الطريق بحدوده ومعالمه التي ينبغي الاطلاع عليها.

ولا يخفى أنّ هذا الطريق في القديم كان طريقاً لحجاج الإيرانيين.

* * *

جاء في مقدمة البحث :

«طالما راودتني فكرة التطرّق لموضوع طريق الحج الأحسائي من الناحية التاريخية؛ والتعريف بالعلاقة الكبيرة بين الأحساء وبلاد الحجاز، وأهمّ الطرق التي يسلكونها في المسير لأداء فريضة الحج، والعقبات التي تواجه الحاج الأحسائي من صعوبات ومعوِّقات، حاله حال الكثير من الحجاج في مختلف المنافذ المتجهة إلى مكة المكرمة، نظراً للتغافل الكبير من المهتمّين بتاريخ الحج وطرق الحاج، وذلك لصعوبة البحث وندرة المصادر التي تناولت معالم هذه الطرق.

لذا اكتفى معظم الباحثين بتناول الطرق المشهورة والمعروفة؛ مثل الشامي والعراقي والمصري واليمني والعماني وغيرها، دون تجاوز هذه العتبة خشيةً من وعورة الطريق

والبحث في هذه النقطة المعتمة...».

الكلمات المفتاحية :

رحلة داود السعدي سنة ١٢٨٨هـ، طريق الحاج في الشعر الأحسائي، الطريق غير المباشر،الطرق من الأحساء إلى اليمامة، الطرق من اليمامة إلى مكة المكرمة، من محطّات الحاجّ إلى الحرمين، العقير الواجهة البحرية للأحساء...

* * *

الطريق الثالث: رحلة داود السعدي سنة ١٢٨٨هـ

الشيخ داود السعدي كان مفتي بغداد، ومرافق الحملة التي قادها أحمد مدحت باشا كمفتٍ للعسكر،[١] تولّى منصب الإفتاء في الحامية العثمانية بالأحساء، فذهب إلى الحج ودوّن المناطق التي مرَّ بها.

رحلته إلى الحج:

وهي رحلة داود السعدي، المعروف بأفندي البكباشي، التي طوى مراحلها في شهر ذي القعدة من سنة ١٢٨٨هـ(١٨٧٢م)، وهذه الرسالة طبعت في مطبعة الزوراء أو مطبعة الحكومة سنة ١٢٨٩هـ،[٢] ثم أعيد طبعها في لغة العرب، وقد سافر مع القائد نافذ باشا إلى مكة المكرمة، ثم إلى المدينة المنورة، ومنها إلى الكويت ومن الكويت إلى البصرة.

---

١ . القريني، د. محمد بن موسى، الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء ١٢٨٨-١٣٣١هـ / ١٨٧١-١٩١٣م، دارة الملك عبد العزيز: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ: ٩٣.

٢ . مجلة لغة العرب، الجزء الأول من السنة الثالثة عن رجب وشعبان، سنة ١٣٣١هـ، تموز ١٩١٣، مطبعة الآداب: بغداد: ١١٧، كما نشر المقال نفسه نقلاً عن مجلة (لغة العرب) في مجلة العرب: السنة الثامنة والعشرون، جمادى الأولى، وجمادى الآخرة، ١٤١٤هـ، الجزء ١١، ١٢: ٧٦٢.

خصائص رحلته إلى الحج:

تعدّ أهمّ وثيقة تاريخية عن طريق الحاج الأحسائي إلى الديار المقدسة، لما تميزت به هذه الرحلة من خصائص جعلتها غاية في الأهمية، على سائر من كتب أو أشار إلى طريق الحاج الأحسائي ومنازل الحاج من الأحساء إلى مكة المكرمة. ولعلّ أهمّ هذه الخصائص ما يلي:

❋ كونها الرسالة الوحيدة والمستقلة التي كتبت بغرض تبيين طريق الحاج الأحسائي إلى الديار المقدسة، وقد عنونها بـ: «الطريق من الأحساء إلى الرياض فمكة المكرمة»، وهو الهدف الذي نشدناه من بحثنا هذا بكلّ صراحة ووضوح، مما يسّر علينا المهمة والغاية، وكفانا الكثير من العناء والتعب.

❋ إنه ومن خلال رحلته العباديّة عبّر بما رآه من مشاهداته لكل منطقة، مع الإشارة إلى بعض الأحداث التي وقعت له أثناء الطريق، والتي هي عقبات يعاني منها كلّ حاجّ يعبر على طريق الحاجّ الأحسائي، مما يعطينا صورة حيّة عن مشاهدات الحاجّ ومعاناته في طريقه إلى مكة المكرمة.

❋ أشار في رحلته إلى جميع المناطق التي توقّفت عندها الرحلة وسارت عبرها، وهي نفس الجادة التي يسلكها الحُجّاج إلى بيت الله الحرام، من حاج الأحساء في تلك الحقبة، مما يعرفنا بدقة عن معالم الطريق، والمناطق التي يعبر من خلالها الحجاج على طريق الحاج الأحسائي، وهي معلومات غاية في الأهمية.

❋ تضمّنت الرحلة الكثير من المصطلحات العثمانية والألقاب التي كانت مستخدمة في تلك الفترة، وهذا أيضاً يشكّل جزءًا لافتاً من تاريخ العثمانيين إبّان حكمهم ووجودهم في الأحساء، وما أحدثوه تباعاً من مصطلحات حاولت جاهداً توضيح معناها.

❋ إنَّ أبرز مميزات السعدي في رحلته على طريق الحاج الأحسائي أنه دوّن الفترة الزمنية التي يستغرقها الحاج في التنقل من منطقة إلى أخرى، مما يعطينا تصوّراً شبه واقعي عن

الفترة الزمنية التي تستغرقها قوافل الحاجّ الأحسائية للوصول إلى بيت الله الحرام.

وسوف أورد كامل الرحلة مع التعليق والتهميش في موضع الحاجة، ليعيش القارئ أجواء الرحلة مع السعدي، مع ما يستملكه من مشاعر جيّاشة كان يعيشها أثناء الرحلة.

ملاحظات على الرحلة:

من الملاحظ لمن قرأ رحلة السعدي رغم ما فيها من معلومات قيمة سواء في الجانب التاريخي أو على نطاق طريق الحجّ الأحسائي، أنّ الرحلة تخلّلها الكثير من الأخطاء في المسميات للمناطق التي قام بذكرها أثناء الرحلة.

ولعلّ السبب في ذلك يرجع لصعوبة ألفاظها من جهة ولكونها غير عربية من جهة أخرى، مما تسبّب في وجود تصحيف كثير لأسماء الأماكن والمعالم، بل قد تلاحظ أنّ بعض الأسماء لم نجد لها ذكراً في المعاجم الجغرافية المختصة بتلك المناطق مما يؤكّد وجود لبس في تلك الأسماء.

نصّ الرحلة:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ﴾.[1]

«هو أنه لمّا كان طريق الرياض والدرعيّة أسهل طرق السواحل والبحرين مع الأحساء والقطيف ولنجة[2] وبندر بوشهر[3] وغالب بلاد ايران الواقعة بتلك الأطراف

١ . سورة القصص: الآية رقم ٨٥.

٢ . لنجة: مدينة على ساحل الخليج [الفارسي] وهي عاصمة مقاطعة لنجة في إيران جزء إداري من محافظة هرمزگان. تمتد تلك المنطقة على السواحل إلى الشرق من بندر عباس، حيث استوطنت هناك قبائل عربية من عصور سحيقة قبل الإسلام. ويكيبيديا.

٣ . مدينة بوشهر: عاصمة محافظة بوشهر في جنوب إيران على الساحل الشرقي للخليج [الفارسي]. تبعد عن مدينة الأهواز مسافة ٤٣٤ كم إلى الجنوب.

والكويت والبصرة إلى الحرمين المحترمين.[1]

لكن في هذه المدة يتعنّي الحجاج فوق طاقتهم في الطرق البعيدة، بسبب تعسير المسري من هذه الطرق المذكورة، فلمّا أراد اللهُ الخيرَ لعبادهِ، القاصدين أشرف بلاده، هيأ لهم أسباب التيسير في مسلك هذا الطريق، وجعل لهم التوفيق خير رفيق، وذلك بما منَّ به من النصر الأبدي والتأييد السرمدي لحضرة مولانا الوزير الأفخم،[2] والمشير المفخّم،[3] صاحب الدولة،[4] وحامي الملة،[5] أفندينا،[6] السيد أحمد مدحت

---

١ . في كلامه إشارة مهمة بأنّ طريق الحجّ الأحسائي كانت تسير عليه قوافل الحج القادمة من البصرة بالعراق ولنجة وبندر بوشهر، وغالب إيران الواقعة بتلك الأطراف والكويت.

٢ . هو لقب يطلق على السلاطين الوزراء وكبار رجال الدولة والأولياء الصالحين. بركات، د. مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب: القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م: ٢٠٩.

٣ . كان لقباً من ألقاب الصدور العظام قديماً، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات لقباً عسكرياً كما هو مستخدم الآن في العالم العربي، وهو أعلى رتبة عسكرية. صابان، د. سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: د. محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م: ١٠٩.

٤ . صاحب: من ألقاب الوزراء، وقد بدأ استخدامه منذ عصر بني بويه، ثم استخدمه العثمانيون لوزرائهم، وقد ألحقوها بكلمات أخرى مثل: «صاحب السيف والقلم»، و«صاحب الخيرات»، و«صاحب العز والتمكين» وغيرها من الألقاب التي منها: «صاحب الدولة». الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٨٦.

٥ . أي حامي الدين.

٦ . أفندي: كلمة رومية ـ بيزنطية، انتقلت إلى اللغة التركية منذ عهد السلاجقة، وقد بدأ استعمالها في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي لدى العثمانيين للدلالة على الإنسان المتعلم والمثقف، حيث حلت محل كلمة جلبي المماثلة لها باللغة التركية، وأصبحت لقباً تخاطب به فئة معينة من العثمانيين هم العلماء، ثم أصبحت اللقب الرسمي للأمراء بعد أواسط القرن التاسع عشر الميلادي. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٣٤.

باشا،[1] جعل التوفيق له غطاءً وفراشاً، بأن فتح على يديه القطعة النجدية،[2] ومنّ عليه باستجلاب أدعية كافة الملة المحمدية، لدوام السلطنة السنية.[3]

و كنت حينئذٍ متقلداً إفتاء تلك الفرقة المنصورة،[4] الكاسرة شوكة أولي البغي من العشائر المخذولة المقهورة بمعية قومندانها،[5] المشيد بآرائه السديدة أساس أركان صاحب السعادة، و الحائز لكل سجية مستجادة، محمد نافذ باشا الفريق،[6] سلك الله به إلى الخير سواء الطريق، فوقع استحسان المشار إليه، أسبغ الله نعمه علينا وعليه، أن أسير حجّاج ذلك الطريق إلى الحرمين المحترمين، وأكون واسطة لجلب أدعيتهم لوقاية

---

١ . أحمد مدحت باشا: (١٢٣٨ـ١٣٠١ هـ)، سياسي عثماني وإصلاحي ذو توجه موالي للغرب تولى مناصب عديدة منها الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) و وزير العدل وخدم قبلها والياً لولاية بغداد وولاية دمشق وولاية سالونيك، استولى على الأحساء في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ، عزل عن ولاية بغداد، آخر حياته اعتقل وحكم عليه بالإعدام فحبس في قلعة الطائف وفيها قتل. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين: بيروت، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢م، ٧ : ١٩٥.

٢ . إشارة إلى كونه استولى على الأحساء في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ.

٣ . أطلق على الدولة التركية عدة مسميات عبر التاريخ منها: الدولة العلية، ثم أطلقوا عليها السلطنة السنية، كما أُطلق عليها بعد اتساع ممتلكاتها في اوروبا وآسيا وإفريقيا الإمبراطورية العثمانية. وعرفت أيضاً باسم الدولة العثمانية.

٤ . إشارة إلى توليه منصب الإفتاء في الحامية العثمانية بالأحساء.

٥ . كومندان: قائد ميدان، وهي كلمة عربية دخلت إلى اللغة الأنكليزية فأصبحت قومنديان، ثم عادت إلى اللغة التركية بلفظ قومندان، وبعدها استعملها العرب بمعنى قائد عسكري، أو قائد شرطي.

٦ . محمد نافذ باشا: الفريق محمد نافذ باشا (١٨٧١ـ١٨٧٢م)، هو القائد الذي وكله أحمد مدحت باشا للاستيلاء على الأحساء في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٨٨ هـ، كما نصبه متصرّفاً لسنجق نجد (الأحساء)، بالإضافة إلى عمله كقائد للقوات العسكرية. الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء، مصدر سابق: ١٠٦.

دوام دولة خليفة رسول الثقلين.[1]

بعد أن أمر بنشر العلم السلطاني، واللواء الخاقاني،[2] وضرب خيمته سعود،[3] ...،[4] المأخوذة منه قهراً، والمخرج منها جبراً بواسطة العساكر السلطانية، والجنود الخاقانية، وجعل الدليل والأمير،[5] لهذه السائرة، الموفقة لخير الدنيا والآخرة، تحت نظارتي،[6] فامتثلت ما أمره الفريق،[7] وعزمت متوكلاً على من شرف البيت العتيق، وأحببت أن

---

١ . يقصد السلطان العثماني في تركيا، وهي من الألقاب التي استعملها العثمانيون وهي مدار نقاش في مشروعيتها، وقد استخدمت ألقاب مشابهة لها في مصدر مثل «الخليفة الأكرم» و «خليفة رسول رب العالمين» وغيره من المسميات الموحية بالرفعة للسلطان العثماني. الألقاب والوظائف العثمانية: ٢٨.

٢ . الخاقانْ: تعني السلطان الأعظم وملك الملوك، وكان لقباً مستعملاً في الصين، والمغول، وقد دخل على الأتراك، فكان أول من لقب به السلطان محمود غزنوي حاكم إيران (٦٧٠ـ٧٠٣هـ). الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ١٩.

٣ . الأمير سعود بن فيصل بن تركي آل سعود (١٢٤٩ـ١٢٩١هـ)، استولى على الأحساء سنة ١٢٨٧هـ، وعلى الرياض ١٢٨٨هـ وخلع أخاه عبد الله بن فيصل من الحكم وبويع بالإمامة، لكن سيطرته على الأحساء لم تدم طويلاً فقد دخلتها القوات التركية سنة ١٢٨٨هـ.

٤ . ذكر كلاماً غير مناسب، حذفناه لعدم مناسبته سير البحث ومنهجه، كما أنه لا يضيف في الرحلة شيئاً جديداً.

٥ . هنا إشارة مهمة في كونه نصب «أمير الحاج» لهذه القافلة المتجهة إلى الحج، ويعني الأمير المنتخب أو المشرف المعين على قافلة الحج المتوجهة إلى مكة المكرمة. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٣٧.

٦ . النظارة: تعني الإدارة والوزارة، واسم الفاعل منه ناظر، وقد بدأ استخدامه في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ـ١٨٣٩م) للمؤسسات الحكومية التي تشرف على قطاعات معينة، وهي تعني بالمفهوم المعاصر الوزارة في أغلب الأحيان. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخيه: ٢٢٢.

٧ . الْفَرِيقُ الأَوَّلُك(عسك): رتْبَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ أَعْلَى مِنْ رُتْبَةِ اللِّوَاءِ أَوِ الْجِنِرَالِ وَدُونَ الْمُشِيرِ. الْفَرِيقُ الثَّانِي. معجم المغني.

أذكر رحلة المسرى،[1] وأحْمُدُ من بعبدِهِ أسْرَى، وأُبدِي غاية التشكر، والدعاء لحضرة أفندينا المشار إليه، أعني والي ولاية بغداد، والكاشف الغمة عن هؤلاء العباد، إذ هو السبب الأقوى، والواسطة العظمى إلى هذا المسير، المقرون بالتيسير فأقول وبالله الاستعانة، ومنه العون والإعانة مدة المسرى تاريخ سنة ١٢٨٨هـ.

الساعة: ذو القعدة:

٠١ـ٥: تحرّكنا من الأحساء إلى،[2] (قلعة صاهود)،[3] بعزيمة صاحب الرفعة رجب أفندي البيكباشي،[4] وكان نهار الثلاثاء وهي قلعة مشيدة البناء، وفيها عدد من العساكر المنصورة.

يوم الأربعاء منها إلى (عين نجم)،[5] وهي العين الحارّة من القدرة الإلهية وأقمنا

---

١ . مَسري: مكان السَّرْي، والسَّرْي هو المُضيّ والذَّهاب أو السَّيْر، يقال أَسْرَتِ القافِلَةُ لَيْلاً كخَرَجَتْ، سَارَتْ ﴿سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ سورة الإسراء: ١.

٢ . ورود (إلى) خطأ ولعله ممن نقل من المخطوطة والصحيح (من) لأن قلعة صاهود هي مقر الحامية العثمانية ومنها انطلاقتهم.

٣ . وهو ما يعرف في الأحساء بقصر صاهود: وقد بني هذا القصر على هضبة مرتفعة في الجهة الغربية خارج مدينة المبرز في الفترة الأولى من حكم بني خالد، أواخر القرن ١١هـ. أي قبل أكثر من ثلاثمائة عام. وقد كان الهدف من إنشائه حماية مدينة المبرز ضد الغارات التي يقوم بها البدو على تلك المنطقة. وهو يقع اليوم في حي الحزم بمدينة المبرز، مجلة الواحة، العدد٦٠ ـ السنة١٦ـ شتاء ٢٠١٠م، مقال قصور من الأحساء، م. عبدالمحسن البقشي: ٣٧.

٤ . البيكباشي: لفظ فارسي بمعنى البينباشي مركب من بيكوباش، وهو رئيس الألف، وهي رتبة عسكرية عثمانية استعملت في الجيوش العربية، وما زالت تستخدم في تركيا الآن. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر: دمشق، ط. ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م: ٤١. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٦٦.

٥ . عين النجم هي إحدي عيون الأحساء المشهورة بمياه الكبريت التي تستخدم في العلاج، تقع

بها يوم الخميس، ويوم الجمعة تحت الخيمة المذكورة ليتكامل الحاج، وقافلة الرياض، وظهرت العساكر المنصورة بأمرائها الفخام بمعية حضرة الفريق الأفخم،[1] وأكابر وجوه البلدة، وقرأت دعاء حافلاً في دوام السلطنة السنية، وتأييد وزرائها وأمرائها ووكلائها، وكافة عساكرها المنصورة، وللحجّاج، والغزاة، والمسافرين.

٠٨ـ٩: يوم السبت تحرّكنا من (عين نجم) بمقدار مئة من الحجّاج وقافلة نجد ونزلنا (غار الشيوخ)،[2] خالياً عن [من] المرعى والماء.

٠٨ـ١٠: يوم الأحد منها إلى (شعاب الفروك)،[3] مرعى لا سقيا [فيه] خالية من البدوان.

٠٦ـ١١: يوم الاثنين منها إلى (نكيرات الحاج)،[4] [وفيها حيوانات] رعياً لا سقياً،

غرب مدينة الهفوف وقد وصفها الشاعر بقوله:

يا عين نجم أفاقت ابار الحسا **بحرارة وبخار ماء يصعدُ**

يقال: إن أول إعمار لها كان في سنة ١١٥٥هـ تقريباً، يقول الباحث في الآثار خالد الفريدة: إنّ الموقع يعدّ أحد العيون الشهيرة المنسوبة إلى نجم بن عبد الله الخالدي أحد شيوخ بني خالد والذي كان أميراً للحج عام ١١١٧هـ، وتقع في الجهة الشمالية من جبل أبو غنيمة الواقع شمال مدينة الهفوف، وكانت في السابق البوابة الغربية التي يحط فيها المسافرون من البدو والحجاج من الأحساء ودول الخليج [الفارسي] وسورية والهند رحالهم كنقطة التقاء أو توديع أو محطه استراحة. ويكيبيديا الإلكترونية.

١ . يقصد رجب أفندي البيكباشي، والذي هو أمير الحاج في هذه الرحلة.

٢ . غار الشيوخ: غار يعرف بهذا الاسم يقع في الشمال الغربي من جبل أبوغنيمة على مسافة ٢٥ ميلاً .

٣ . (الفروك) صوابه (الفروق) بالقاف، وانظر عنه (قسم المنطقة الشرقية) من (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية).

٤ . والصحيح نقيرات الحاج، وتعرف بـ «النقرة»: يُطلق كثيرون اسم (النقرة) على ما يسمى الآن (وادي المياه)، وهي تلك الأرض المنخفضة الممتدة من الجنوب إلى الشمال، تبدأ جنوباً من (عريعرة) و (حمراء جودة)، وتنتهي شمالاً بالقرب من (النعيرية)، ويعرف حمد الجاسر (النقرة)

وفيهـا من البـدوان من عشـائر المـرّة والعجمان.

١٠ـ١٢: يـوم الثلاثـاء منهـا إلى (بـدالى)،[1] [وفيهـا حيوانـات] رعياً لا سـقياً وكذلك منزولـة (أي فيهـا عربان).

٠٦ـ١٣: يوم الأربعاء (أبي جفان)،[2] كثيرة الآبار، والمرعى خالية من البدوان.

٠٧ـ١٤: يـوم الخميـس منهـا إلى (أبي النـاس)،[3] عـلى سـيل عظيـم، وغديـر جسـيم وأُمْطِرنـا فيهـا ثـلاث سـاعات ليلاً.

٠٣ـ١٥: يوم الجمعة منه نزلنا بطرف الوادي لكثرة انحدار السيول عليه.

٠٧ـ١٦: يوم السبت منه إلى (السّليّ)،[4] على سيل عظيم، جعل الله كلّ نبت حياً!!

في كتابـه (المنطقةالشرقيـة) بقولـه: «نقرة بني خالـد: النقـرة الأرض المنخفضة عما حولهـا، وبنو خالد القبيلـة التـي كانـت مسيطرة على بـلاد الأحسـاء وما حولهـا في القـرن الحادي عـشر وما بعـده وهم عـلى مـا اتضـح لي خليط مـن القبائـل، وأكثرهم مـن بقايـا عبدالقيـس، ...» انتهى، ويسـكنها بعض العجـمان. انظـر: الطريـق إلى الرياض، مصدر سـابق: ١٧٢.

١ . بدالى: لم أعرف هذا وقد وصفه بأنه موضع لا ماء فيه، وقد يكون الاسم محرفاً.

٢ . أبـو جفـان: منهـل قديم مـن مناهـل (العرمة) الجنوبيـة، يرده المسـافرون عـلى الإبل بـين (الرياض) و(الأحسـاء)، وهـو إلى (الريـاض) أقـرب وآبـار (أبـو جفـان)، وعـدد آبـاره الظاهـرة الآن أربـع وعشـرون بئراً أشـهرها تسـمى (القمـوص) وهي موالية للقصـر الذي بنـاه الملك عبـد العزيز بعد دخولـه (الأحسـاء) عـلى الشَّفِير الشرقي للـوادي. ويبعد (أبـو جفان) عـن (الرياض) مئـة كم جهة الشـرق. انظـر: الطريق إلى الريـاض، مصدر سـابق: ١٠٣.

٣ . أبي النـاس: هـو شـعب ينحـدر مـن سلسـلة الجبـال الواقعـة شرق الريـاض المعروفـة قديـماً باسـم (خنزيـر)، قـال صاحـب عاليـة نجد عـن (منطقـة الخنزيـر): «جبـل أحمـر كبـير يقع صـوب مطلع الشـمس، مـن مـاء (الصخـة)، وجنـوب جبـل الضينيـة، فهـو جنـوب مـن بلـدة الخـاصرة». المعجم الجغـرافي للبـلاد العربيـة السـعودية عاليـة نجـد، مصـدر سـابق: ٤٧٠.

٤ . السـلي: ذكـره الهمـداني (ت٣٦٠هــ)، في كتابه صفـة جزيرة العرب بقوله: «وأما السـلي فـوادٍ عظيم، وهـو الـذي ذكره الأعـشي كذلك بقوله: عجزاء ترزق بالسـلي عيالهـا»، وكان السـعدي يتوافق مع ما كتبـه عنه الهمـداني في القرن الرابـع الهجري، ... صفـة جزيرة العرب، مصدر سـابق: ٢٤٩.

٠٥ـ١٧: يوم الأحد منه إلى (الرياض)،[1]

ونزلنا (حوطة عبد الله الفيصل).[2] فركزنا (البيرغ)،[3] السلطاني ونصبنا الخيمة المذكورة، واجتمع الأهالي لدينا، لأجل السلام إلّا الشيخ النجدي عبد اللطيف الوهابي،[4] وعزمنا،[5] محمد الفيصل،[6] على وليمة معظمة، فأبدينا له النصائح الدينية

١. الرياض: تقوم مدينة الرياض على موقع بلدة قديمة تسمى «حجر اليمامة»، وكانت حاضرة قبيلتي طسم وجديس، حتى هجرت وخُربت على أثر حملة أحد ملوك اليمن... ثُم عمرت حجر على أيدي جماعة من بني حنيفة في الجاهلية، فاستعادت ازدهارها، واتّخذت سوقاً يعقد في العاشر من شهر محرم إلى نهايته من كل عام... وبقيت حجر قاعدة لليمامة في القرن الثامن الهجري حيث زارها ابن بطوطة. وفي القرن العاشر الهجري، تفرقت حجر إلى قرى صغيرة، وبدأ اسم «حجر» يختفي تدريجياً، حتى أطلق اسم «الرياض» على المنطقة، على هذه القرى المتفرقة،... وانتهى الصراع في ١١٨٧هـ بانضمام المدينة للدولة السعودية. راجع: معجم اليمامة، عبد الله بن محمد بن خميس، دار اليمامة: الرياض، الطبعة الأولى: ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م: ٤٩٠. الوليعي، عبدالله بن ناصر، وآخرون، منطقةالرياض دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية، الناشر إمارة منطقة الرياض: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ١٩٩٩م، ٣: ٩٥، والصفحات التي تليها.

٢. حوطة عبدالله الفيصل كانت تقع خارج سور الرياض في الجهة الجنوبية ودخلت فى عمران المدينة.

٣. يقال: «بيرق» وهي كلمة تركية يراد بها العَلَم، الراية، لواء. المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، د. محمود عامر، مجلة دراسات تاريخية، العددان (١١٧ـ١١٨)، كانون الثاني، حزيران لعام ٢٠١٢م: ٣٧٠.

٤. يعني به الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٢٥ـ١٢٩٣هـ) وهو من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب آل مشرف التميمي، درس على والده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ محمد بن محمود بن محمد الجزائري، والشيخ مصطفى الأزهري، من مؤلفاته: تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس، مقدمة لشرح نونية ابن القيم، وغيرها. انظر: آل الشيخ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن عبد الله، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر: الرياض، الطبعة الثانية: ١٣٩٤هـ: ٩٤.

٥. دعانا على مأدبة.

٦. هو الأمير محمد بن فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود (١٢٤٨ـ١٣١١هـ)، ولد بالرياض ونشأ

والمواعظ المحمدية، وحرّضناه على إظهار الطاعة والانقياد لحضرة الدولة العلية،[1] وامتثال أوامر الحضرة المشيرية.[2]

وكان حينئذٍ عبد الله الفيصل،[3] بالخارج عن الرياض بمسافة ثماني ساعات، فسيّرت له ساعياً، وحررتُ له كتاباً فيه من النصائح والترغيب في حسن الخدمات المرضية، لجانب السلطنة السنية، والانقياد للحضرة الفريقية، فأجابني بالسمع والطاعة.

وأما (الرياض) فبلدة فيها نحو ألف بيت، وفيها بساتين كثيرة، وتخمين (الرياض) و(الدرعية)،[4] و(منفوحة)،[5] وباقي قرى (العارض)،[6] لو اجتمعت وارداتها تقرب

بها، حارب مع أخيه الأمير عبد الله بن فيصل ضد أخيه الأمير سعود بن فيصل وأرسله أخوه الأمير عبد الله بن فيصل ضد العجمان عام ١٢٨٧هـ، وبعد وفاة أبيه الإمام فيصل بن تركي اذان بالبيعة لأخيه الأمير عبد الله بن فيصل واتبعه في حكمه، وتوفي في الرياض عام ١٣١١هـ.

١. «الدولة العلية» من أسماء الدولة العثمانية، وهنا يشير لانقياد وتبعية الدولة السعودية لهم، ... ومعناه أن يدفع للدولة العثمانية مقداراً من المال دليلاً على الطاعة، ويتصرف في الداخل بكلّ حرّية، وهذا نوع من الاستقلال الداخلي. انظر: أبوعلية، الدكتور عبد الفتاح حسن، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٢٨٦-١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠-١٨٩١م، دار المريخ: الرياض، الطبعة الرابعة: ١٤١١هـ-١٩٩١م: بتصرف: ١٨٧.

٢. المشير: لقب من ألقاب الصدور العظام قديماً، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات لقباً عسكرياً، كما هو مستخدم الآن في العالم العربي، وهو أعلى رتبة عسكرية. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٢٠٨.

٣. هو الأمير عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود.

٤. الدرعية: تقع في إقليم عارض اليمامة التاريخي بجنوبي هضبة نجد، تبعد الرياض حوالي ٢٠ كلم، يحدها من الشمال محافظة حريملاء، ومن الجنوب محافظة ضرما، ومدينة الرياض، ومن الشرق مدينة الرياض، ومن الغرب حريملاء ومحافظة ضرما.

٥. منفوحة: قرية قديمة من قرى وادي حنيفة، كانت ملاصقة للرياض.

٦. العارض: أحد الأقاليم التاريخية التي كانت تتألف منها منطقة نجد. وقد كان اسم العارض (أو عارض اليمامة) يطلق قديماً على جبل طويق الممتد من حدود إقليم القصيم الجنوبية شمالاً وحتى مشارف وادي الدواسر جنوباً، وكان يسمّى أيضاً «العروض»، وهي [أي اليمامة] ... والعروض

مـن واردات الأحسـاء والقطيـف، وأهاليها أكثرهـم فى غاية الغلاء والمحنـة ـ والعياذ بالله ـ وأكثـر قُوتهم (اليرابيـع)،[1] والجراد وما أشـبههما.

١٨ـ٠٠: وأقمنا بالرياض يوم الاثنين بضيافة المذكور محمد الفيصل.

١٩ـ٠٤: يوم الثلاثاء منها إلى (الدرعية) بلدة عظيمة آثارها وهي خربة كثيرة المياه.

٢٠ـ٠٩: يـوم الأربعـاء منهـا إلى (الحيسـية)،[2] قريـة (بـوادي حنيفة) قليلة البسـاتين، كثـيرة المياه.

٢١ـ٠٨: يوم الخميس أيضاً بوادي حنيفة، ومررنا على بساتين وقرى كثيرة.

٢٢ـ١٠: يـوم الجمعـة منهـا إلى قريب (ثرمـدة)،[3] ببرٍّ أقفـر،[4] موجـود المرعى، عديم الماء اسـمه (العريج).[5]

بفتـح العـين، ويقصـد بالعـارض حاليـاً الريـاض والدرعيـة وضرمـا والعيينـة والجبيلـة وسـدوس والعمارية ومنفوحـة والمصانـع وعرقـة والحائـر. الطريـق إلى الريـاض، مصـدر سـابق: ١٤٦.

١. يعني الجرابيع وهي ضمن الغذاء لأهل الصحراء، في الجزيرة العربية.

٢. لعلـه يقصـد شـعيب الحيسـية المتفـرع مـن وادي حنيفـة، وهـذا الشـعيب كبـير، ولكـن فيـه بعـض الوعـورة، وفيـه أشـجار طلـح كثـيرة والمكان قريـب مـن الريـاض وجميـل وقـت الأمطـار.

٣. الصـواب (الثرمـداء): هـي بلـدة مـن بـلاد الوشـم من إقليـم اليمامـة في جزيـرة العرب وهـي تابعة لأمـارة منطقـة الريـاض، وتبعـد عن الريـاض ١٦٠كم شـمالاً، وهـي بلدة قديمـة تعود إلى العصـر الجاهـلي، قـال في معجـم البلـدان: «ثرمـداء قـال الزهيري مـاء لبنـي سـعد في وادي السـتارين، وقد وردتـه يسـقى منه بالعقـال لقرب قعره، وتقـع بناحية اليمامة، وهـي خير موضع بالوشـم وإليه تنتهي أوديتـه». المجاز بـين اليمامة والحجاز، مصدر سـابق: ٥٣.

٤. ألقَفْرُ: الخَلاءُ من الأَرض لا ماءَ فيه ولا ناسَ ولا كَلأً.

٥. والصحيـح (العريـق): والعُرَيْـقُ: تصغـير عـرق، جبـل رمـل (نفـوذ، يبـدأ طرفـه الجنـوبي قريباً من طـرف (شـعر)، ثم يمتد شـمالاً غربيـاً حافـاً بغربي جبل عسـعس، وغربي شـعبا، وينتهي غـرب أبان في ضفـة الرمـة، كما قد يذكـر مضافاً فيقال: عريق الدَّسـم. المعجـم الجغرافي للبلاد العربية السـعودية عالية نجـد، مصدر سـابق: ٩٤٦.

٠٧ـ٢٣: يوم السبت نزلنا (ثرمدة) قرية كثيرة المياه والبساتين والأهالي.

١٠ـ٢٤: يوم الأحد منها إلى (مروتة)،[1] كثيرة الآبار والمرعى خالية غير منزولة.

٠٨ـ٢٥: يوم الاثنين منها إلى (مكسية)،[2] خالية عن الماء والمرعى وصادفتنا فيها غارة العتيبة يقدمهم عبد العزيز الجامع،[3] وأرعبوا الحاج فتوسطت بينهم أن سلمهم الحاج مئة وأربعة وأربعين ريالاً، وأعطيتهم بعض المختلفات وكفانا الله تعالى شرهم.

وتعهدت للحاج أنه بحول الله تعالى وبأنفاس الحضرة المشيرية، استرجع لهم المبلغ في مكة المشرفة فكان الأمر كذلك، حيث صادفنا حسين بن جامع شيخ عتيبة في منى، وحصل منه بلوغ المنى، وكان معه اختيارية،[4] العشيرة المذكورة

---

١ . الصواب (المروت): ويحدد موقعها ابن جنيدل: «وهو يعني (المَرُوّتُ)، وقد تقال بصيغ التأنيث فيقال (المروئة): وهو يطلق على صحراء واسعة تقع في شرق بلدة (القويعية)، وعندما يقال مكان (مرت) لغة هي القفر التي لا نبات فيها، أو قليلة النبات». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ١١٧٤.

أما صاحب (المجاز بين اليمامة والحجاز) فيقول: المروت: هي ما بين (جيب غراب) و(المَلحا)، و(البُتر) شمالاً، وما بين المناهل (سامودة)، و(البديعة) و(البعائث). وما حاذاها من أرض قفوف ومرتفعات وحزون، تكون فاصلاً بين (المروت) وبين (الجلة). المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٦٤.

٢ . وهو يعني هنا (مُكَيْنَةُ): ماءٌ قديم مر، تقع شرقاً من صفراء المدّميثيات، وعندها روضة مشهورة تسمى روضة (مكينة)، وقد حفرت فيها آبار ارتوازية وزرعت، وهي لقبيلة الروسان من عتيبة، تابعة لأمارة الدوادمي، تبعد عن مدينة الدوادمي سبعين كيلاً تقريباً، وهي معروفة بهذا الاسم قديماً. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ١٢٢٧.

ولعل إشارة (السعدي) أنها «خالية عن الماء والمرعى»، قبل حفر الآبار والزرع، أما سكنى قبيلة عتيبة التي قامت بمهاجمتهم وسرقتهم فهي لوجود مضاربهم في المنطقة منذ القدم مما يجعلها تحت سيطرتهم ونفوذهم.

٣ . ابن جامع شيخ قبيلة الروسان من عتيبة.

٤ . الرجال الأشداء من القبيلة.

فحذرتهم وأنذرتهم من سطوة وكلاء الدولة العلية فسلموا المبلغ المذكور إلى الحجاج المرقومين بعد الدخالة العظمى، وقدّموا لي نكالاً عوض المختلفات سيفاً مصنوعاً من الفضة.

ثم بعد ذلك علم حضرة سيدنا ومولانا الشريف، الحائز لكلّ بحر منيف، صاحب الدولة،[1] عبد الله باشا،[2] ـ وفقه الله تعالى لما يشاء ـ، فحبس حسين المذكور وعزّره على فعلهم بحجّاج بيت الله الحرام، وأن من دخله كان آمناً، ومن قصده لا يضام، فتشكرنا لحضرته النسية، وأثنينا على غيرته المحمدية، وهذه جملة اعترضت هنا وسنعود إلى ما نحن فيه.

٠٩ـ٢٦: يوم الثلاثاء رحلنا من (مكسية) إلى قرية (الدوادمي)،[3] فيها بساتين ومياه.

---

١. صاحب الدولة: لقب عثماني يطلق على كبار الشخصيات بمعنى رجل الدولة. الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٣١٢.

٢. هو أمير مكة المكرمة الشريف عبد الله بن محمد بن عون تولى إمارة مكة بين عامي (١٢٧٤ـ١٢٩٤هـ) بعد وفاة والده، نال مرتبة الوزارة وعضو مجلس الأحكام العدلية «مجلس والاي أحكام عدلية»، وهو شخصيه علمية عرفت بولعها بالمناظرات العلمية، له اطلاع واسع بالفقه والحديث والأدب، بقي في إمارة مكة أكثر من ١٩ سنة حتى وفاته سنة ١٢٩٤هـ. خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، السيد أحمد زيني دحلان، المطبعة الخيرية: مصر، الطبعة الأولى: ١٣٠٥هـ: ٣٢١. أشراف مكة وأمراؤها في العهد العثماني، إسماعيل حقي جارشلي، ترجمه عن التركية: د. خليل على مراد، الدار العربية للموسوعات: بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣مـ ١٤٢٤هـ: ٢٢٢.

٣. الدوادمي: وهي اليوم مدينة تقع غرب منطقة الوشم على بعد ٣٣٣ كم من مدينة الرياض غرباً، وهي تسمى أيضاً قديماً (داورد) و (العويصي)، (العيصان)، وهي تقع في سهل من الأرض، يحفها من الشرق صحراء واسعة سهلة، ومن الشمال والغرب والجنوب يحف بها جمش من الأرض، ونتوءَات صخرية وهضاب. قال الإصفهاني: «العيصان، من حجر على مسيرة خمسة أيام أو ستة، وهي قرية كبيرة فيها معدن لبني نمير»، وقال أيضاً: «وهو يرتب لطريق اليمامة إلى مكة». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٥٣٩.

٠٨ـ٢٧: يوم الأربعاء منها إلى (قرية الشعرة)،[١] آخر قرى نجد وفيها بساتين ومياه.

٠٨ـ٢٨: يـوم الخميس منهـا إلى (ظليـع الخـوار)،[٢] كثـير المرعـى، خـال مـن الميـاه والمنـزل.

٠٩ـ٢٩: يوم الجمعة منها إلى (خش النير)،[٣] فيه آبار كثيرة ومرعى.

١٠ـ٣٠: يـوم السـبت منهـا إلى (عسـيلان)،[٤] كثـيرة المرعى بلا مـاء وفيـه رأينا هلال ذي الحجـة الحرام.

الساعة، [شهر] ذو الحجة:

١٠ـ١: يوم الأحد منها إلى (الحميمة)،[٥] خالية من الماء والمرعى والعربان.

---

١ . الصـواب (الشـعراء): وهنـا مـراده منطقـة (الشـعراء): وهـي بلـدة قديمـة ذات زرع ومـدر، تقع في جانـب جبـل (ثهلان) مـن الشرق، في الجنـوب الغربي لمدينـة الدوادمـي، على بعد ٣٥ كم، وسـكانها مـن قبيلـة عتيبة. المجاز بين اليمامـة والحجاز، مصـدر سـابق: ٨٩، ٨٢.

٢ . ويعنـي هنـا (الخُـوَّار): وهـو جبـل أسـود يعـترض شـمالاً وجنوبـاً، يقـع غرباً شـمالياً من الأسـودة، وشرقـاً مـن جبل النـير، وجنوبـاً من بلـدة البجاديـة، وهو تابـع لإمـارة الدوادمي. المعجـم الجغرافي للبـلاد العربيـة السـعودية عالية نجـد، مصدر سـابق: ٤٨٣.

٣ . ومـراده هنـا (خشـيم النـير) أي رأس جبـل النير، قـال صاحب عالية نجـد: «وهو جبل أسـود كبير، واسـع فيـه أودية وشـعاب، وفيه مسـالك وثنايـا، وفيه مياه كثـيرة». المعجـم الجغرافي للبـلاد العربية السـعودية عالية نجد، مصدر سـابق: ١٢٧٩.

٤ . عُسَـيْلان: قريـة زراعيـة صغـيرة، تقع في أعـلا بلاد الرين، بين عسـيلة وبين العليا، وسـكانها بعضهم مـن قحطـان، وبعضهـم مـن آل هويمل من بنـي زين، وعُسَـيْلان تبعـد مـن القويعية بــ: (٥٨كم)، وهـي تابعـة لأمـارة القويعية. المجاز بـين اليمامة والحجـاز، مصدر سـابق: ١١٦.

٥ . الحميمـة: تصغـير حمـى، وهـي بلاد واسـعة ذات مـراعٍ جيـدة، فيها ميـاه باديـة، وليس فيهـا جبال، يحـف بهـا مـن الشـمال جبـل النـير، ومن الجنـوب جبـل العلـم، ومـن الـشرق نفـوذ العوينـد، ومن الغـرب نفـوذ رمحـة، وهو من الأحميـة القديمـة، ذكرها ياقـوت: بحمى النـير، وقال الهمـداني: قالوا: حمـى ضريـة هـو حمى كليب، وبـين حمى وضريـة جبل النـير، ويفهم مما قالـه الهمـداني: أن حمى كليب

١٠ـ٢: يـوم الاثنـين منهـا إلى (الـبرة)،[1] فيهـا مرعـى وآبـار مـاء، وعليهـا مـن عربان عتيبـة، وحمانـا الله منهم.

٠٩ـ٣: يوم الثلاثاء منها إلى (سكوة)، على سيل عظيم ومرعى جسيم.

١٠ـ٤: يوم الأربعاء ومنها إلى (الكموم)،[2] مرعى فقط.

٠٩ـ٥: يوم الخميس منها إلى (ركبة)،[3] رعياً فقط.

١١ـ٦: يوم الجمعة أيضاً إلى (ركبة)، رعياً وسقياً.

٠٦ـ٧: يـوم السـبت منها إلى (وادي العقيـق)،[4] وأحرمنا فيه إلى الحـج مكررين التلبية

هـو الواقـع جنـوب جبل النير. وهـو الذي يسـمى في هذا العهد الحُمـي مصغر، ومياه الحمى في هذا العهـد لقبيلـة عتيبـة، في حدودها الجنوبية مـاءٌ عذب جاهلي قديم، يدعى سُـعدة، وهو ماء السـعدية، كـما أن في حدودهـا الشـمالية ماءٌ جاهـلي قديم يدعى في هذا العهد (الدهاسـية) نسـبة لقبيلة الدُهسـة مـن عتيبـة الـذي يملكونـه في هـذا العهـد، ومكانها بالضبـط، غـرب الدوادمـي، وشرقـاً جنوبياً من عفيـف، وشـمالاً من بلدة الخـاصرة تابعـة لإمارتها. المعجـم الجغرافي للبـلاد العربية السـعودية عالية نجد، مصدر سـابق: ٤٢٠ـ٤٢٢.

١ . الـبَرَّة: هضبـة صغـيرة تبـدو للعيان من بعـد لوقوعها في متـن عبلة مرتفعـة، تقع غرباً من ماء سـجا، والواقـع غـرب بلـدة عفيـف، جنوب طريـق السـيارات المسـفلت المتجه إلى الحجـاز، وبالقـرب منه هضيبـة صغيرة.

٢ . يعنـي (الجَمُـوم): تابعـة لمنطقـه مكة المكرمـة في إقليم تهامـة، تقع في الشـمال الغربي من مكـة المكرمة وتبعـد عـن مكـة مسـافة ٢٥ كـم، ويحدها مـن الشرق جبـال الضيـق وتنتهي بسلسـلة جبـال سرر، كـما يحدهـا شرقـاً قريـة أبي عـروة والبراقـة إلى حدود قريـة أبي شـعيب غرباً، ويوجـد بها آثـار تاريخية وزراعيـة. راجـع معجم معـالم الحجاز، مصـدر سـابق ١ : ٣٧٨.

٣ . ركبـة: هـي صحـراء تـلي وادي العقيـق شرقاً، وهي واسـعة حيـث تبتدئ بـلاد نجد، وقيـل أن ركبة عـلى الطريـق بين مكـة والطائف. معجـم معالم الحجـاز، مصدر سـابق ٤ : ٧٠٥.

٤ . وادي العقيـق: مـن أشـهر أوديـة المدينـة المنـورة، وهـو وادٍ يقع بـين الفـرع والمدينة، يبعد عـن المدينة حـدود (١٠٠كـم) تقريبـاً، حيـث يـأتي طريـق مكـة مـن تلـك الناحيـة، قـال ابـن خميس عـن وادي العقيـق: «يسـتطيل جنـوبي الحـرة وادي العقيـق ممـا يـلي المناقـب ـ الريعـان ـ ووادي قرّان، وشـعاب

والتهليل والتكبير والتحميد.

٠٤ـ٠٠: في اليوم المذكور منها إلى (عرفات)،[١] نهاراً وليلاً، حتى وصلنا الساعة: ٩ من الليل فأقمنا بعرفة يوم الأحد ويوم الاثنين، وكان وقوفنا يوم الاثنين ـ والحمد لله تعالى ـ ونفرنا منها إلى (مزدلفة)،[٢] وجمعنا بها الحصيات.

الحرة الجنوبية، وأم الخروع، وغيرها، ويذهب مشرقاً للحرة، وفيه الطلوح العظيمة والسيال والسدر والعشر، فيمر ببلدة عشيرة، وبمنهل المحدثة، ومنهل تنضبه ويفترع الحرة بعدئذ مشملاً فمغرباً، يقول ابن بليهد عن هذا العقيق: «في بطن ذلك الوادي إذا اتجه شمالاً عيون وآبار كثيرة عذبة، وهي بالقرب من المدينة، وسيل ذلك الوادي يصب في وادي الحمضي، ويصبّان معاً في البحر، هذا الذي بلغني عن الثقات». جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٣٥، ٢٣٨، المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٢٣٧.

١. عرفات أو عرفة: هو جبل في المملكة العربية السُعودية يقع على الطريق بين مكة والطائف، حيث يبعُد عن مكة حوالي ٢٢كم وعلى بُعد ١٠كم من منى و٦كم من مزدلفة. تُقام عنده أهم مناسك الحج، والتي تسمى بوقفة عرفة وذلك في يوم التاسع من شهر ذي الحجة. وتعد الوقفة بعرفة أهم مناسك الحج كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «الحَجُّ عَرَفَةُ». معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٦: ١١٣٣.

٢. مزدلفة: ثالث المشاعر المقدسة التي يمر بها الحجيج في رحلة إيمانية يؤدون فيها مناسك الحج حيث تقع بين مشعري منى وعرفات ويبيت الحجاج بها بعد نفرتهم من عرفات، ويعود سبب تسميتها مزدلفة وفقاً للعلماء والمؤرخين نظراً لنزول الناس بها في زلف الليل، وقيل أيضاً لأن الناس يزدلفون فيها إلى الحرم، كما قيل إنّ السبب أنّ الناس يندفعون منها زلفة واحدة أي جميعاً فيما سماها الله المشعر الحرام وذكرها في قوله: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾. يحدّها من الغرب ما يلي منى ضفة وادي مُحسّر الشرقية (وهو واد صغير يمر بين منى ومزدلفة، وهو ما يمر فيه الحاج على الطريق بين منى ومزدلفة) فيكون الوادي فاصلاً بينها وبين منى ويحدها من الشرق ما يلي عرفات مفيض المأزمين وهما جبلان بينهما طريق تؤدي إلى عرفات فيما يحدها من الشمال الجبل وهو ثبير النصع، ويقال له أيضاً جبل مزدلفة، ومن مزدلفة عادة يجمع الحجاج الحصيات من جبالها المحيطة بها، لرميها على الجمرات في منى. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٨: ١٥٨٠.

١٠: ويـوم الثلاثـاء رجعنـا إلى (مِنَـى)،[١] ودخلنـا (مكـة المشـرّفة)، فطفنـا طـواف الإفاضـة، ورجعنـا إلى (منـى)، وأقمنـا بهـا يـوم الأربعـاء، ويـوم الخميس دخلنـا مكـة المكرمـة، ويـوم الجمعـة نحن بضيافة حضرة سيد الشرفاء المنسـوب إلى سـلالة المصطفى مولانـا أفخـم، وعمادنـا الأقوم. صاحـب الدولـة الشريفة عبـد الله باشـا. أدام الله وجوده وأعلى سـعوده.

وأقمنـا بمكـة شرّفهـا الله تعـالى خمسـة عشـر يومـاً كل ليلة منهـا نحظـى بمنادمة لحضرته السـنية، ونتجـاذب أبحاث العلم والآداب، مشـاهدين منـه الالتفات، ومزيد التوجهـات، وعنـد المودعة أحسـن علينـا بكركوفراجـة،[٢] فاخرين، وأمـر لي بحصان مـن جيـاد الخليل فاسـتعفيت عنه، ـ عفـا الله عني وعنـه ـ، وأخـذت الكركوالفراجة، متبركاً بهما.

وآخـر يـوم الإقامـة؛ وهـو يـوم الجمعـة كنـتُ بضيافـة صاحـب السـعادة والي جـدة الأفخـم قاسـم باشـا،[٣] يـسّر الله لـه مـن الخـير ما يشـاء.

٠٦ـ٢٨: يـوم السـبت تحرّكنـا مـن مكـة المشرّفـة مودّعين البيـت الحـرام قاصدين

---

١ . مِنـى: أحـد مشـاعر الحـج، وأقربهـا إلى مكـة، وهـي وادي تحيط بـه الجبـال، تقـع في شرق مكة، على الطريـق بـين مكة وجبل عرفـة، وتبعد عن المسـجدالحرام نحو٦كم تقريباً. ويحدها من الشـمال الغربي جمـرة العقبـة، ومـن الجنـوب الشرقي وادي محسر، ومن الشـمال جبـل القويس، ومـن الجنوب جبل مثيـبر. ينزلـه الحـاج يـوم النحر وهو العـاشر مـن ذي الحجة، ويقيـم إلى اليـوم الثاني عـشر أو الثالث عـشر، وبـه الجمـرات الثـلاث التـي يرجمهـا الحـاج، ومسـجد الخيـف، ومسـجد الكوثر، ومسـجد المرسـلات، ومسـجد الكبـش. معجم معـالم الحجـاز، مصدر سـابق ٨: ١٦٧٠ .

٢ . لعلها نوع من أنواع الملابس المستخدمة في ذلك الوقت.

٣ . قاسـم باشـا الفريـق: (١٢٨٨ـ١٢٨٩هــ)، وكان أولاً محافظـاً عـلى المدينة، ثـم صار محافظاً لجـدة، قائماً مقـام خورشـيد باشـا في جدة، ثـم وجهت له الولاية بعد عزل خورشـيد باشـا مع بقائه فريقـاً، ولم يعط رتبـة الـوزارة، وجعـل إقامته بجـدة، إلى أن تم عزله في شـوال سـنة ١٢٨٩هـ. دحلان، أحمد بن زيني، تاريـخ أشراف الحجـاز، تحقيـق: د. محمد أمين توفيق، دار السـاقي: بـيروت، ط. ١، ١٩٩٣م: ٥٧.

زيارة نبينا عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، فنزلنا (وادي فاطمة)،[1] مع الحاج الشامي، وكانت ليلة السُّرَّاق، فسرقوا خرجي بما كان محتوياً عليه من ملبوساتي وخراجي.

٠٨ـ٢٩: يوم الأحد (خليص)،[2] [فيها] سقياً ورعياً.

الساعة: [شهر] المحرم:

٠٦ـ١. يوم الاثنين منها إلى بئر (التّفلة)،[3] [فيها] سقياً ورعياً.

---

١. وادي فاطمة وادٍ كبير من أودية تهامة غرب المملكة العربية السعودية حالياً. يجري الوادي من الشرق إلى الغرب، بادئاً من أعالي السراة قرب الطائف لينتهي عند بلدة بحرة بين جدة ومكة، وهو واد خصب وفير الماء، وبه العديد من القرى أهمها الجموم، وقد جاءت التسمية بـ: (وادي فاطمة) في القرن العاشر، وكان يعرف سابقاً منذ العصر الجاهلي بـ: (وادي مر الظهران)، أما الجموم فهي إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة في إقليم تهامة، تقع في الشمال الغربي من مكة المكرمة وتبعد عن مكة مسافة ٢٥ كم.

٢. خُلَيْص: وهي محافظة من محافظات منطقة مكة المكرمة، تقع المحافظة في إقليم تهامة على بعد ١٠٠كم، عن مكة المكرمة بطريق الهجرة، في اتجاه الشمال الشرقي، وهي تشتهر بأوديتها الكبيرة مثل وادي خليص، ووادي غران، ووادي ستارة، ووادي قديد. معجم معالم الحجاز، ٢: ٥٦٦.

٣. بئر التفلة: يقع في محافظة عسفان التي تبعد ٥٠كم عن جدة، وتقع في الوسط ما بين منطقة الجموم المؤدية إلى مكة المكرمة، والطريق المؤدي الى المدينة المنورة، وأن المسافة التي كان يقطعها الحجاج القادمون إلى عسفان من مكة المكرمة تقدر بـ: ١٨ ساعة بواسطة الجمال، والتي كانت أيضاً طريقاً يمتد بالحجاج إلى المدينة المنورة بعد أدائهم مناسك الحج. يقول البلادي في معجم معالم الحجاز: «بئر عُسفان محكمة الطي واسعة الفوهة يضرب المثل بعذوبة مائها، وقد يهدى في مكة وجدة، يقال: إنّ الرسول ﷺ ورد عسفان فنضبت آباره فأشرف على هذه البئر فتفل فيها. وماؤها غزير لا ينزح أبداً. ومن غريب ما شاهدت أنّ الشركة التي قامت بشق الطريق هناك أرادت أن تقيم آلة ضخ على (التفلة) فلم تشتغل الآلة، فغيروها إلى بئر يقال لها أم الدرج من صنع الأتراك فاشتغلت».

٠٧ـ٢: يـوم الثلاثـاء منها إلى (كظيمة)،[١] ولحـق الحاج (داء أبو الركـب)،[٢] فمات منهم نحـو عشريـن نفراً، ومنهـم عبدٌ لي حبشي أخنـس، وحمدت الله على السـلامة.

٠٦ـ٣: يـوم الأربعـاء ومنهـا إلى قـرب (رابـغ)،[٣] رعيـاً فقـط، واعـترى الحـاج علـة القولـيرا (الهيضـة)،[٤] ومـات سـبعة أنفـار.

٠٦ـ٤: يـوم الخميـس منهـا إلى (رابغ) بلدة معمورة من أسـاكل البحـر، ومات [فيها] عـشرة نفر، وعبـد لي آخر حبشي.

---

١ . والصـواب (القضيمـة) وهـي بلـدة على السـاحل بقـرب ثـول، في مفيـض وادي قديد تابعـة لإمارة رابـغ، ذكرهـا أيوب صبري باشـا في كتـاب (مرآة جزيـرة العرب) سـنة ١٢٨٩ هـ بقولـه: «والقوافل المترددة بين مكـة والمدينة تواصل سـيرها إلى (القضيمة) بعد اسـتراحة قصيرة تمكنها من الاستسـقاء مـن مرحلـة (خليص). والقضيمـة هي المرحلة الرابعة وبينها وبين خليص إثنتا عشـرة سـاعة سـيراً بالجـمال. ومرحلـة (القضيمـة) بها ثلاثـة آبـار، إلّا أنّ مياهها مالحة بعض الشـيء، وذلـك لقربها من البحـر، ولمـا كانـت هذه القريـة وفيرة الأسـماك فقد لقيت اسـتراحتها رواجـاً بين المسـافرين المحليين المترددين عليهـا. والقوافـل المتحركـة مـن هـذا الموضـع تصـل إلى (رابـغ) التـي تبعد مسـيرة سـت عشـرة سـاعة عن (القضيمة) مـن ناحية المدينـة المنورة».

٢ . داء أبوالركـب ويعـرف بــ: (حمـى الضنـك)، هـو مـرض مـداري منقـول بالبعـوض يحدث بسـبب فـيروس الضنـك. تشـمل الأعـراض الحمـى والصـداع وآلام العضـلات والمفاصل وطفـح جلدي متميـز شـبيه بطفـح الحصبة.

٣ . رابـغ: هـي إحـدى محافظـات منطقة مكـة المكرمة وهـي مدينة قديمة تقـع على سـاحل البحر الأحمر في إقليـم تهامـة، تبعـد عـن جـدة حـوالي ١٤٠كـم في اتجـاه الشـمال، ... وكانـت قديـماً من ديـار بني ضمـرة مـن قبيلـة كنانـة، بهـا ميقـات (الجحفـة) وهـو ميقـات لأهـل مـصر والشـام. معجـم معالم الحجـاز، مصدر سـابق: ٦٥٤.

٤ . يعنـي الكولـيرا (الهيضـة): والكولـيرا، والتـي تعـرف أحيانـاً باسـم الكولـيرا الآسـيوية أو الكوليرا الوبائيـة، هـي مـن الأمـراض المعويـة المُعديـة التي تُسـببها سـلالات جرثوم ضمـة الكولـيرا المنتجة للذيفـان المعـوي. وتنتقـل الجرثومـة إلى البشر عـن طريق تنـاول طعـام أو شرب مياه ملوثـة ببكتيريا ضمـة الكوليرا مـن مـرضى كولـيرا آخرين.

٠٤ـ٥: يوم الجمعة منها إلى (الوادي)،[١] سقياً من ماء السيل، وانقطعت العلة بحمده تعالى.

٠٩ـ٦: يوم السبت أيضاً في الوادي على ماء السيل.

٠٥ـ٧: يوم الأحد أيضاً في الوادي على ماء السيل.

٠٥ـ٨: يوم الاثنين منه إلى (الريان)،[٢] فيه بساتين ومياه.

١٢ـ٩: يوم الثلاثاء نزلنا (الغدير).[٣]

٠٦ـ١٠: يوم الأربعاء نزلنا قرب (المدينة المنورة) سقياً ورعياً من السيول.[٤]

٠٦ـ١١: يوم الخميس دخلنا المدينة وشاهدنا أنوارها الساطعة المنيرة، وبلغ المسير من مكة المشرّفة إلى المدينة المنورة بمشي الأثقال ٩٧ ساعة، وأقمنا بها عشرة أيام مواظبين لزيارة مرقد سيد الأنام، ومصباح الظلام، ورافعين أكف الدعاء لجانب

---

١ . يقصد وادي الأبواء، ... (مَرّ الظَّهْرَانِ) من التقاء النخلتين، وينحدر وادي (الْأَبْوَاءِ) إلى البحر جاعلاً أنقاض (وَدَّانَ) على يساره، وثم طريق إلى (هَرْشَى)، ويمر ببلدة (مَسْتُورَة) ثم يبحر. ويسمى اليوم (وَادِي الْخُرَيْبَةِ)، غير أن اسم (الْأَبْوَاءِ) معروف لدى المثقفين، وسكانه بنو محمد من بني عمرو، وبنو أيوم من الْبِلَادِيَّةِ من بني عمرو. أنظر: البلادي، عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م: ١٥.

٢ . الريان: قرية تتبع محافظة وادي الفرع ... قال البلادي: «الريان: صدر وادي الرع، فيه عيون كثيرة وقرى عامرة منها الفقير قاعدة الفرع اليوم، يبعد جنوب المدينة ١٥٠كم تقريباً، سكانه بنو عمرو بن حرب». معجم معالم الحجاز، مصدر سابق: ٧٤٠.

٣ . ويعني هنا (غدير خم)، بين مكة والمدينة، بينه وبين الجُحفة ميلان، وهي منطقة تقع في صحراء فسيحة على مسير السيول في وادي «الجحفة»، حيث يجري هذا المسيل من الشرق إلى الغرب في الشتاء، ويمرُّ بمنطقة الغدير، ثم ينتهي منه إلى الجحفة ثم منه إلى البحر الأحمر فيصب فيه، ... معجم معالم الحجاز، ٦: ١٢٤٣.

٤ . وهي السيول القريبة من المدينة المنورة، حيث اشتهرت المدينة بكثرة مزارعها ومياهها الكثيرة.

السلطنة السنية، وللحضرة المشيرية، ولجميع إخواننا المسلمين.

٠٦ـ٢٢: يوم الاثنين تحرّكنا من المدينة المنورة متوجهين على طريق القصيم، نزلنا مقابل (جبل أحد)،[١] بقرب سيدنا حمزة على سيل عظيم.

١٠ـ٢٣: يوم الثلاثاء، منه إلى (وادي الحرة)،[٢] سقياً من ماء السيل.

٠٩ـ٢٤: يوم الأربعاء نزلنا (الحناكية)،[٣] قرية من قرى المدينة فيها قلعة مشتملة على أربعين نفراً من العساكر الهايتة،[٤] ومن كثرة أمطار هذه السنة هدم أكثرها.

٠٧ـ٢٥: يوم الخميس منها إلى (الأرطاوى) على سيل.

٠٧ـ٢٦: يوم الجمعة منها إلى (العرجة)،[٥] على سيول عظيمة.

---

١ . جبل أحد و مكانه: وقعت فيها المعركة التاريخية بين النبي ﷺ وبين كفار مكة، وهو يقع كما يشير عاتق الحربي: «هُوَ مِنْ أَشْهَرِ جِبَالِ الْعَرَبِ، يُشْرِفُ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الشَّمَالِ، يُرَى بِالْعَيْنِ، وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ بِهِ وَلَعٌ وَحُبٌّ، وَهُمْ يُسَمُّونَهُ (حِنٌّ) مِنْ بَابِ التَّدْلِيلِ! وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ أَحَادِيثُ، وَلَوْنُهُ أَحْمَرُ جَمِيلٌ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ حَرَمِ الْمَدِينَةِ». معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مصدر سابق: ١٩.

٢ . يوجد بالمدينة المنورة حرتان «لابتان» إحداهما شرق المدينة المنورة وتسمى «حرة واقم» والأخرى غرب المدينه المنورة وتسمى «حرة الوبرة»، وهما اللتان تحدان حرم المدينة المنورة وقريبة منها، والمقصود هنا (حرة واقم)، الواقعة شرق المدينة المنورة، وهي المعروفة بـ: (حرة بني قريظة).

٣ . الحناكية: وتقع في الجزء الشمالي الشرقي من منطقة المدينة المنورة، يحدّها من الشمال منطقة حائل، ومن الشرق منطقة القصيم، ومنطقة الرياض، ومن الجنوب محافظة المهد، ومن الغرب محافظة خيبر، وهي تبعد عن المدينة المنورة مسافة ١١٠كم.

٤ . الهايتة: بمعنى الجماعة غير المنضبطة.

٥ . وهي (عرجا)، ويقال (عرجة) بالتاء المربوطة، وهي عجرة قديمة نامية أسست على ماء يعرف بهذا الاسم، تقع شمال الدوادمي على بُعد ٣٠ كم، تعرف بمزارعها ونخيلها، وسكّانها المحاميد من قبيلة الروقة من عتيبة، يوجد بها ماء قريب منها يعرف بـ: (النشاش)، قال ياقوت: «العَرِجَة: بكسر الراء، ماء لبني نمير». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٩٢٥.

٠٨ـ٢٧: يـوم السـبت منهـا إلى (الأصفير)،[١] على سـيل عظيم وأُمْطِرنا فيـه إلى مطلع الفجر.

٠٨ـ٢٨: يوم الأحد إلى (سمر الهميلية)،[٢] على سيل عظيم وأُمْطِرنا إلى الليل.

٠٨ـ٢٩: يوم الاثنين إلى (وادي الرشا)،[٣] على سيل كثير، وأُمْطِرنا فيه ليلاً.

الساعة: [شهر] صفر:

٠٩ـ٠١: يوم الثلاثاء منه إلى (وادي الرمة)،[٤] على سيل كثير وأُمْطِرنا فيه ليلاً.

٠٧ـ٠٢: يوم الأربعاء منه إلى (عقلة أبان)،[٥] على سيل كثير وأُمْطِرنا ليلاً.

---

١ . ولعـل مقصـده ومـراده «أصفـر عفيف» لأني لم أجـد ذكراً لهذه التسـمية في المعاجـم الجغرافية المهتمة بالجزيـرة العربيـة، يقـول صاحـب المجـاز: «ويقع فيما يشـبه الفـج بين جبلـين، فالجبل القائم شـماليه جبـل أصفـر طويـل، يقـال لـه (أصفـر عفيـف)، ويمتـد شـمالاً ويمعـن في الامتـداد، وبـه مناهـل ومسـميات، ويصاحبـة مـن الناحية الشـمالية الشرقيـة جبـل (الوريكة)، وفي امتـداده (أبـا الحصائية) و(قرنـين)، وبهـا مـن الناهل منهـل (قليشـة)». المجاز بين اليمامـة والحجـاز، مصدر سـابق: ١٤٩.

٢ . لعـل مقصـده «سـميراء»، وهـي تعـرف اليـوم بــ: (القـصر)، قـال حمـد الجاسر: «وهي بلـدة ذات نخـل وسـكان كثيريـن تابعة لأقليـم حايل». المناسـك وأماكن طـرق الحاج ومعالم الجزيـرة، مصدر سـابق: ١١٦، ٤١٣.

٣ . وادي الرشـا: وادٍ عظيـم في عاليـة نجـد ومـن أهـم الأوديـة التـي تجري في وسـط نجد ويبلـغ طوله تقريبـا ١٨٠كـم مـن الشـمال إلى الجنوب ويسـيل باتجاه الشـمال حتـى يصـل منطقة الخرمـا وخريمان التابعـة لمنطقـة القصيم، وهو مـن البلاد التابعة لأمـارة الدوادمي، ويبعـد عن مدينـة الدوادمي أربعة وأربعـين كيـلاً. المعجـم الجغرافي للبـلاد العربية السـعودية عالية نجـد، مصدر سـابق ٣: ١٢٨٩.

٤ . وادي الرَّمـة: الـذي كان وادي الباطـن امتـداداً لـه، وذلـك لاتّسـاع عرضـه وطولـه وسـيطرته عـلى مسـاحة شاسـعة إذ يعـبر الجزيـرة العربيـة مـن الغـرب إلى الـشرق كـما أنـه أطـول واد يشـبه الجزيرة العربيـة إذ يبلـغ طولـه تقريبـاً أكثر مـن ١٠٠٠كـم، ...

٥ . (العقلـة) هـي البئر القريبة الماء والقصيرة الرشـاء أخذت تسـميتها من كونها يمكن أن يسـتقى بها بعقال البعـير، و(أبـان) جبلان من أشـهر جبال وسـط شـبه الجزيرة العربيـة (نجد) قديـماً وحديثـاً، ويقعان في

٠٨ـ٠٣ : يـوم الخميس نزلنـا خـارج (النّبهانيـة)،[١] قريـة مـن قـرى (القصيـم) كثيرة البسـاتين والعيـون وأُمْطِرنـا ليلاً.

٠٨ـ٠٤ : يوم الجمعة منها إلى خارج (الرس)،[٢] بلدة معتبرة كثيرة البساتين والعيون.

٠٨ـ٠٥ : يـوم السـبت منهـا إلى بلـدة (عُنَيْزَة)[٣] من أكـبر بلاد(القصيـم) أهلها أخيار، كثيرة البسـاتين والعيـون. وأقمنا بها ثمانية أيام وسـيّرت حاجّ الأحسـاء إلى حضرة الفريق مـع حمدان بـن ناصر.

٠١ـ١٤ : يـوم الاثنـين نزلنـا (وادي عنيـزة)،[٤] متوجهـين إلى الكويـت سـقياً ورعيـاً، وأقمنـا فيـه يومين.

٠٦ـ١٦ : يـوم الأربعـاء منـه إلى (روضـة منها الصالـح)،[٥] قرية من قـرى (بريدة) فيها

منطقة القصيم إلى الغرب في مدينة النبهائية، ... معجم بلاد القصيم، مصدر سابق١ : ٢٢١.

١ . قريـة النبهانيـة تقـع في الجزء الغربي لمنطقـة القصيم في شرق جبل أبان الأسـمر. ويمـر بجانبها وادي الرمـة على بعد ٥كـم، وهي اليـوم مدينة متراميـة الأطراف.

٢ . الـرس: منطقـة في غـربي القصيـم، تقـع في هضبـة نجـد، ويحدهـا مـن الـشرق البدائع ومـن الغرب قصــر ابـن عقيـل والشـنانة ومـن الشـمال الخبراء والقريـن ومـن الجنـوب دخنـة. الـرس تبعد عن الريـاض (٣٨٥كـم)، وعن المدينة المنـورة (٤٠٠كم). يقول ياقـوت الحموي (معجـم البلدان الرس والرسـيس واديـان بنجـد أو موضعـان، وقال عـليّ: الرس مـن أودية القبيلـه. وقال غـيره: الرس ماء لبنـي منقـذ ابـن أعيا من بني أسـد. معجـم بـلاد القصيم، مصـدر سـابق ٣ : ١٠٢٣.

٣ . عُنَيْـزَة: منطقـة تاريخيـة تقع في الجزء الشـمالي الأوسـط مـن هضبة نجـد إلى الجنوب من مجـرى وادي الرمـة، وتحيـط بهـا كثبان رملية من الشـمال والغرب تسـمى رمـال الغميس بينما يقـع إلى الجنوب منها رمـال وغابـات الغضا في منطقة الشـقيقة، وهـي المدينة الثانيـة في القصيم، وقد كانت مـن أقوى مدن القصيـم تجارة، وأكثرها كثافة سـكانية. معجم بـلاد القصيم، مصدر سـابق ٦ : ١٦٣٨.

٤ . لا يوجـد شيء اسـمه وادي عنيـزة، وإنـما ربما طاف على أحـد الوديان الموجـودة بالقصيم فاطلق عليه وادي عنيزة.

٥ . الصحيـح (روضـة مهنـا الصالـح): تقـع قـرب بلـدة الربيعيـة في منطقة القصيـم. اشـتهرت روضة المهنـا، بكثـرة المياه والزراعـة فيهـا، ولقد سـميت بروضة مهنا نسـبة إلى أمـير القصيم السـابق وأمير

بساتين ومياه.

٠٦ـ١٧: يوم الخميس منها إلى (نفوذ الزّلفي)،[1] من بلاد (القصيم)،[2] لو اجتمع تتوازن بلاد الأحساء والقطيف.

٥ـ١٨: يوم الجمعة منه إلى (الفزوك) رعياً لا سقياً.

٠٦ـ١٩: يوم السبت منه إلى (أبرق،[3] الجراب) رعياً لا سقياً.

٠٦ـ٢٠: يوم الأحد منه إلى (مقطاع جراب) سقياً ورعياً على آبار كريهة اللون والطعم والريح.

١٠ـ٢١: يوم الاثنين في (أبرق جراب) رعياً.

١٢ـ٢٢: يوم الثلاثاء منه إلى (الدّحول)،[4] سقياً من مياه الأمطار مجتمعة في غار جبل.

٠٣ـ٢٣: يوم الأربعاء منه إلى (أبرق الدّحول) رعياً فقط.

الربيعية مهنا بن صالح أبا الخيل الذي كان يمتلكها. ويكيبيديا الإلكترونية.

١. الزلفي: تقع مدينة الزلفي في إقليم نجد في أقصى شمال منطقة الرياض على الحدود القصيمية الشرقية، وتبعد عن مدينة الرياض مسافة ٢٦٠كم تقريباً شمالاً، وهي مدينة عامرة كبيرة ذات أسواق تجارية ونخيل ومزارع وذات أحياء متباعدة تقريباً، ... معجم اليمامة، مصدر سابق: ٥٢٩.

٢. لا تعد الزلفي من بلاد القصيم.

٣. أبرق أو الأبراق، والبرقا، يطلق على التي شمال النير من أواسط نجد... والأصلُ في البرق اختلاط لوني البياض والسواد، ثم توسع فيه فأطلق على كل لونين اختلطا، وهي حجارة يخالطها الرملُ، ... معجم اليمامة، مصدر سابق ١: ٤٨.

٤. الدحول: مفردها الدِّحْل: وهي فتحة طبيعية في الأرض، يمكن للإنسان الدخول منها والسير بطرق متعرجة ومنحدرة تضيق وتتسع وتصل غالباً إلى مياه. وجمعه دُحُول، ...نقب في الأرض، ومن أشهر دحول الصمان: دحل أبا الجرفان ودحل أبا السيقان ودحل أبا الضيان وغيرها عشرات الدحول.

١٢ـ٢٤: يوم الخميس منه إلى (الصمان)،[1] لا ماء ولا مرعى.

٠٦ـ٢٥: يوم الجمعة منه إلى (اللصافة)،[2] على آبار وأقمنا بها يوم السبت.

١٠ـ٢٧: يوم الأحد منها إلى (القرعاء)،[3] الخالية من الماء والمرعى.

٢١ـ٢٨: يوم الاثنين في (أبرق القرعاء).

١٠ـ٢٩: يوم الثلاثاء نزلنا قرب (الكويت) مرعى لا ماء.

١٠ـ٣٠: يوم الأربعاء نزلنا (الكويت)، [وهي] بلدة معمورة خالية من البساتين والنبات قليلة المياة، على جانب البحر، وأقمنا بها يوم الخميس وصلينا بها الجمعة.

الساعة: [شهر] ربيع:

٠٥ـ٠٢: يوم الجمعة بعد الصلاة تحركنا منها صحبة صاحب الرفعة مبارك الصباح،[4]

---

١ . الصُّمَّان: هي هضبة مستطيلة تقع في شرق شبه الجزيرة العربية وتمتد الهضبة من الربع الخالي جنوباً حتى الحدود العراقية شمالاً وذلك بطول ١٠٠٠كم تقريباً ويتراوح عرضها بين ٨٠ إلى ٢٥٠كم تقريباً، ويبلغ ارتفاع الهضبة ما بين ٢٥ متر عند حافتها الشرقية و ٤٠٠ متراً عند حافتها الغربية ويحدها من الغرب الدهناء ومن الشرق السهل الساحلي للخليج [الفارسي]، ويسمى القسم الجنوبي من الصمان بالصلب والشمالي بالصمان. الصّمّان، مصدر سابق ١ : ٩٢، ١١٣.

٢ . اللصافة: كانت تعرف قديما (لصاف) وقد أشتق أسمها من الصف وهو ثمر الشفلح الذى يشبه طلعه الخيار إلّا أنّ لونه أحمر، تقع شمال بلدة القرعاء بـ: ٢٠ كم، وتعد «شواجن» أو آبار اللصافة أحد أشهر موارد المياه في صحراء الصمان، وشكّلت يوماً من الأيام أهم تلك الموارد وملتقيات البادية، فهي من أشهر المناطق التي تقصدها القبائل البدويّة كمنطقة رعي للأغنام والإبل.

٣ . قرية تقع على طرف الصمان، في الطريق المتجه إلى الكويت.

٤ . الشيخ مبارك بن صباح الصباح (١٨٤٠ـ١٩١٥م)، حاكم الكويت السابع والمؤسس الحقيق لها. تولى الحكم في ١٧ مايو ١٨٩٦ ولُقب بـ: (مبارك الكبير). ازدهرت الكويت في عهده تجارياً، وشيدت فيها أولى المدارس النظامية، كما شُيد في عهده أولى المستشفيات الطبية.

إلى (الجهـرة)،[1] [وهـي] منتزه لأهل الكويت فيهـا قصر ونخيل قليلة.

٠٣ـ٠٤ : ليلة السبت ويومه مسرى إلى (اسـفوان)،[2] منتزه لأهل البصــرة نزلنا بقصر ذي الفضيلـة نقيـب أفندي فيها مياه كثيرة وبسـتان الأفنـدي المؤما إليه.

٠٤ـ٠٧ : يوم الأحد منه إلى البصرة بضيافة حضرة نقيب أفندي.

٥٩٨ : تكون ساعات المسير.

يـوم الاثنـين مسـاءً مـن البصرة ركبنـا (مركـب لنـدن) وتحركنا ليلـة الثلاثـاء بصحبة صاحـب العـزة نقيب زاده،[3] السـيد محمد سـعيد أفنـدي،[4] لزيارة حضــرة أفنـدي الوالي ـ حرسـه الله تعـالى ـ ونحـن، وجنـاب مبـارك الصباح بضيافة حضرة السـيد المؤمـا إليه،[5] في (الوابـور)،[6] المذكور.

---

١ . الجهـرة أو الجهـراء: مدينـة كويتيـة عامـرة، تقـع عـلى مسـافة ٣٢ كـم إلى الغـرب مـن العاصمـة الكويـت، وكانـت تعتـبر قديـماً امتـداداً لمنطقـة كاظمـه، اشـتهرت بآبارهـا العذبـة وزراعتهـا مـن النخيـل والخضــروات. الغنيـم، د. يعقـوب يوسـف دولة الكويـت الأماكن والمعـالم، مركز البحوث والدراسـات الكويتيـة: الكويـت، الطبعـة الأولى: ٢٠٠٤م : ١١٥.

٢ . الصحيـح (سـفوان)، ويقـال لهـا (صفـوان): مدينـة عراقيـة، تقـع في أقصـى جنوب العـراق قرب الحـدود العراقيـة ـ الكويتيـة، يقابلهـا في الجانـب الكويتـي منفـذ العبدلي الحـدودي. يقع قـرب بلدة سـفوان جبـل سـنام. وهو مـن المرتفعـات القليلـة في تلـك المنطقة.

٣ . (نقيـب الجيـش) هو الـذي يتكفل بإحضار ما يطلبه السـلطان مـن الأمراء وأجنـاد الحلقة ونحوهم. (زاده) كلمـة فارسـية تـأتي بعـدة معـاني منها: أرسـتو قراطـي، فارس، قطـب، نبيل. معجـم الألفاظ التاريخيـة في العـصر المملوكي، مصدر سـابق: ١٥٢.

٤ . هـو محمـد سـعيد باشـا الموصـلي، تـولى إدارة لـواء نجـد (الحسـا) لثـلاث فـترات الأولى (١٢٩٥ـ١٢٩٦هــ)، والثانيـة (١٢٩٨ـ١٣٠٢هــ)، والثالثـة (١٣١٤ـ١٣١٨هــ)، ومع ذلك كانت عليـه تجـاوزات ومخالفـات. الأوضاع السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة في إقليم الأحسـاء، : ٢٢١.

٥ . أي المشار إليه.

٦ . كلمـة تركيـة تكتـب (بابـور) وتكتـب بالتركـي (Vapur) ومعناهـا باللغـة التركيـة هـو: السـفينة البخاريـة القديمـة.

[عدد ساعات سير الرحلة] ساعة،[1]:

٠٦٤: من الأحساء إلى الرياض.

١٨٣: من الرياض إلى مكة المشرفة.

٠٩٧: من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

١٠٠: من المدينة المنورة إلى عنيزة.

١١٧: ومن عنيزة إلى الكويت.

٠٣٦: من الكويت إلى البصرة.

١٠١: من البصرة إلى بغداد.

٦٩٨: تكون الساعات.

تمت والحمد لله على التوفيق.

فهذا ما كان أمر ذهابي وإيابي وأنا أسأل الله تعالى الذي لا يخيب سائله ولا يحرم قاصده نائله، أن يديم أيام دولة مولانا السلطان الأعظم،[2] الخاقان الأفخم، سلطان السلاطين،[3] وحامي ذرى الملة والدين، ويؤيد دولته، ويخلد ملكه، وأن يوفق حضرة أفندينا الذي ماشق أحد من أمثاله لسعيه غبار، ولا بلغ مدى جرية أثر له من الآثار، وهذا حديث يأكل الأحاديث في كلّ شجر نار، وأن يجعله دائماً مسهلاً لأمور هذه الملة

---

١. يقصد الساعات التي استغرقها الطريق في التنقل بين هذه المناطق.

٢. السلطان الأعظم: ورد هذا اللقب من ألقاب سليمان القانوني، سليمان بن سليم خان الأول (١٤٩٥ـ١٥٦٦). الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٤١.

٣. سلطان: لقب من الألقاب التي استخدمها الحكام في الدولة العثمانية ابتداء من عهد السلطان يلدرم بايزيد، أما سلطان السلاطين فهو من الألقاب التي أطلقت على سليمان القانوي. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ١٣٥، الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٩٨.

المحمدية، والفرقة الناجية الإسلامية، مولاي وملاذي صاحب الدولة السيد مدحت باشا، كان الله لـه وحماه مـن كل ولَه.

في ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٨٨هـ، وأنا الفقير إلى الله عزّ شأنه سعدي زاده، السيد داود».

الطريق الرابع: طريق الحاج في الشعر الأحسائي :

لم يقتصر الاهتمام والعناية بطريق الحاج الأحسائي على النثر والوصف الجغرافي الصرف، بل دخل مجال الأدب والشعر، ليحلّق بكفي سماء الخيال، فيصف الشاعر الأحسائي عبد اللطيف بن عبد الوهاب آل بوبشيت الجفري (ت: ١٤٠٣هـ)، في كتابه (هداية المسالك لمؤدّي المناسك)، والتي تعرّض فيها لطريق الحاج الأحسائي الراكب على الإبل من الأحساء إلى مكة المكرمة مروراً بالدهناء إلى الرياض ثم فيافي القصيم إلى منطقة الحجاز بوصف جميلٍ ورشيق، نورده لتعم الفائدة:[1]

يا قاصداً أرضَ الحجاز مؤدّياً ... لفريضةٍ ثَبَتَتْ من القرآنِ
وتؤمّ للبيتِ العتيقِ تزورهُ ... فاعرفْ طريقَك واستمعْ لبياني
من (هَجْرِ) للخطِّ الحديدِ مما شياً ... فتمرُّ بالدهناءِ والصمَّانِ
و(التوضحيةُ) عن يسارك حولها ... ماءٌ لذيذٌ بالحلاوة هاني
و(الخرج) يأتي عن يسارك بعدها ... مأوى الكرام ومنزلُ الشجعانِ
أعني (الرياضَ) فقد زهت بقصورها ... وحدائق وشوارع ومباني
فاقت بمنظرها العجيبِ وحسنها ... ما شاده كسرى من الإيوانِ
وارحل.. تمرّ بطلعةٍ منحوتةٍ ... من صخرةٍوأنزل إلى الوديانِ

---

١ . المطلق، عبد الله حمد، البوابة الجنوبية للأحساء: الطرف في ماضيها وحاضرها، الرياض: [د. ن]، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ٤٦٨.

بـين المـروجِ وحسـنها وجمالهـا ... بمـزارعٍ تزهـو مـن الألـوانِ
حتـى تشاهد بلـدة معمـورة ... وتـرى (الكميـت) إلى (مـراة) داني
وتمـرّ (شـقرا) ثـم تـأتي بعدهـا ... أرض (النفـوذ) وناعـم الكثبـانِ
و اتـرك لخفّ لا تمـر فبعـدُهُ ... ريقُ النبـات ومنهـلُ الظمـآنِ
انـزل (عفيفـاً) و(الدفينـةَ) بعـدهُ ... أرضٌ عليهـا مرتـعُ العربـانِ
ثـم (المويـه) فـ(ركبـة) مـع عرقهـا ... و(عشـيرة) وانـزل مـن الريعـانِ
ولتـأتِ للميقـاتِ فاحـرم عنـده ... (قـرن المنـازل) واغتسـل بأمـانِ
ميقـات نجـد والكويـت وهجرنـا ... مـعْ كلِّ شرقـيٍّ مـن البلـدانِ
يَمَـنٌ (يَلَمْلَـمُ) فالعـراقُ بعرقِهـا ... الشـام حجّـةُ ثـمّ للسـودانِ
وكذلـك المصريُّ يحرم عندهـا ... أو (رابـغٌ) حتـماً بـدن تـوانيِ
و(حليفةٌ)لأهـل المدينـةِ والـذي ... مـن حولهـا يـأتي فخُـذْ ببيـانِ

بعـد هذه الرحلـة الممتعة والأجواء الجميلة التي عشـناها مع الشـاعر البوبشـيت وهو يتنقـل بنـا مـن ديـار إلى ديـار ونحـن نيمّـم شـطر الأراضي المقدسـة حيـث مكـة المكرمة والمدينـة المنـورة، نجـد أن الشـاعر ألمـح في قصيدتـه إلى عدة نقـاط مهمة نذكـر أبرزها:

خطـة السـير والمنـازل التـي يسـلكها الحـاج الأحسـائي مـن حـين مغادرته الأحسـاء إلى مكـة المكرمـة، وهـي كالتـالي:

يبـدأ الطريـق مماشـياً لطريق سـكة الحديـد القديم لقطار الحجـاز إلى أن يصـل إلى بلدة (التوضحيـة) مـع جعلهـا في جهـة اليسـار، ثـم إلى (الوديـان والمـزارع) إلى أن تصـل بلدة (الكميـت)، ثـم إلى (مـراة)، ثم (شـقراء)، ثـم تأتي (صحـراء النفـوذ)، ثـم (الدوادمي)، إلى أن يصـل (الجبـلان)، ثـم (قاعية)، ثـم (عفيف والدفينـة)، ثم (المويـة)، ثـم (ركبة)، ثم (عشـيرة)، ثـم الميقـات (قـرن المنازل)، بعـده مكة المكرمـة وهي نهايـة الرحلة.

وهـي تعـادل حـدود ١٦ منـزلاً، يقف عندهـا الحـاج أو يمرّ عليهـا في طريقـه إلى مكة المكرمة.

* إنَّ الحـاج في طريقـه إلى مكة المكرمة يحـرص على الوقوف والاسـتراحة عند مصادر الميـاه الصافيـة، وذلـك بغـرض التـزوّد منهـا وإرواء الـدواب بعـد مشـقة الطريـق وعناء السـفر، وعـدم النفـوق تعباً وعطشـاً، لذا أشـار الشـاعر إلى الأماكـن المهمـة والتي يكون الحـاج بحاجـة للتعرّف عليها والاسـتفادة منهـا ليكون على درايـة تامّة بمعـالم الطريق إلى الديـار المقدسـة، فذكـر (التوضحيـة) والتي تتمتـع بالماء العـذب الزلال، فقـال عنها:

و(التوضحية) عن يسارك حولها ماءٌ لذيذٌ بالحلاوة هاني

ثم منطقة الرياض، حيث يتصف أهلها بالسخاه وإكرام الضيف، فقال عنهم:

و(الخرج) يأتي عن يسارك بعدها

مأوى الكرام ومنزلُ الشجعانِ

أعني (الرياضَ) فقد زهت بقصورها

وحدائق وشوارع ومباني

ثـم إلى المـزارع والوديـان التـي تـلي الريـاض، حيث تتوفـر المراعـي الخضـراء والمياه الصافيـة، كـما ذكـر (الدوادمي) التـي فيهـا «ريـق النبـات ومنهـل الظمـآن»، كـما ذكـر (الدفينـة)، وهـي من المناطـق التي تتوفر فيها مصادر الحياة التي لا يسـتغني عنها المسـافر، فقـال في شـأنها «أرض عليهـا مرتـع العربان».

ولهـذا نلحـظ أنّ الشـاعر إضافـة إلى توضيح المنازل التي يسـير عليهـا القاصد إلى مكة المكرمـة فـإنَّ ما ذكـره يعتـبر خارطةً للطريق لو سـار وفـق المناطـق والمنازل المشـار إليها، وهـذه الخارطـة تضمـن عـدم انحـراف الحـاج عن الجـادة، حيث أعطـى تصـوّراً ورؤيةً عـن بعـض هـذه المعـالم ومـا تمتاز بـه عن غـيره، فبعضهـا أشـار للـماء، والبعـض المراعي الخضـر والمراتـع الخضـر، ومنهـا تمتاز بالسـخاء وإكـرام، وهـي في مجموعها تعـدّ لفتات

وتوجيهات مهمّة نابعة من تجربة ومعرفة.

* هناك منازل يمرّ من خلالها الحاجّ أو بقربها؛ لكن ينصحه الشاعر من واقع التجربة بتجنّب الوقوف عندها وشرب الماء فيها، والتي منها (خف) فقال: «واترك لخف لا تمر»، كما ذكر منطقة أخرى ماؤها مر، وهي (قاعية) فقال عنها:

(قاعية) لا تقربنَّ مياهها   مرّ فلا يحلو إلى العطشانِ

وهي توجيهات مهمة يلحظها الحاجّ ويهتمّ بها، ولا يحتاج لهدر الوقت بالوقوف عندها وهو في أمس الحاجة إليه لإدراك موسم الحج.

* إنَّ الرحلة تكمن أهميتها في كونها تجسّد تجربةً حية عن طريق الحاج، ونموذجاً لما يسلكه الأحسائيون في طريقهم إلى مكة المكرمة، وقد تخللها بعض الوصف لمناطق الرحلة، يتعرف القارئ لها عن بعض معاناة الطريق.

الفصل الثاني، الطريق غير المباشر :

يتألف الطريق غير المباشر من مجموعة من الدروب والطرق التي وردت في المصادر وقد قسّمناها إلى مرحلتين:

* المرحلة الأولى من الأحساء إلى اليمامة:

وهي تشكل ثلث الطريق وبالماء والزاد، وانما قد يتوقف في موضع وفي رحلة أخرى يتوقف في موضع آخر.

إنّ هذا الطريق يمثل طريقاً واحداً أو عدة طرق تبعاً لرحلة الحاج، وهو يختلف عن الطرق الأخرى التي أتينا على ذكرها، مما يعني أن الحاج الأحسائي، يسلك طرقاً مختلفة في رحلته إلى الديار المقدسة تبعاً للأوضاع الأمنية، وتقلبات الطقس، أو لخبرة الدليل بالطرق، بملاحظة أن الرحلة تختلف في بعض أجزائها ومنازلها تبعاً لرؤية

الدليـل و قائـد الرحلـة الذي قـد يعدل برأيه مـن منطقة إلى أخـرى وفقاً لتجاربه السـابقة أو لرؤيتـه المسـتندة على ظـروف مؤاتية أثنـاء الرحله.

من محطّات الحاجّ إلى الحرمين :

سـلك الحاج الأحسـائي و السـائرون على دربه عـدّة طرق مختلفة قـد تتقاطع في بعض المناطـق و قـد تختلف، و قد ورد ذكرهـا في المصادر التاريخية بأنها من المناطق التي يسـلكها الحاج الأحسـائي في الذهاب أو العودة.

وهـذه الطـرق فرضتهـا العوامـل الطبيعيـة لها من حيـث وفرة المـاء والـكلأ، وكذلك توفّـر عنـصر الأمـن و الأمان فيهـا، نوردهـا تباعاً وفـق ذكرهـا في المصادر:

ثادق:

تقـع في الجـزء الشـمالي الغـربي مـن منطقـة الريـاض، تتبعهـا إداريـاً بامتداد طـولي من الشـمال إلى الجنـوب بنحـو (١٥٠ كـم)، ومـن الـشرق إلى الغرب بنحـو (٥٠ كـم) تقريباً.

وتعتـبر محافظـة ثـادق عاصمة إقليم المحمـل، وتتبعهـا إدارياً عدة بلـدات صغيرة ورد ذكـر بعضهـا ضمـن طريـق الحاج الأحسـائي، وهـي: رغبـة، البـير، الصفـرات، الحسي، رويغب، مشـاش السـهول، رويضة السـهول.

وتمتـد محافظـة ثـادق من الشـمال حتى محافظـة المجمعـة، ومـن الجنوب حتـى محافظة حريمـلاء، ومـن الـشرق حتـى الحظافـة والملتهبة، ومـن الغرب حتـى محافظة شـقراء.

حظيـت بلدة ثادق بمـرور بعض قوافل الحج الأحسـائية المارة بالعـارض (الرياض)، فـكان ممـن توقف فيها الأمير سـعودن آل غريـر رئيس بني خالـد بعسـاكره في قافلة الحج الأحسـائية المتجهة إلى مكة عام ١١١٩هـ.[١]

---

١ . تاريخ ابن بشر، مصدر سابق: ٣٥٥.

حائل:

حائل مدينة تقع شمال نجد و هي من المناطق الوسطى، وتشتهر حائل بالجبلين الشهيرين جبل سلمى و جبل أجا. تقع مدينة حائل في منطقة جبل أجا غربي وادي الأديرع، وفي قلبها تقع بئر سماح المشهورة بغزارة و عذوبة مياهها.

وتمتد المدينة على شكل قوس حول جبل السمراء كما يحدّها شرقاً شعيب المليح المعروف باسم المليحية، ويحدّها من الشمال والغرب جبل أجا.

هذه المنطقة مما أشارت المصادر أنها ضمن مناطق طريق الحاج الأحسائي التي ارتبطت ببعض الحوادث منها:

ففي مطلع القرن الرابع عشر، سار الشيخ على بن محمد بن موسى الرمضان (١٢٥٣ـ ١٣٢٤هـ)، في زعامة قافلة للحج، فمرّوا بطريقهم بمدينة حائل، وفيها استضافهم وزير أميرها ابن رشيد، فلمّا أرادوا الرحيل منهم كان خروجهم ليلاً فلما تركوا البلاد خلف ظهورهم أغار عليهم بعض الأعراب، ولم يترك عندهم صغيرة ولاكبيرة، فأنشأ الشيخ الشاعر الرمضان قصيدة بعث بها إلى الوزير قال في مستهلها:

ومنهم من يعشّي الضيف ليلاً   وينهب رحله قبل الصّباح

ولحسن الحظ ركب الوزير خلف الجناة، واسترجع عليهم ما أُخذ منهم من البُداة.[1]

العارض (الرياض):

ففي العراض يجتمع كثير من الحجاج القادمين من شرق الجزيرة العربية كمنطقة البحرين والأحساء، حيث يقوم الحجاج أثناء مرورهم بالتوقف في العارض التي اشتهرت منها محلة كان يمكث فيها هؤلاء الحجاج و يتزودون منها بالمؤن ويبيتون

١ . آل ابي‌خمسين، الشيخ محمدباقر بن موسى، علماء هجر و أدباؤها في التاريخ، تحقيق: أحمد عبدالمحسن البدر، نسخة خطية ٢ : ٨٨.

فيها بـ: (خـان جليلة).[1]

و (خـان جليلـة) هـو محلّـة قامت ابنـة أمير الريـاض (العـارض) حجر اليمامـة حليلة بنـت عبدالمحسـن بـن سـعيد الدرعـي الحنفـي بالعنايـة بهـا وإيقافهـا عـلى الحجـاج و ما يحتاجونـه منهـا، وقـد مدحهـا شـاعر الرياض جمعيـش اليزيـدي الحنفـي بقوله:

جليلـة معـروف الحسائي إلى حتـى عـذوق نواميهـا سـواه البواكـر

ودافي ذراهـا في شـتاها إلى سرى مـن الشـرق هبّـات الريـاح البواكر

فمـن لا يـؤدي حقهـا في ربوعهـا بضـرب الهنـادي و احتـمال الجرايـر

يمـوت عـلى غبن كليـلٍ مـن العمى وعقـب العمـى غـدا إلى النـار صاير

و في السـتينات الهجرية من القرن الرابع عشـر، كان كثيرٌ منهم يبيتون في مسـاجدها، ثـم يواصلـون رحلهـم منطلقين منها، وقد اسـتقرت بعـض الأسر الكريمـة في هذه الجهة منـذ حقب طويلـة نتيجة لهـذا العامل.[2]

وفي عـام ١١٢٧هــ، مـرَّ العارض حاجاً للأحسـاء وأمـيره ابن عفالق و تـزود بالمؤمن الغذائية، وبيع صاع السـمن بمشـخص، والطـلي بأحمرين.[3]

وكذلك سنة ١١٣٣هـ، في صفر مر حاج الأحساء على العارض و أميره سيف بن جبر.[4]

---

١ . خـان جليلـة: هـي المكان المعروف في الريـاض اليـوم بـ (خـان شـليلة) و حرّف الاسـم لسـهولة النطـق. وتقـع في شرق وادي الوتـر مـن جهة منفوحة. حيـث إن أقدم مـا اطلعت من إشـارة إلى هذا الاسـم (خـان شـليلة) في القرن الثالث عـشر الهجري كما في إحـدي الوثائق. وللجليلة أخت تسـمى مريـم والتـي وهبـت لهـا نصيبها مـن حديقة الكبيشـية في مقـرن (الريـاض)، قبل عـام ٩٦٩ هــ، و أحفـاد مريـم اليوم هـم أسرة آل عسـاكر في الريـاض من الـدروع من بني حنيفـة. قوافل الحـج المارة بالعـارض، مصدر سـابق: ٨٦.

٢ . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٨٥ ـ ٨٧.

٣ . تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ١١٩.

٤ . تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٩.

العارض وراء الوشم، والوشم هو الذي ينتهي إليه آل فضل إذا توسّعوا في البرّ، وهم بنو زياد، والجميلة، وعرب الخرج و هم العقفان والبرحان، ومن بلادهم: البريك والنّعام، و [هما] قريتان في واد منيع إذا حصّن مدخله بسور كان أمنع بلاد الله.

عليه طريق ركب الأحساء والقطيف، و فيه يقول بعضهم:

لعلك توطيني نعاماً وأهله ... ولو بانَ بالحجّاجِ عنه طريقُ.[1]

عَقْلانَة: منطقة قريبة من ضرية على مسيرة ثلاثة أميال، ماؤها عادية كانت لكلب ثم صارت لبني كلاب قرب عفلان.

والعفلانة ماء لبني وقّاص من بني كعب بن أبي بكر ابن كلاب وحذاءها أسفل منها عين المحدثة، فيها سقاء للغنم وهي منطقة على طريق حاجّ اليمامة بهما يسقون وينزلون حيث يضعون أمتعتهم، وبين النبعين ثلاثة أميال.

والعفلانة: بين المحدثة وبين القبلة، وعين المحدثة، وتعد من المنابع التي يستفيد منها الرحالة والحجاج.[2]

العيينة: العيينة قرية تقع على وادي حنيفة في منطقة العارض بوسط نجد، تبعد حوالي ٣٥كم عن مدينة الرياض، وهي تشكّل مع جارتها الجبيلة «مركز العيينة والجبيلة» التابع لمحافظة الدرعية.

وتشتهر العيينة بالزراعة و ذلك لتوفر المياه فيها، ويعمل سكانها ـ والذين هم مزيج من الحاضرة والبادية ـ في الزراعة وتربية المواشي.

تمرّ قوافل الحج الأحسائية ببلدة العيينة، حيث أشار ابن شدقم إلى قصيدة قالها

---

١ . العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبوظبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ٤ : ٣٥٣.

٢ . معجم البلدان، مصدر سابق ٤ : ١٣٢.

الأمير حمزة العامري مادحاً الأمير كبش بن منصور ابن جماز الحسيني (ت ٧٢٨ هـ) حيث كان اتجاه حمزة العامري في طريقه للمدينة قادماً من الأحساء بعد مروره على هذه البلدة فقال:

قلت الشريف ابن الشريف أزروه — فأنحيتُ من حول العيينة ضمَّراً
ابن الرسول ابن البتول ابن الولي — يرفلنَ أرفال النعامِ الجفّلِ[1]

كما أنها محطّة يمكن الاستراحه فيها والتموّن منها، كما حدث في عام ١١٢٠ هـ، إذ نزلت قافلة الحجّ الأحسائية العيينة في طريق العودة من مكة، وكانت بقيادة نجم بن عبيدالله بن غرير.[2]

ولهذا فإنّ هذه البلدة (العُيينة) تعدّ من أهم البلدات التي ينزل بها الحجّاج والعابرون من الأحسائيين، سواء كانوا ذاهبين إلى مكة المكرمة بقصد الحج والتعمّر، أو المدينة المنورة بقصد الزيارة، وذلك نظراً لما تتمتّع به هذه البلدة من موارد طبيعية جاذبة.

النَّعام: نعام بلدة صغيرة في منطقة نجد، تتبع محافظة الحريق التابعة لمنطقة الرياض. تقع على وادي نعام الذي تقع عليه أيضاً بلدة الحريق. ونعام بلدة قديمة عرفت بهذا الاسم من قبل الإسلام.

والنَّعام، و [هما] قريتان في واد منيع إذا حصّن مدخله بسور كان أمنع بلاد الله. قال ابن عرّام:

«وإلي هذا الوادي أزمع تنكز على الهرب حين خاف من الملك الناصر، وعليه طريق ركب الحسا، و عليه ممرّ الركب من الحسا والقطيف، و فيه يقول بعضهم:

---

١ . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق : ٨٧.

٢ . ابن ربيعة، مدعا، تاريخ ابن ربيعة، تحقيق: د. عبدالله بن يوسف الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية: الرياض، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م: ٨٠.

لعلك توطيني نعاماً وأهله ولو بانَ بالحجّاجِ عنه طريقُ»[1]

الوبـاءة: موضـع في وادي نخلـة اليمانيـة، عنـده يكـون مجتمع حـاجّ البحريـن واليمن و عـمّان والخط.[2] وهـو واد يصبّ فيـه يدعان وبه مسـجد لرسـول الله صلى الله عليه وآله و به عسـكرت هـوازن يـوم حنـين ويجتمع بـوادي نخلـة الشـامية في بطن مـر و سـبوحة وادي يصب في اليمامـة عـلى بسـتان ابن عامـر وعنده مجتمـع نخلتـين وهو في بطـن مرّ.

ونخلـة واد مـن الحجـاز بينه وبـين مكة مسـيرة ليلتين، أحـد الليلتين مـن نخلة يجتمع حـاجّ اليمـن ونجد ومـن جاء من قبـل الخط وعـمان والبحريـن مجتمع حاجهـم بالوباءة، وهـي أعـلى نخلة، وهي تسـمى النخلـة اليمانية وتسـمّى النخلـة الأخرى الشـامية، وهي التـي تسـمّى ذات عـرق، وأمـا أعـلى نخلـة ذات عـرق فهـي لبني سـعد بـن بكـر الذين ارضعـوا رسـول الله صلى الله عليه وآله، وهي كثيرة النخل وأسـفلها بسـتان ابن عامـر و ذات عرق التي يعلوهـا طريـق البصرة وطريـق الكوفة.[3]

العقير الواجهة البحرية للأحساء:

يُعـدّ ميناء العقـير مـن أهـمّ المـواني شرقـي الجزيـرة العربيـة، فهـو يقع شرقـي مدينة الهفـوف عـلى بُعد مسـيرة ١٢ سـاعة بالجمال، وعلى مسـافة ٤٠ ميـلاً،[4] عن مدينـة الهفوف في اتجـاه الجنـوب الغربي.

ويعتـبر البوابـة البحريـة للأحسـاء و وسـط الجزيـرة العربيـة كنجـد وغيرها، كـما أنه يتمتـع بتاريـخ حافـل في مجـال التوريـد والتصديـر، وهـو مـن أقـدم المـواني في العصـور

١ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مصدر سابق ٤ : ٣٥٣.

٢ . معجم البلدان: مصدر سابق ٥ : ٣٥٩.

٣ . شراب، محمد محمـد حسـن، المعالم الأثيرة في السـنة والسـيرة، دار القلـم: دمشـق، الطبعـة الأولى: ١٤٠٠هـ، ٢ : ٢٦٦.

٤ . الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء، مصدر سابق : ٣٢٩.

الإسـلامية، فالبواخـر تأتيـه مـن الهنـد والصين وعـمان وهرمز وبـلاد فـارس وغيرها من المناطـق المختلفـة، إمـا للتجـارة استيراداً وتصديـراً، أو من أجـل قوافل الحـج التي تأتي مـن مختلـف البلـدان، لتسير عـبره إلى الديـار المقدسـة، و مـن ثم تعـود إليه.

وقـد لعـب ميناء العقـير دور الوسـيط في تجارة اللؤلؤ بـين الهند والصـين وبلاد فارس في تصديرهـا إلى نجـد و جنـوب الجزيـرة العربية ومكـة والمدينة، فقد كانت الأحسـاء من أبـرز المناطق التجاريـة التي تصلها البضائـع المختلفة وتصدرها إلى مختلـف أرجاء الجزيرة العربيـة، عبر الطرق التـي تربطها بأصقاع الجزيـرة العربية.

فهـو مينـاء تصدّر إليـه البضائع المتنوعة مثـل الأرز والسـكر والقهوة والهيـل من الهند والبـصرة و فـارس و عُمان والبحرين، و تغادره أسـبوعياً قافلة تجاريـة مكوّنة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جمـل إلى منطقـة الهفوف ونجـد، وأهمّ صـادرات المينـاء التمور والمنتجـات المتعلقة بهـا والحصر والحمير والسـمن والجلـود والعباءات.[١]

كما كان ميناء العقير يصدر الخيول العربية الأصيلة إلى الهند والتي عرفت بها الأحساء.

نقـل صاحـب كتـاب (مسـالك الأبصـار)، ـ مـن أعـلام القـرن الثامـن الهجـري ـ عـن: «علي بن منصـور العقيلي من أمـراء عرب البحريـن، وهم ممن يجلبـون من البحرين الخيـل إلى هـذا السـلطان [من سـلاطين الهنـد]؛ أنّ لأهل هذه البـلاد علامـة في الفريس، يعرفونهـا بينهـم، متـى مـا رأوهـا في فرس اشـتروه بما عسـى يبلـغ ثمنه».[٢]

و نقـل عـن نفس الأمير العقيلي عـن كثرة تواصـل العقيليين مـع الهند قولـه: «قال إنّ أسـفارنا مـا تنقطـع عن الهنـد و عندنا كثـير من أخبـاره و تواتـرت الأخبار عندنـا أنّ هذا السـلطان محمد بن طغلقشـاه فتح فتوحات جليلـه...».[٣]

---

١ . م. ن. : ٣٣٠.

٢ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مصدر سابق ٣ : ٥٩.

٣ . م. ن. ٣ : ٩٠.

وبغـضّ النظر عـن الجانب التجـاري للميناء والأهمية الذي يشـكّلها لسـكان الجزيرة العربيـة، وسـوف نتحدّث عن بعـض القوافـل العابرة من خلالـه إلى الحجّ.

فقـد أولـت الدولـة العثمانيـة مينـاء العقـير أهميـة كبـيرة واعتبرتـه أهـم مينـاء لإيالة الحسـا، لمـا كان يحتلـه هـذا الميناء من شـهرة واسـعة لقـرون طويلـة، في الجانـب التجاري والسياسي، فهـو البوابـة الرئيسية لوسط و شرق الجزيـرة العربيـة عـلى البحر، لـذا كان تاريخـه عريقـاً، و فاعـلاً لسـنوات طويلة.

ففي المصادر القديمة كان العقير فرضة الصين وعمان والبصرة.[1]

فمـما أشـارت المصادر سـنة ٩٨٠هـ، إلى أهمية هـذا الميناء والدور الـذي يؤديه في خدمة الحـاج، حيـث كان هـو الميناء الرئيس في الأحسـاء لاسـتقبال الحجاج القادمـين من الهند، وكافـة المناطـق الواقعة إلى الجنوب الشرقي للخليـج [الفارسي] تقريبـاً،[2] اضافة إلى الدور الاقتصـادي الذي كان يؤديه في الاسـتيراد والتصدير.

وكانـت الدولـة العثمانية فرضت رسـماً على الحجّـاج القادمين عـبر الخليج [الفارسي] مروراً بالأحسـاء في طريقهم إلى مكة المكرمة،[3] وكان مقدار ذلك الرسـم في سـنة ٩٨٣هـ، واحـد فلوري عـلى كلّ جمل ينضـم إلى قافلة الحج.[4]

وقـد اسـتمر هـذا الـدور العظيـم لمينـاء العقـير عـلى مـدى عـدة قـرون تتقاطـر عليه الوفـود المختلفـة لأداء فريضـة الحج، إما لقربهـا منه، أو لكونـه أكثر أمانـاً مـن ميناء جدة في بعـض الحقـب التاريخيـة، أو لأن طريـق الـبر الـذي يأتون عـبره من العـراق يكون غير سـالكٍ وعرضـة لهجـوم اللصـوص وقطّـاع الطريـق الذيـن ينشـط دورهـم مـع اقتراب

١ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٢٨٨.

٢ . م.ن. : ٢٨٨.

٣ . م.ن. : ٣٣٤.

٤ . م.ن. : ٣٤٨.

موسم الحج.

كما شهدت منطقة الحجاز في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي١٩١٣م/ ١٣٣١هـ، الفترة التي دخلت فيها الأحساء تحت الحكم السعودي الثالث بعد أن خضعت للملك عبد العزيز آل سعود حالةً من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي، حيث أصبح ميناء جدة غير آمن، وشعر الأشراف أن حكمهم على الحجاز إلى الزوال، الأمر الذي استشعره الحجاج القادمون من المناطق البعيدة عن طريق البحر.

لذا زادت حركة نقل الحجاجّ عبر الخليج [الفارسي] إلى العقير من العراق وإيران وعمان إضافة إلى الهند فأصبح العقير من أهمّ نقاط العبور لحجّاج تلك المناطق، وبخاصة في فترة ما قبل فتح الحجاز، حيث أعطت القدرة الإدارية للأمير عبدالله بن جلوي حاكم الأحساء من قِبل الملك عبدالعزيز سمعة طيبة لدى الحجاج القادمين عن طريق ميناء العقير.[1]

الفصل الثالث: السائرون على درب الحجّ الأحسائي

لا يقتصر طريق حاج الأحساء على أهالي شرق شبه الجزيرة العربية، وأنما كانت تتوافد عليه حجاج مختلف بقاع العالم التي ترى فيه طريقاً آمناً إلى الديار المقدسة، وقد استمرت مواكب الحج من خارج شبه الجزيرة ترد إلى الأحساء عبر ميناء العقير لمرافقة الحجاج فيها إلى بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وكانت مسيرتهم في قوافل كبيرة تحت حماية قوية حفاظاً لأمنهم وسلامتهم من قطّاع الطرق التي تترصد للحجاج في كل طريق و موطن.

يقول مايكل ن. بيرسون: «أشارت مدونة تاريخية برتغالية إلى أن منطقة الحسا (الأحساء) التي تضم ميناء البحرين والتي تبعد أربعين فرسخاً عن جزيرة البحرين،

---

١ . ميناء العقير، مصدر سابق: ٢٣٤.

كانت نقطة تجمع الفرس و عرب المنطقة لتتوجه إلى الحج، ويسافر هؤلاء ايضاً كالآخرين في قوافل، لأن طريقهم في هذه الحالة يعبر صحاري اليمن،[1] ويتعرّضون كثيراً لهجمات الأعراب أو البدو الذين يعيشون هناك، لذا فإن هناك حاجة إلى قوافل قوية الحماية».[2]

وإليك بعض الدول التي تتخذ من الأحساء طريقاً لبلوغ الديار المقدسة عبر ميناء العقير. وهي على النحو التالي:

البحرين:

المعروف أن أهل البحرين يسلكون في طريقهم للحج درب البحر، في معظم الأحيان تجنباً لمخاطر طريق البرّ. ويصحبهم بعض الهنود، وصولاً إلى جدة، ومنها إلى الساعدية حيث يحرمون منها ثم إلى مكة المكرمة وقد أكّد ذلك الشيخ أحمد السرحان، أنه قد سلك طريق البحر معظم علماء البحرين، فمما قاله في كتاب (مناسك الحج):

«... ويؤيد ذلك ويقويه فعل جملة من علماء عصرنا من المجتهدين ممن عرف هذا الطريق ـ طريق البحر عبر جدة ـ وسلك لا بأس بذكر أسمائهم ليكون المكلف على بصيرة في دينه لئلا يعرض عمله للفساد، فمنهم العلامة الأواه والدنا المقدس الشيخ علي بن المرحوم الشيخ عبدالله ـ نورالله مضجعهما ـ فإنه ركب البحر وسلك هذا الطريق مرات عديدة ولم يحرم من البحر وتجاوز الموضع وتوجه للساعدية، وأحرم منها وبصحبته جملة من (الحيدرآبادية) وغيرهم، أخبرني شفاهاً، وأخبرني شفاهاً، ألا من أحرم من البحر فعمرته باطلة، وكان يشترط على من يدفع له نيابة عن الغير ألا يحرم من البحر، وهذا معلوم من سيرته، وقد عرف الناس منه ذلك، ومنهم ذو المجد والشرف السيد محمد بن السيد شرف، فإنه لما حج لم يحرم من البحر و منع الناس من

---

١ . الصحيح وسط الجزيرة العربية.

٢ . الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية، مصدر سابق: ٩٩.

الإحـرام منـه أيضاً، ومنهـم العلّامة الأوحد الشيخ أحمد بن صالح، والسـيد عبدالقاهر، والعلّامـة الأوحـد السـيد نـاصر بن السيد أحمـد بن السـيد عبدالصمـد، ومنهم الشيخ حبيـب والشـيخ عيسـى وجملـة مـن علـماء البحريـن، [منهـم] عمّنـا الشـيخ، كالشـيخ محمدعـلي و ابنـه الشـيخ عبـدالله، والشـيخ أحمـد بـن حـرز [الجد حفـصي] وغيرهـم، مما يطـول الكلام بذكر أسـمائهم ـ نور الله ضرايحهم ـ ومنهم العالم المدقق السـيد عبدالحسـين الموجـود فعـلاً فإنـه لم يحرم من البحـر، و منع النـاس من الإحـرام، و توجه إلى السـاعدية وأحـرم منها.

ومنهـم علّامـة الزمـان السـند نـاصر عدنـان [الغريفـي] نزيـل البـصرة فعـلاً إلى غير ذلـك مـن أهـل العلـم و أهـل المعرفة».[1]

فهـو وإن كان بحثـه عـن الإحـرام مـن البحـر أو الـبرّ لمـن حج عـن طريـق البحر من جـدة، فإنـه يؤكد كثـرة من حج مـن علماء البحريـن بطريق البحـر دون الـبرّ. وذلك تجنباً لطريـق الـبرّ لمـا يتخلله من مصاعبـه و مخاطـره التي يعاني منهـا قوافل الحاج، إما لسـلبهم أو لفـرض عليهـم ضرائب باهظـة للعبور.

إلّا أنّ التوجـه الكبـير للطريـق البحري لا يمنع أن يكون طريق الـبرّ هو أحد الخيارات التـي كان يسـلكها حجاج البحريـن إلى مكة المكرمة سـواء في الذهاب أو العـودة، و ذلك لأسباب متعددة:

قد يكون اختلاف التكلفة بأنّ البرّ أقلّ كلفة من البحر.

الخيـار الأمنـي بمعنـى عـدم توفـر الأمـن في حقبـة زمنيـة على طـرق جدة، فقـد ثبت تربـص بعـض قطّاع الطرق بـين مكة المكرمة وجـدة، أو بـين المدينة المنـورة وجدة، حيث يذهـب الحـاج البحراني بعـد أداء مناسـك الحج.

---

١ . السـتراوي، أحمـد بـن محمد بـن سرحان البحـراني المتوفى بلنجة (١٣٧٠هـ)، مناسـك الحـج، المطبعة الشرقيـة: البحرين، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م: ٢٥ـ٢٦.

محدودية العدد للحجاج عن طريق البحر بما تسعه السفينة المتجهة إلى جدة، مما يجعل خيار البرّ سبيلاً آخر لمن كانت به رغبة ملحة على عدم تفويت موسم و بركة الوصول والبلوغ لبيت الله الحرام، بسبب عدم وجود مكان شاغر، أو غيرها من الأسباب.

فكانت الأحساء خيارهم للذهاب إلى الحج على طريقها، ضمن حجاج الأحساء، و تحت حمايتهم، وقد ذكرت المصادر المتفرقة لبعض الشخصيات العلمية البحرانية التي ذهبت أو قدمت من الحج عن طريق حاج الأحساء.

ومنها الحادثة التي ذكرها العلامة الشيخ يوسف بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرازي البحران (١١٠٧ـ١١٨٦هـ)، صاحب كتاب (الحدائق الناضرة) في حدائقه:

«أقول: قد أشرنا سابقاً إلى أنه لا يخفى على من تأمل جميع البلدان ولا شاهد أبلغ من العيان فإنه ليس شيء منها موافقاً للعلامات الرياضية التي حكموا بإفادتها العلم فضلاً عن الظن، فإني من جملة من تتبع ذلك لأني لما سافرت إلى حج بيت الله الحرام على طريق البحر رجعت على طريق البرّ، فاتفق أنّ جماعة الحجاج اتفقوا مع الأمير أن يمضي بهم إلى المدينة، فخرجنا من مكة المعظمة سائرين إلى جهة الشمال خمسة أيام حتى وصلنا إلى منزل يقال له (مران)، فوقع بين الأمير والحاج اختلاف في ما وعدهم، وطلب منهم مبلغاً زائداً، واتفق الأمر على عدم مغدي،[1] المدينة المشرفة والرجوع إلى الأحساء، فمشينا على الطريق المتوجهة إلى الأحساء، وكان مسيرنا إلى طرف المشرق، وكنت إذا جنَّ الليل أرى المسير على مطلع الثريا و هو ماثل عن نقطة المشرق إلى جهة الشمال كما لا يخفى، حتى وصلنا إلى منزل يسمى سديرة (السدير)،[2] فسافرنا منه

---

١ . أي عدم الغدو لها.

٢ . يقع إقليم سدير إلى الشمال من مدينة الرياض، ويبعد عنها حوالي ١٨٠ كم.

قاصديـن إلى جهة الشـمال ثلاثة أيام ثم دخلنا الأحسـاء، و الأحسـاء كالبحرين و القطيف قبلتهـا الآن عـلى نقطـه المغـرب، و ما ذكرنـاه من هـذا الانحراف الـذي شـاهدناه موافق لمـا ذكـره علـماء الهيئة، ممـا قدمنا نقلـه و مؤيد لـه مـع أنّ قبلة هـذه البلدان منـذ وجدت و دخلـت في الإسـلام في زمن النبـي صلى الله عليـه وآله».[1]

وهنـا أشـار إلى (السـدير) بأنهـا واحـدة مـن المناطـق التـي يمـر عليها حاج الأحسـاء للتـزود، كـما حـدد زمن المسـير مـن اليمامـة إلى الأحسـاء بثلاثـة أيام.

وكان ممـن سـار عـلى طريـق حاج الأحسـاء الشـيخ أحمد بن الشـيخ حسـن بـن محمد بـن علي بـن خلف بن إبراهيم بـن ضيف الله البحـراني الحويصي الدمسـتاني، وكان العلماء يسـتغلون الفـترة الزمنيـة الطويلـة التي يسـتغرقها الطريق في النقاشـات العلميـة، وتبادل الإجـازات الروائية.

يقـول الشـيخ عبدالمحسـن بـن محمـد اللويمـي في إشـارة لحصولـه عـلى إجـازة مـن الشـيخ أحمـد الدمسـتاني عندما سـار حـاج البحريـن مع حـاج الأحسـاء عن طريـق البرّ فقـال: «وهـو أول مـن أجـاز لي الرواية، وقـد اجتمعت معـه في رجوعي مـن مكة المشرفة بغـرة محرم الحـرام سـنة ١٢٠٥هـ».[2]

عـمان: مـن الطـرق التـي كان يسـلكها أهـل عُـمان للحـج الطريق يمـرّ عبر الأحسـاء إلى نجـد، وهـو عمـدة الطـرق المعـروف بطريـق البريمـي بـين عـمان والأحسـاء، حيث يصـل إقليـم عـمان بأرض نجـد طريق واحد بـري يخرج من نجـد إلى الهفوف بالأحسـاء، ثـم يتجـه جنوبـاً مـارّاً بواحة سـلوى جنـوبي شـبه جزيـرة قطر، ثـم يدخل سـاحل عمان الشـمالي، و أول مـا يلقـي في أرض عمان مـن عمران مدينة أبـو ظبي،[3] وقد قـرّر «لوريمر»

١ . البحـران، الشـيخ يوسـف، الحدائق الناضرة في أحـكام العترة الطاهرة، حققـه و علق عليه: محمدتقي الإيـرواني، دار الأضواء: بـيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٥م، ٦: ٤٠٦.

٢ . أعلام هجر، مصدر سابق ٢ : ٤٦٨.

٣ . إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٤٢.

أنـه يمكن قطع المسـافة بين الهفـوف والبريمـي في عشرة أيام، أمـا القوافل فتقطع المسـافة في مدة شـهر.[1]

وتعتـبر واحـة البريمي عمـدة طرق عمان لأنـه بوابته البريـة إلى وسـط و شرق الجزيرة العربيـة، وهـذا مـا يؤكّـده الجغرافي القديـم الشـهير بابـن السـباهي زاده (ت ٩٩٧هـ) في كتابـه: «اوضح المسـالك» حيـث يقول:

«وليس مـن العـارض ولا مـن اليمامة طريـق إلى عـمان، بـل الطريق من العـارض إلى الأحسـاء و القطيف ثم يسـير الإنسـان من الأحسـاء والقطيف على السـاحل إلى عُمان».[2]

ولعـلّ ما يميّـز هذا الطريق أنـه خاضـع للحماية العثمانية وحكاّم نجد من السـعوديين وآل رشـيد، مقابـل بعـض المبالـغ المالية، كـما أنّ الحكومـات المتعاقبة على حكم الأحسـاء كانـت تأخـذ طريـق الحـاج بعـين الأهميـة والعنايـة مـن قطّـاع الطـرق، لـذا كان يفضلـه الكثـير مـن حجّـاج الهنـد والعجم وغيرهـم، إضافـة للمناطق القريبـة من الأحسـاء. أما طريـق الحـجّ العـماني الـذي يسـلكه حجـاج عُـمان إلى المشـاعر، فأحدهما يتجه مـن عمان عـبر البريمـي ثـم إلى يبرين، ثـم إلى البحريـن، ومنهـا إلى اليمامة، ثـم إلى ضرية.

وتشـير المصـادر الجغرافيـة إلى أنّ «ضريـة» كانت ملتقـى حجاج البصـرة والبحرين، حيـث يفترقـون بعدهـا إذا انصرفـوا مـن الحـج، فيتجه حجـاج البـصرة شـمالاً وحجاج البحريـن باتجـاه اليمين، كما كان بإمـكان القوافل القادمة من عمان اجتياز منطقة الأحسـاء لتلتقـي بطريـق اليمامـة مكة المكرمـة، ويتبع أهـل عُمان أهل الإمـارات، سـواء في طريقهم عـبر الأحسـاء أو الطريق السـاحل الخيـار الآخر لهـم لبلوغ مكـة المكرمة.

قطر:

كانـت قطر لسـنوات طويلة على صلـة وثيقة بالأحسـاء، وليس لهم طريـق بري لبلوغ

١ . إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٤٢.

٢ . أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مصدر سابق: ٤٦٢.

مكـة المكرمـة إلّا عـن طريـق الأحسـاء، وهـذا الأمر بقـي إلى اليـوم، حيـث لا يوجد لهم طريـق إلى مكـة مسـتقلاً، وإنما يأتـون إلى الأحسـاء، ومنهـا يتجهـون إلى الديار المقدسـة، أمـا في الركـب الأحسـائي و في حمايتـه، أو مسـتقلاً بعـد أن يتم التـزوّد و أخـذ المؤونة من الإحسـاء؛ لتنطلق مسـيرتهم عـبر اليمامة.

الكويت:

تعتـبر الكويـت مـن أيـالاة التابعـة لأيالة الحسـا والتـي سـبقت الوجود العثماني سـنة ٩٥٧هــ ، وقـد لعبـت دوراً مهـمّاً في تسـيير الحجـاج إلى الديـار المقدسـة لـواء الباديـة، الـذي كان يتـولّى زعامتـه أمـراء من بنـي خالد، حيـث كان مكانهـم في الجهة الشـمالية من الأحسـاء، ويشـمل أجـزاءً واسـعة مـن الكويـت وصحـراء الصمّان.

وقـد كانـت الدولـة العثمانيـة تجـزل لهـم العطـاء، وكان الغـرض عنـد العثمانيـين من تأسـيس هـذه الإيالـة هـو عملية جذب هـذه الزعامـات إلى الحكـم العثـماني، وإشراكهم في الحفـاظ عـلى اسـتقرار الأوضـاع فيها.

إضافـة إلى السـيطرة عـلى القبائـل المتنقلـة ومنـع تهديدهـا، ومنـع تهديدهـا لطـرق المواصـلات سـواء التـي إلى البـصرة أو الديـار المقدسـة.[1]

لـذا مـن المحتمل أنه تـمَّ إقامة حاميـة عثمانيـة في الكويت يقيم فيهـا أمير لـواء البادية، أو أحـد أتباعـه و ذلـك للحفاظ على أمن وسـلامة المواصلات تنفيذاً لمتطلبات السـلطات العثمانية.[2]

وكان مـن أمـراء هـذا اللـواء آل عريعـر زعـماء قبيلـة بنـي خالـد، وتعاقب عليـه عدد مـن الأمـراء منهم: سـعدون بن حميـد (قبل ٩٧٦هــ) العثمانيـون في شرق وشـبه الجزيرة العربيـة، مصـدر سـابق: ٣٠٧. ابن حميد (غير سـعدون)، (٩٨٣هـ)، سـعدون بكي و هو

١ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٠٧.

٢ . م.ن. : ٣٠٨.

غير سعدون الأول (٩٨٤ ـ إلى بعد ٩٩٢هـ)، براك بن حميد (١٠٧٢هـ)،[١] وغيرهم.

كذلك الحجاج الكويتيون استفادوا من الوجود الخالدي لإيصالهم إلى الحج مقابل مبلغ من المال، و ذلك عن طريق صحراء الصمان ومنه إلى نجد في طريق حاج الأحساء، الذي تشمله الدولة العثمانية برعايتها و متابعتها خلال القرن العاشر، ثم استمر نفس الأمر و الوضع في القرن الحادي عشر بعد أن آل الحكم في الأحساء إلى بني خالد أنفسهم.

فكان ضمن موكبهم معظم حجاج الكويت بمختلف أطيافهم و أصولهم العرقية أو الجغرافية.

وتبعاً للحجاج القادمين من إيران والعراق كان حجاج الكويت يستأجرون عمال بني خالد المتواجدين في كوت الخوالد، وهي قلعة صغيرة، لحراستهم أثناء رحلات الحج التي كانت محفوفة بالمخاطر و عمليات النهب والسلب من قبل أهل البادية وقطّاع الطرق، لأن بني خالد كانوا مسيطرين على مناطق شاسعة من الجزيرة العربية فإنهم كانوا يقومون بهذه الخدمة لقاء أجر مادي.[٢]

بلاد فارس:

اعتمد العجم درب الحاج الأحسائي كأحد أهمّ الطرق للوصول إلى الديار المقدسة لما يتمتع هذا الطريق عن غيره من الطرق بالقصر والأمن التي كانت تسعى الحكومات المتعاقبة على الأحساء على توفيره للحاج، وهذه العلاقة تمتد إلى أقدم العصور، عرفنا منها ما يرجع إلى بدايات القرن التاسع الهجري، مما يعني أنّ العلاقة كانت قبل هذا التاريخ من القرن الثامن الهجري، منها ما وقع في أحداث سنة ٨١٣هـ حجّ من عراق

١ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٠٨.

٢ . جمال، د. عبدالمحسن يوسف، لمحات من تاريخ الشيعة في الكويت (من نشأة الكويت إلى الاستقلال)، دار النبأ للنشر: الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ٦٣.

العجم جماعة عن طريق الأحساء والقطيف.[1]

إذ كلمة (عراق العجم) يطلق سابقاً على عراق العجم منطقة جغرافية تشمل الأراضي الواقعة شرق (عراق العرب) بما في ذلك مدن مثل إصفهان والري وقزوين وكرمانشاه و تعرف هذه المنطقة أيضاً باسم إقليم الجبال تتضمن هذه المنطقة المناطق الجبلية الكردية والفارسية و الآذرية، وذلك خلال تلك الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر ميلادي.

كما كان يطلق اسم العراق على المنطقتين عراق العرب (المنطقة السهلية على حوض نهري دجلة والفرات)، وعراق العجم (المنطقة الجبلية) تسمية أرض العراقين، ويفصل بين المنطقتين سلسلة جبال زاگروس.[2]

وفي سنة ٨١٤هـ لم يحجّ العراقيون بركب، وحج منهم ناسٌ قليل من شيراز وغيرها من طريق الأحساء والقطيف، ضمن حجّاج البحرين الذي يتولى حراسته بنو عقيل.[3]

وقد استمر الركب الأحسائي هو من يتولى توصيل الحجاج العجم ففي سنة ٨١٥هـ، ولم يحج العراقيون سوى مجموعة قليلة منهم مع حجّاج البحرين.[4]

مع احتمالية أن يكون أمير الحاج الشيخ زامل بن حسين بن جبر أول أمراء الدولة العقيلية من سنة ٨٢٠ إلى سنة ٨٦٦هـ. و لعل ذلك قبل توليه الحكم.

وينقل على لسان محمد بن الحسن الحر العاملي قوله:

«وفي سنة ١٠٨٧ هـ، أخذت الأعراب حجاج العجم في طريق الحسا (الأحساء) بعد ما حجّوا و فُقِدَ منهم خلقٌ كثير، و كان فيمن فُقِد أخي الأصغر الشيخ علي،

---

١ . الدرر الفرائد المُنظَمة في أخبار الحاج و طريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١ : ٤٣٣.

٢ . موسوعة ويكبيديا الإلكترونية.

٣ . الدرر الفرائد المُنظَمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١ : ٤٣٤.

٤ . م. ن.

وَسَلَم أخي الأكبر الشيخ محمد، وكان قد مضى على طريق البحرين، ومعه ملا خليل القزويني الأخباري و جماعة»،[1] في إشارة إلى أنّ أخاه كان ضمن حجّاج العجم الذين ساروا لمكة المكرمة عبر الأحساء، فَفُقِد أخوه فيمن فقد، نتيجةً للظروف الصعبة لطريق الحاج.

حجاج الهند: كان حجاج الهنود يذهبون إلى الديار المقدسة من خلال عدّة طرق، منها عن طريق البحر من خلال ميناء جدة لقربه من مكة وأقل خطورة من غيره، ومنها طريق اليمن عدن حيث يأتون ضمن الركب اليمني، و تارة يأتون مع حجّاج فارس عن طريق البرّ مع حجّاج بلاد فارس مروراً بالعراق حيث يكونون ضمن ركب الحجّ العراقي على درب زبيدة.

ومن هذه الطرق التي يسلكونها عن طريق العقير حيث يذهبون مع الركب الأحسائي المنطلق إلى الحج، وكان هذا حال العديد من حجاج الهند كما تؤكده المصادر، ففي سنة ٩٨٠هـ، تذكر المصادر العثمانية عن أهمية ميناء العقير، والدور الذي يؤديه في خدمة الحاج، حيث كان هو الميناء الرئيس في إيالة الأحساء، لاستقبال الحجاج القادمين من الهند، وكافة المناطق الواقعة إلى الجنوب الشرقي للخليج [الفارسي] تقريباً.[2]

الباب الثالث: موكب الحج الأحسائي، دوره وإسهاماته، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الاوّل: أمراء الحاج الأحسائي.

الفصل الثاني: الرفادة والأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين.

الفصل الثالث: كسوة الكعبة تصنع في الأحساء.

---

١ . المصطفى، حسين علي، أعلام الشيعة في الحجاز من القرن الثالث إلى القرن الحادي عشر، دار المحجة البيضا: بيروت، أطياف: القطيف، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م ١: ٦٤.

٢ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٢٨٨.

الفصل الأول: أمراء الحج الأحسائي، تعريفات و مصطلحات:

من خلال المصادر التاريخية فإننا نجد أنه تم إطلاق مجموعة من المصطلحات على قافلة الحج الإحسائي، قد تختلف في المعنى حيناً، وقد تتشابه حيناً آخر، ولكنها تعطي انطباعاً بحجم قافلة الحج التي تتراوح في الكبر والصغر.

ومصطلحات فيها من الدقة و الجمال الشيء الكثير، وتعد مفتاحاً لفهم الواقع وطبيعة ركب أو قافلة الحج، فلكل مصطلح ظلاله و معانيه، إضافةً إلى أن الحركة التاريخية أعطت لكل زمن لغته ومصطلحاته المستخدمة والمتداولة في عصره، فمثلاً «المرحلة والفرسخ» تعدّان من مقاييس المسافات في العصور القديمة التي انعدم استخدامها اليوم، ويرد ذكرها في المصادر، لذا من الضروري كمدخل و قبل الولوج في الحديث عن الركب التعريف ببعض المعاني اللغوية، وإليك قائمة ببعض المصطلحات المستخدمة:

الرّكْبُ: في اللغة: ركب: ركب الدابة يركب ركوباً: علا عليها، والاسم الركبة، بالكسر، والركبة مرة واحدة. وكل ما علي فقد ركب وارتكب، وكل شيء علا شيئاً: فقد ركبه؛ وركبه الدين، ركب الهول والليل و نحوهما مثلاً بذلك.[1]

و قال بعضهم: الراكب للبعير خاصة، قال ابن السكيت و غيره: تقول: مرَّ بنا راكب، اذا كان على بعير خاصة، فإن اتيت بجمع يختص بالإبل، لم تضفه، كقولك ركب وركبان، لا تقل: ركب إبل، ولا ركبان إبل، لأن الركب والركبان لا يكون إلّا لركاب الإبل. غيره: وأما الركاب فيجوز إضافته إلى الخيل والإبل وغيرهما، كقولك: هؤلاء ركاب خيل، و ركاب إبل.

والركب ركبان الإبل، اسم للجمع؛ قال: وليس بتكسير راكب. والركب: أصحاب

---

١ . ابن منظور، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، دار صادر: بيروت، الثالثة: ١٤١٤هـ ١ : ٤٢٨.

الإبـل في السـفر دون الـدواب؛ وقال الأخفـش: هو جمع و هم العشــرة فما فوقهم.

قال تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.[1]

وقال ﷺ: «سيأتيكم ركيب مبغضون، فإذا جاؤوكم فرحبوا بهم».[2]

ومـن هنـا اشـتق المصطلـح مـن ركـوب الدابـة والاعتـلاء عليهـا، ويطلـق المفـرد (الرَّكْـبُ)، عـلى المجمـوع، فيقـال لهـم (رَكْـبُ).

في اصطـلاح: لفـظ يُطلـق عـلى العشرة فـما فوق مـن رُكبان الإبـل و الخيل في السَّـفر، وقـد تعـارف أهـل مكـة إطلاقهـا عـلى الوفـود القادمـة من خـارج مكـة، ومنهـا الركب الأحسـائي وركـب عقيـل والركب المـصري والركـب الشـامي و هكذا.

قافلـة:

في اللغـة: سـميت القافلة قافلة تفـاؤلاً بقفولها عن سـفرها الذي ابتدأته، قـال: وظن ابن قتيبة أن عوام الناس يغلطون في تسـميتهم الناهضين في سـفر أنشـؤوه قافلة، وأنها لا تسـمى قافلـة إلّا منصرفـة إلى وطنهـا، وهـذا غلـط، مـا زالـت العـرب تسـمى الناهضـين في ابتداء الأسـفار قافلـة تفـاؤلاً بأن ييسر الله لها القفـول، وهو شـائع في كلام فصحاتهـم إلى اليوم.

والقافلـة: الرفقة الراجعة من السـفر. ابن سـيده: القافلة القفال، إمـا أن يكونوا أرادوا القافـل أي الفريـق القافل فأدخلوا الهـاء للمبالغة، وإمـا أن يريدوا الرفقـة القافلة فحذفوا الموصـوف وغلبـت الصفـة على الاسـم، وهو أجـود، وقد أقفلهـم هو وقفلهـم، وأقفلت الجند مـن مبعثهم.[3]

القفـل: القفـول: الرجـوع مـن السـفر، وقيل: القفـول رجـوع الجند بعد الغـزو، قفل القـوم يقفلـون، بالضم، قفولاً و قفـلاً؛ و رجل قافل من قوم قفال، والقفل اسـم للجمع.

---

١ . سورة الأنفال: ٤٢.

٢ . لسان العرب ١: ٤٢٩.

٣ . م. ن. ١١ : ٥٦١.

التهذيب: و هم القفل بمنزلة القعد اسم يلزمهم. والقفل أيضاً: القفول. تقول: جاءهم القفل والقفول، واشتق اسم القافلة من ذلك لأنهم يقفلون، وقد جاء القفل بمعني القفول؛ قال الرّاجز:[1]

علباء أبشر بأبيك والقفل أتاك إن لم ينقطع باقي الأجل

وقد عرف في المصادر التاريخية باسم «قفل عقيل» عند رجوعها من الحج، كما شاهدناه في العديد من مواضع تاريخ الحاج الأحسائي.

المَحْمِلْ:

محمل أي موضع لتحميل الحوائج. وما على البعير محمل من ثقل الحمل،[2] والمحمل، بفتح الميم: المعتمد، يقال: ما عليه محمل، مثل مجلس، أي معتمد. وفي حديث قيس: «تحمّلت بعليّ على عثمان في أمر».[3]

قال الشاعر:[4]

توخّاه بالأظلاف حتى كأنّما يثير الكباب الجعد عن متن محمل

ويقال له الهودج، وكان في مواسم الحج يطلق على هيكل مغطي بقماش محملي أخضر كتبت عليه بالقصب آيات من القرآن يحمله جمل مزركش بأنواع الأقمشة والجلود و خيطت عليها الأصداف الصغيرة والمرايا، و كان يرافق المحمل أمير الحج.[5]

---

١ . م.ن. ١١ : ٥٦٠.

٢ . م.ن. ١١ : ١٧٦.

٣ . م.ن. ١١ : ١٧٦.

٤ . م.ن. ١٠ : ٢٤٣.

٥ . انظر العبد، حسن آغا، تاريخ حسن آغا العبد «قطعة منه» حوادث سنة ١١٤٦هـ إلى سنة ١٢٤١هـ، تحقيق: يوسف جميل نعيسة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي: دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م: ١٣١، حاشية رقم ١.

الموكب: في اللغة: الموكب: بابه من السير. وكب وكوباً و وكباناً: مشي في درجان، وهو الوكبان. تقول: ظبية وكوب، و عنز وكوب، وقد وكبت تكب وكوباً؛ ومنه اشتق اسم الموكب؛ قال الشاعر يصف ظبية:

لها أم موقفة وكوباً   بحيث الرقو مرتعها البرير

والموكب: الجماعة من الناس ركباناً ومشاةً، مشتق من ذلك؛ قال ابن قيس الرقيات:

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها   رأت بي شيبة في الرأس مني ما أغيبها

والموكب: القوم الركوب على الإبل للزينة، وكذلك جماعة الفرسان. وفي الحديث: «أنه كان يسير في الإفاضة سير الموكب».

الموكب: جماعة ركبان يسيرون برفق، وهم أيضا القوم الركوب للزينة والتنزه، أراد أنه لم يكن يسرع السير فيها. وأوكب البعير: لزوم الموكب. وناقة مواكبة: تساير الموكب. وفي الصحاح: ناقة مواكبة، للتي تعنق في سيرها.[1]

ركاب الإبل للزينة، والموكب الجماعة من الناس يسيرون ركباناً ومشاةً في زينة أو احتفال. والجمع: مواكب، وقد استخدمت هذه اللفظة بإطلاقها على جموع الحجيج القادمة إلى مكة المكرمة، وهي من المصطلحات التي أطلقها المؤرخون على قوافل الحجيج القادمة من الأحساء.

وقد وقع اختيارنا على استخدام (المَوْكِبُ). لأنه من المصطلحات الدارجة، والأكثر شيوعاً عبر العصور، وكان يطلق على الجموع الكبيرة الذاهبة إلى الحج.

الموكب الأحسائي ، ضخامة الموكب: وردت مجموعة من الإشارات التي تؤكد عظم وضخامة الموكب الأحسائي للحج، يمكن معرفتها من خلال الصور والمشاهد

١ . لسان العرب ١ : ٨٠٢.

التي كتب عنها مؤرخو الحجاز:

فالمؤرخ السخاوي في تاريخه (الضوء اللامع) ضمن حوادث سنة ٨٢٣هـ، يذكر قافلة (بني عقيل) حين مغادرتها الحجاز بعد أداء مناسك الحج، وأنها عائدة إلى بلاد البحرين،[1] مما يوكد أهمية الموكب العقيلي في موسم الحج وأن لوجوده حظوة، فأرّخ خروجهم لمعرفته بثقل وكيان الركب، في إشارة لما لهذا الموكب من منظر مهيب ومكانة في مكة بحيث يؤرخ ويكتب عنه.

كما تمثّل هذه الجموع الغفيرة مع الحج العقيلي كنوع من الحرص على تأمين الطريق من القبائل التي على طرق القوافل التجارية، و دليل على القيمة المالية التي تحملها تلك القوافل وقيمة بضائعها، واعتبارها مصدراً رئيسياً، من المصادر التي تعزز اقتصاد سلطنة الجبور ببلاد البحرين.[2]

ويأتي حجاج البحرين في مجاميع كبيرة بقيادة الأمير أجود الذي أكثر من الحج كما اشرنا سابقاً فيأتي مكة بالآلاف، وإذا وصل مكة فإنه يغدق على من في مكة بالبذل والعطاء،[3] وذلك أنَّ الأمير أجود بن زامل حرص منذ تولّيه السلطة في البحرين على الذهاب إلى الحج في كل عام ضمن موكب كبير، ففي سنة ٨٧٦هـ، ذهب إلى الحج، و كان معه أعداد كثيرة جدًّا،[4] وهي كلمة توحي أنّ العدد من مرافقيه بلغ عشرات الآلاف، أما الألف و الألفين لا يطلق عليها «كثير جدًّا».

ويؤكد ذلك أنه في سنة ٨٩٣هـ و حج الأمير أجود بن زامل، في نحو خمسة عشر ألفاً من الرجال، دون النساء، ولكبر العدد وحاجتهم لمكان واسع للجلوس والتوقف

---

١ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ٩ : ٢٥٦.

٢ . تاريخ البحرين و شرق الجزيرة العربية، مصدر سابق : ٤٦٧ـ٤٦٨.

٣ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي ١ : ١٩٠.

٤ . إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية و... بمكة المكرمة مصدر سابق: ٢٠٢.

نزلـوا في المُحنا قـرب حراء.[1]

وفي إشـارة أخـرى تذكرهـا المصـادر التاريخيـة تعـود لسـنة ٨٩٦هــ، عـن الصعوبـة التـي يعيشـها الحـاج ممـا يضطـره أمـراء الحـاج إلى إلغاء الحـج في بعـض الأعـوام حفاظاً عـلى الأرواح والأنفس، فيكـون ضرب المثـل بالمواكـب الكبـيرة التـي يشـار لهـا بالبنـان وحضورهـا موثـر في الحـج

فـكان ممـن تخلـف عـن الحـج في هذا العـام حجـاج الشـام والعـراق،[2] والمغاربـة وابن جـبر،[3] فقـد قـرن أهميـة الركـب الجـبري المنطلق مـن الأحسـاء، بأهميـة الركـب العراقـي والأعاجـم مـن الأتـراك والمغاربـة الذيـن يكـون لفقدهـم أثر في الحـج لما يتركـوه من أثر مـن عطايـا وأعـداد كبيرة يأتـون بها.

وهـذا ليـس بغريـب فقـد حـج أجـود بـن زامـل عـام ٩١١هــ في جمـع يزيـدون على الثلاثـين ألفـاً،[4] وهـذا عـدد كبـير إذا جـاء في مجموعـة واحدة موكـب واحد، وهـذا نابع لمـا أشرنـا سـابقاً أنَّ موكب الحـج الأحسـائي، يضـمّ الكثير من حجـاج البحريـن وعمان والأعاجـم والهنـد، وغيرهـم ممـن يأتـون في طريـق الحـج الأحسـائي يحجـون بحجـه ويرحلـون برحيله.

وقـد اسـتمرت هذه الجمـوع الكبيرة تأتي من الأحسـاء ومـا حولها بأعـداد كبيرة حتى بعـد زوال الدولـة الجبريـة لأن الأمـر مرتبـط في الغالـب بعـدد الحجيـج وليـس بالدولـة

---

١ . أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١ : ٤٧٦ .

٢ . الأعاجم الذين تعود أصولهم إلى بلاد الروم (آسيا الصغرى)، معجم البلدان ٣ : ٩٣ ـ ١٠٠ .

٣ . بلـوغ القرى في ذيـل إتحاف الورى بأخبـار أم القرى، عز الديـن عبدالعزيز بن عمر بـن فهد القرشي المكـي القسـم الثاني من سـنة (٨٩٦ـ٩٠٩هــ) دراسـة وتحقيق، رسـالة مقدمة لنيل درجة الماجسـتير في التاريـخ الإسـلامي بجامعـة أم القـرى، إعداد الطالب: عليـان بن عبد العالي بن عليـان المحلبدي، إشراف الدكتـور ضيـف الله بن يحيى الزهـراني ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م، غير منشـورة ١ : ٣٠٨.

٤ . التاريخ السياسي لأمارة الجبور، مصدر سابق: ٦١.

الجبرية، فنجد الحجيج بعد زوال دولة بني جبر قدموا مع الشيخ راشد بن مغامس حاكم البصرة والذي استغل ضعف بني جبر فبسط نفوذه على الأحساء، فقد حج بجمع كبير يقال نحو عشرين ألف حاج، وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة ونزلوا عن جبل حراء.[1]

وهنا إشارات مهمة على عظم ركب الحج القادم من الطريق الأحسائي وهي:

«من الشرق»: تعبير عن القادمين من طريق الأحساء أي شرق الجزيرة العربية، ثم يقول: «جمع كبير»: إشارة إلى الأعداد التي تحج على حجهم، وبالطبع هي ليس من الأحساء وحدها، وإنما من مختلف المناطق المحيطة والقادمة من الخارج.

«نحو عشرين ألف نفس»،[2]: وهي قياساً لتلك الظروف وتلك الأزمنة تعد أعداداً كبيرةً جدّاً وتشكل منظراً مهيباً في الوسط المكي.

«وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة»: وهنا إشارة إلى أن دخولهم مكة من الأمور الملاحظة والمشهودة التي تلفت النظر، ولا يمكن التغافل عنها.

وعن موكب،[3] الحاج الأحسائي في القرن الثاني عشر يقول عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ)،[4] وهو يتحدّث عن عظمته فيقول: «إذا أشرف الإنسان من

---

١ . قوافل الحاج المارة بالعارض، نفس المصدر: ٨١.

٢ . م.ن. : ٨١.

٣ . كلمة ركب كانت بمعروفة لدى أهالي الحجاز، فقد كانوا يطلقون على قافلة الحج القادمة من بغداد ركب بغداد، أو ركب العراق أو ركب الشام وهكذا. راجع: بشاوري، إعداد الطالبة: سامية محمد أسعد، إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢ـ١٢٢٨هـ الموافق ١٧٨٧ـ١٨١٢م، إشراف الأستاذ الدكتور محمد سعيد شعفي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك سعود بالرياض سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، غير منشورة: ١٠٠.

٤ . هو الشيخ عبدالغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي القادري النقشبندي، من أعلام القرن الثاني عشر، وهو عالم و أديب ناظم صوفي (١١٤٣هـ)، قام بهذه الرحلة سنة ١١٠٥هـ، وقد انتهى من كتابتها سنة ١١١٠هـ

جبل أبي قبيس لا يرى جميع مكة بل يرى أكثرها، وهي تسع خلقاً كثيراً خصوصاً في أيام الحج، فإنه يرد إليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب و بغداد والبصرة والحسا ونجد و اليمن».[1]

حيث قارن النابلسي بين موكب الحج الأحسائي بمواكب الحج الكبيرة المشهورة القادمة من مصر والشام والعراق واليمن، في إشارة إلى أن موكب الحج الأحسائي كان يشكّل علامةً فارقةً في صفوف الحجيج لكثرة من فيه، ما جعلته يقف في مصافّ هذه المواكب الكبيرة والبارزة والتي تعد أضخم المواكب التي ترد مكة.

١ . النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت١١٤٣هـ)، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: د. أحمد عبدالمجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة لكتاب: القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٨٦م: ٤٤٧.

مهام أمراء الحاج الأحسائي:

التعريف: «أمير الحاج الأحسائي» هو الأمير المنتخب أو المشرف المعيّن على قيادة ركب الحاج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والعودة بهم سالمين غانمين، وهي شخصية مهمة في ركب الحج، وتعدّ الشخصية الأولى فيه، ويتم اختيارها من قبل أعلى سلطة في الدولة.

وهذه الشخصية المحوريّة في الركب يجب أن تتمتّع بمواصفات خاصّة ومهارات معيّنة وقدرات فائقة يتم على ضوئها إسناد المهام الجسيمة لها وإيكال جميع المسؤوليات والأمور الطارئة إليها، لهذا يتم تحرّى الدقة في اختيار أمير الحاج، وذلك حرصاً على سلامة الحجيج وأمنهم و تذليل الصعوبات والمخاطر التي تواجههم، سعياً إلى إنجاز رحلتهم وإنجاز فرضهم الخامس وهو الحج.

قال صاحب الفروع: «يعتبر في ولاية تسيير الحاج كونه مطاعاً ذا رأي وشجاعة وهداية، وعليه جمعهم وتربيتهم وحراستهم في السير والنزول، والرّفق بهم، والنُصح، ويلزمهم طاعته في ذلك. ويُصلح بين الخصمين، ولا يحكم إلّا أن يُفوض، فيعتبر من أهله».[1]

وقال الآجري: «إمرة الحج، ولاية سياسية، وتدبير وهداية، لأنها من أجل المراتب الدينية، وأفخم الوظائف السنية، وأمير الركب هو الذي يخبرنا بالوفد في تلك الأماكن الكرام، والمشاعر العظام، والمتلبس بفرض شعائر ظاهرة في الإسلام، فدخل بها المرتبة الشريفة فوق النيّرين، وعلا مَحَله على السَّماكين، وناب عن الإمام الأعظم في خدمة الحرمين الشريفين».[2]

وقد عرّفه على كامل قائلاً: «من يأخذ على عاتقه تأمين طريق قافلة الحج من

---

١ . الدُرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١ : ١٣٣ .

٢ . م . ن.

هجمات البدو، وتأمين المؤون وكافة المستلزمات الأخرى لوصول قافلة الحج إلى بيت الله الحرام في الوقت المحدد لها».[1]

مهام أمير الحاج: تعدّدت الأقوال في المهام المنوطة بهذه الشخصية المحوريّة في موكب الحج، وهذه المهام وإن اختلفت فإنها متشابهةٌ في المضمون، ففي كتاب (إمارة الحج في العصر العباسي) يقول المصنّف: «إقامة الحج وتنظيم وتيسير سير قافلة الحجيج والعمل على تذليل الصعوبات أمامها حتى يصبح سفرها ميسوراً حين تقصد الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، بالإضافة إلى تولي أحداث الموسم».[2]

وعليه ومن خلال ذلك يمكننا أن نستخلص مهام أمير الحج في الآتي:

١ـ مهام خلال الطريق:

وهي مجموعة من المهام التي يتولي أمير الحاج إنفاذها ورعايتها خلال الطريق، وهي مجموعة خصال:

الأولى: جمع الناس في سفرهم ونزولهم:

إذ من المهام المنوطة به جمع الناس أثناء المسير إلى الحج والحفاظ عليهم من الضياع والشتات، فكثير ما يفقد الحجاج أثناء نزولهم في المنازل التي يسلكها طريق الحاج نتيجة الغفلة وعدم الانتباه من أمير الحاج أو إهماله في متابعة شأنهم، فكان من مسؤولياته أن يحافظ عليهم من الشتات والتفرق بعيداً عن مقر الموكب و وجود مركز الحاج، وقد شهد التاريخ الأحسائي وفاة عدد من الحجاج نتيجة النسيان في بعض منازل الطريق ومراحله، وذلك لنوم بعض الحجاج أو ذهابه لقضاء الحاجة، فيتحرك

١ . إمارة الحج العراقي في عهدي حسن باشا وأحمد باشا (١٧٠٤ـ١٧٤٧م)، علي كامل حمزة السرحان، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد ٢ العدد ١ حزيران ٢٠١٢م: ٩١.

٢ . إمارة الحج في العصر العباسي خلال الفترة (١٢٣ـ٢٤٧هـ)، مصدر سابق: ٢٦.

الركـب دون الشـعور بفقده.

الثانية: ترتيبهم في المسير والنزول:

يتـولي أمـير الحـاج ترتيـب السـير والمنـازل التـي يحل بهـا ركب الحـاج خـلال فترات الطريـق، فمـن شـأنه أن يعـين محـل نومهـم، ومـكان سـكناهم، وترتيـب حوائجهم من المـأكل وغـيره، ويعـد من التقصـير بواجبه إذا تخلف عـن تلك المطالب خاصـة وأن الحاج في الغالـب يكـون جاهـلاً بالطريـق والمناطـق التـي يسـلكها ركـب الحجيج، ويكـون قد وضـع ثقلـه وحملـه وثقته بأمـير الحـاج، معتمداً عـلى خبرتـه ودرايته.

الثالثة: أن يرفق بهم في المسير:

تختلـف إمكانيـات الحجـاج مـن شـخص إلى آخـر، فمنهـم الشـاب القـوي، ومنهـم الشـيخ الكبـير، وهنـاك مـن يذهـب سـيراًعلى قدميه، وهنـاك من يمتلـك الراحلـة التي تقلـه في المسـير، إضافـة إلى إمكانيـات وقـدرة المـرأة، تختلـف عـن قدرة وتحمـل الرجل.

ومـن هنا تحتم على أمير الحـاج أن يراعي في سـير القافلـة التمايـزات والاختلافات في ركـب الحجـاج ولا يرهقهـم بما يتجـاوز قدرتهم وطاقتهـم، وكلما كانت القافلـة أكبر كلما كان سـيرها أبطأ وأثقل.

وقـد شـهد الموكـب الأحسـائي تباينـات في الأحجـام ففي بعـض الفترات بلـغ عدد الركـب الأحسـائي خمسـين ألفـاً، كـما أنـه يتشـكل مـن الحجـاج الأحسـائيين والمناطـق السـائرة للحـج على طريق الأحسـاء؛ كبعـض الإيرانيين والهنـود والبحريـن وقطر وعمان والإمـارات وغيرهـا ممـن تفضل طريـق الأحسـاء في ذهابهـا للحج.

الرابعة: أن يسلك بهم أوضح الطرق وأحسنها:

لاتتحـرك القافلـة للحـج إلّا بوجـود دليـل أو أكثـر مـن خبير بطـرق الحـج مـن جهة الـشرق للجزيـرة العربيـة إلى اليمامـة، ومـن ثـم إلى بـلاد الحجـاز، وذلـك بنـاءً على عوامـل عديـدة، منها كون موسـم الحج في الشـتاء أو الصيف، توفر الآبـار في بعضها دون

آخر، كـون الطريـق مأمونـاً من اعتـداءات البـدو عن غـيره، إضافـة إلى عوامـل أخرى.

وأمـير الحـاج يفـترض أن يتمّ اختيـاره بناءً عـلى دراية بقدراتـه و معرفتـه بطرق الحج المختلفـة بلحـاظ العوامل المذكـورة، أو يعينه من يمتلـك الخبرة المطلوبـة لتحديد الطريق الأنسـب والأمن لمسـير الموكب.

وقـد شـهدت قافلـة الحج الأحسـائي الكثير مـن الاعتـداءات والسـلب والنهب على يـد قطّاع الطـرق الذيـن يتربّصـون بطريق الحـاج منتظريـن عبـور القافلة عليـه لينقضوا عليهـم دون رحمـة ولاشـفقة، وسـوف نـسرد مجموعـة مـن القصـص والمواقـف التـي تعرضـت لـه قافلـة الحـج الأحسـائي على مـدى سـنوات عديـدة في محله.

الخامسة: أن يرتاد لهم المياه إذا قلّت.

قـال تعـالى: ﴿وَجَعَلْنـا مِـنَ الْمـاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] فـلا يمكن أن تسـتمر مسـيرة الحاج دون المـاء، لـذا حـرص العرب على حفـر الآبار على الطـرق المطروقة، والتـي اعتاد الناس سـلوكها، إضافـة إلى المنـازل والمناطـق التي يسـكنها الناس على طريـق الحاج.

لـذا يكـون الدليـل للحـاج عـلى درايـة بأماكـن هـذه الآبـار والمسـافات التـي تفصل بينهـا، فـإذا كانـت بعيدة لـزم عليهـا أن يعلم الحـاج بـضرورة التـزود بالمياه والاسـتعداد بالمـاء الوفـير والـكافي إلى حـين بلـوغ المـورد الآخر والتـي قد تسـتغرق عدة أيـام، وطرق الأحسـاء يتخللهـا بعـض الصحـاري التـي ينعـدم في بعضهـا المنـازل والآبار لمـدة أربع مراحـل، وهـي مـدة طويلـة مـا لم يكـن الحـاج عـلى اسـتعداد لهـا خاصـة إذا كان الحـج في موسـم الصيـف والحر شـديد.

السادسة: توفير الحماية والأمن لهم:

البعـد الأمنـي مـن الأمور التـي يعتمد الحـاج فيها بشـكل كبير عـلى أمير الحـاج، وما أحضـره معـه من اسـتعدادات قتالية وجند لحراسـة وحمايـة القافلة في ذهابهـا ورجعتها،

---

[1] . سورة الأنبياء، الآية رقم: ٣٠.

لما يتطلّبه الأمر من قدرة على الاقتتال، وامتلاك السلاح، الأمر غير مهيأ لمعظم الحجاج الذين معظمهم من الكسبة والناس الوادعين.

وطريق الحج الأحسائي يعتبر بعيداً، قد تستغرق الرحلة في قرابة الشهر في بعض الأحيان، ويتم خلالها العبور في أراضي عدد من القبائل العربية التي قامت معيشتها على سلب الحاج وما تفرضه عليهم من ضريبة كبيرة للعبور خلال أرضها.

وفي الدولة الجبرية نظراً للجانب الأمني وأهميته فإن الحراسة المصاحبة لقافلة الحج والتي يصحبها معه أمير الحاج، تبلغ بالآلاف من العسكر والجنود لمجابهة البدو وقطّاع الطرق التي تعترض طريق الحاج، وقد نشبت بينهم معارك طاحنة كانت الغلبة في بعضها للجيش الجبري وفي بعضها لقطّاع الطرق.

وخلال هذه الفترات التي كان اظفر لقطّاع الطرق قتل العشرات من حجاج بيت الله الحرام وسلبت أموالهم وسبيت نساءهم في أحداث مأساوية انعدمت فيها الإنسانية وانتزعت الرحمة من القلوب.

السابعة: أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير:

وهي نقطة مرتبطة بالمعتدين وقطّاع الطرق الذين في الغالب يمنعون الحاج ويصدونهم ما لم يدفعوا مبالغ ضخمة ليمكنوهم من عبور الطريق، وهي من مهمات أمير الحاج أن يتولى معالجة الأمر بحكمة وعقلانية بالطريقة التي يراها مناسبة.

الثامنة: أن يصلح بين المتشاجرين، ويتوسط بين المتنازعين:

من الأمور التي هي من شأن ومختصات أمير الحاج الحفاظ على أن يسود جوّ الألفة والمحبة والسكينة بين الحجاج، ومنع المشاحنات والبغضاء التي قد تنشب بين جموع الحجيج لما في ذلك من إرباك سير الحج، وهو بعيد كل البعد، عن أهداف الحج التي منها البناء الروحي والسمو النفسي، والتوجّه القلبي نحو الله، وترك التعلق بالدنيا وزخرفها.

وأمـير الحـاج مـن أدواره أن يحافـظ عـلى إفشـاء الجـو الروحـي في الرحلـة الإلهيـة، ومعالجـة المشـاكل العالقـة نتيجـة الاختلافات بـين الحجاج والتـي ما تحدث عـادة نتيجة أمـور دنيويـة، وإيجـاد الحلـول المناسـبة المبنية عـلى العـدل والحكمة.

التاسعة: أن يُقوّم زائغهم، ويُؤدب خائنهم:

أيضـاً من الجوانب المهمـة المنوطه بأمير الحـاج، أن يؤدب من لديه انحرافات سـلوكية وأخلاقيـة، بما يتماشـى مع الحكم الشرعـي دون أن يكون في ذلك ظلـم أو حيف عليه.

العاشرة: أن يراعي اتساع الوقت:

عـلى أمـير الحـاج بحكـم خبرتـه بالطريق ومـا يحتاجه مـن وقـت للوصـول إلى الديار المقدسـة لأداء فريضـة الحج، وأن يكون الحجـاج في مكة المكرمة قبل يـوم التروية (الثامن مـن شـهر ذي الحجة)، على أقـل تقدير، ليتمكـن من أداء أعـمال عمرة التمتـع، ثم الخلود للراحـة لبعـض الوقت من عنـاء الطريـق وأداء العمرة.

وهـذا الأمـر يتأتـى عـبر تقديـر المسـافة والمراحـل التـي يحتـاج إليهـا الحـاج لقطعها، ثـم أخـذ الحيطـة بإضافة بضعة أيـام تحسـباً الظـروف الطارئة غير محسـوبة التـي قد تعيق وتعرقـل مسـير الحـاج بمختلف أشـكالها.

وهنـا تـأتي خبرة أمير الحاج وإحسـانه في تقديـر الأمور، خاصـة وأن معظم الحجيج في الغالـب تكـون هذه حجتهم الأولى، لا يمتلكـون أي خبرة أو دراية بأمـور الحج وطريقه.

٢ـ مهام خلال موسم الحج، الأولى: أن يوفر لهم المسكن والمأكل:

مدينـة مكـة منطقـة مترامية الأطـراف، ومـن يردها يحتـاج إلى المأكل المناسـب والمكان الـذي ينـام فيـه، وأمـير الحاج يفـترض قبـل كل شيء يوفر للحجـاج عند بلوغهـم الديار المقدسـة المكان والمقعـد الذي يسـتريحون فيه مـن عناء السـفر، ويتـم فيه حفـظ أمتعتهم وأغراضهم.

وأمير الحاج بحسب إمكانياته و خبرته، بما استلمه من مبالغ من الحاج فإن أحد أولياته توفير هذه الخدمة لهم، والسعي لراحتهم من خلال من حوله من العاملين ومن لهم خبرة واسعة بمكة ومرافقها المختلفة.

الثانية: الحرص على أدائهم مناسكهم بالشكل الصحيح:

وذلك عبر توفير من يقومون بتعليمهم مناسك الحج من رجال علم يصاحبون الموكب، وذلك ابتداءً من الميقات حيث يتم إحرامهم، ومن ثم أخذهم إلى منى للمبيت يوم التروية، وفي اليوم التاسع إلى عرفة ومنها إلى مزدلفة وفي اليوم العاشر إلى منى حيث يتم رمي جمرة العقبة الكبرى، حتى انتهاء أعمال الحج بوجهها الصحيح.

الثالثة: أن يستمع إلى حوائجهم ومسائلهم:

فبصفته قائد الرحلة وأميرها فإن من واجباته أن يصغي لشكواهم وحوائجهم التي تستجد أمامهم في موسم الحج.

من أمراء الحاج الأحسائي:

من الأمور المتعارفة أن يصحب الحاج في طريقهم إلى الديار المقدسة أمير يتولى أمارة الحج والإشراف عليه، والحج الأحسائي، لم يكن موكبه يختلف عن غيره من المواكب الكبيرة التي تتحرّك تحت إشراف أمير يكون عادة إما أمير البلاد أو من ينوب عنه.

وقد سطّرت لنا المصادر عدداً ممن تقلّد منصب إمارة الحاج الأحسائي في الفترات المتعاقبة على حكم الأحساء من دول وكيانات نستعرض جانباً منهم، متناولين خلاله بعض العقبات التي تعترض طريق الحاج، إضافةً إلى ما صاحب خلال إمارته من أحداث مفصليّة وهامة لها علاقة مباشرة بطريق الحاج الأحسائي، وهذه الشخصيات كما يلي:

١ـ الأمير زامل بن حسين بن جبر: (بعد ٨٤٣هـ)

الأمير زامل بن حسين بن جبر، عاش إلى بعد سنة ٨٤٣هـ، وقد قامت دولته على أنقاض الدولة الجروانية بعد انتهاء دولتهم، فأنشأ دولة مترامية الأطراف؛ امتدت إلى سواحل عمان جنوباً، وحتى منطقة الكويت شمالاً، وضمّت أيضاً جزر البحرين وامتد نفوذها إلى شرق نجد، وكانت عاصمتهم في الأحساء.

وكان موكب حجه يخرج بأعداد غفيرة من المناطق التي تحت سلطته، إضافة إلى القادمين للحج مع حجاج الأحساء من العراق وإيران، والحراسة المشددة التي تصحب الموكب لحمايته.

٢ـ الأمير أجود بن زامل: (٨٧٥ـ٩١١هـ)

الأمير أجود بن زامل بن سيف الْعقيلِيّ الجبري العامري القيسي، نسبة لجدّ له اسمه جبر، ولذا يقال له ولطائفته بنو جبر النجدي الأصل المالكي، مولده ببادية الحسا والقطيف في رمضان سنة إحدى وعشرين و ثمانمائة وهو أول من ملك الأحساء من آل جبر في رمضان سنة ٨٢١هـ، و دام حكمه لها حتى آخر المائة العاشرة للهجرة. ويعدّ من أهم رجالات الدولة الجبرية، وقد اتسعت الدولة العقيلية فشملت الأحساء والبحرين وعمان وبلاد نجد، وكان مالكي المذهب.

قامت دولته على أنقاض دولة هرمز التي كانت حاكمة للأحساء والقطيف والبحرين، وذلك في مطلع القرن التاسع الهجري.

وصفه المؤرخ الهندي (نمديهي) في (كنز المعاني) في رسالة إلى الأمير أجود على لسان وزير الدولة البهمنية في الهند قال فيها:

«إلى الشيخ أجود المعروف بابن جبر... بعد حمد الله والصلاة على نبيه، فتشريف التسليمات الطيبات ونفائس التحيات الزكيات، على الملك الأعظم الأكرم الأمير الأفخم الأقدم، مالك البر واليم، حامي العرب والعجم، و مبارز معارك الشجعان،

كـرّار المصـاف بالسـيف والسـنان، وأعـدل ملـوك الأطـراف والأقطـار، وأشـجع ولاة الأزمـان والأعصـار، مفتخـر حجـاج بيـت الله الحـرام».[1]

إلى أن يقـول: «قـدوة زوّار النبـيﷺ، المخصـص بعواطف العلي الصمـد، ملك ملوك العرب سـلطان أجود».[2]

إلى أن يختـم الرسـالة بالدعـاء للأمـير أجود بقولـه: «رب كـما وفقته بحمايـة أهل المدر والوبـر، اجعـل طول عمـره إلى يوم الحـشر، بمحمـد و حيدر».[3]

والإشـارة جليـةٌ في دور الأمـير أجود في حمايـة حجاج الهند، وتسـهيل تنقلهم بين مكة والمدينـة، بـل لا يبعـد أن الأحسـاء كانـت مـن طـرق الحاج الهنـود لذا أشار لهذه السـمة التي لمسـها الحجـاج الهنـود في مرافقتهم للحـج العقيلي المنطلق من الأحسـاء، كمايسـتفاد منهـا مكانة الشـيخ أجـود عندما لقبه «ملـك ملوك العرب». توفي سـنة ٩٠٢هــ، و خلفه في الحكـم ابنه محمد.

٣ـ الأمير محمد بن أجود الجبري: (بعد سنة ٩٠٢هـ)

الأمـير محمـد بـن أجود بـن زامل بـن سـيف العقيلي الجـبري العامـري القيـسي. تولى الزعامـة الجبريـة بعـد وفـاة والـده سـنة ٩٠٢هــ، لُـقِّبَ بسـلطان البحريـن والأحسـاء والقطيـف. حيـث كان عـلى جانب كبير مـن القوة وكثره الأتباع فقد ذهب إلى الحج سـنة ٩٠٢هــ إلى مكـة عـلى رأس جيـش كثيـف قدر بخمسـين ألـف رجل.[4]

٤ـ الأمير مقرن بن زامل الجبري: (٩٢٢ـ٩٢٨هـ)

الأمـير مقـرن بـن زامـل الجـبري الخالـدي العقيـلي العامـري الهـوازني، هـو حاكـم

---

١ . تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٥٠٠ـ٥٠١ .

٢ . م. ن. : ٥٠١.

٣ . م. ن. : ٥٠٤.

٤ . التاريخ السياسي لأمارة الجبور، مصدر سابق: ٧٨.

شرق جزيرة العرب، بما فيها الأحساء والقطيف والبحرين وآخر حاكم الجبور على البحرين، ويعد ثاني أقوى شخصية من حكّام الجبور بعد الأمير أجود بن زامل.

كان أمير الحاج سنة ٩٢٦هـ، ولعدة سنوات قبلها. قائد خاض معركة مع البرتغاليين سنة ٩٢٧هـ، فوقع أسيراً في المعركة، وقد تمت تصفيتُه من قبل القائد البرتغالي أنطونيو كورّيا.

٥ـ الأمير راشد بن مغامس: (كان حيّاً سنة ٩٤٢هـ)

هو الشيخ راشد ابن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل، أمير دولة آل شبيب، وشيخ المنتفق، الذين قامت دولتهم على أنقاض الدولة الجبرية في الأحساء بعد سقوطها سنة ٩٣١هـ، فتولى إمارة الحج سنة ٩٣٣هـ، حيث قام في يوم الأربعاء ٧ ذي الحجة بالوصول إلى مكة، يقول بن فهد:

«وتتابع حاج الشرق وفيهم سلطانهم الجديد، وهو الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل سلطان البصرة والحساء والقطيف ورفقته خمسة آلاف نفس على رواحل، وبركوا في الأبطح على عادتهم، وكانت ولاية سلطانهم للشرق في سنة إحدى وثلاثين و تسعمائة».[1]

ويتابع بن فهد في حوادث سنة ٩٤٢هـ، في يوم السبت السادس من ذي الحجة ذكر أنه: «وصل لمكة حاج كبير من البحر شاماً ويمناً، وكذا من الشرق ومنهم سلطان البصرة راشد بن مغامس المنتفقي بجمع كبير يقال نحو عشرين ألف نفس، وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة ونزلوا عند جبل حراء».[2]

وهذا إشارة واضحة على تولي الأمير راشد زعامة وإمارة الحج طوال عشر سنوات، وذلك بين عامي ٩٣٣ـ٩٤٢هـ، وكان الموكب يأتي في أعداد غفيرة فقد قال

١ . قوافل الحاج المارة بالعارض، راشد بن محمد عساكر، مصدر سابق: ٨١.

٢ . م. ن. : ٨١.

في نصه: بجمعٍ كبير يقال عنه بنحو عشرين ألف نفس».

كما قال: إن نزولهم عند جبل حراء وذلك نتيجة طبيعة لأعدادهم العظيمة أن يتم تجمعهم ومكانهم خارج مكة ليتسع المكان لجموعهم ويحافظوا على جمعتهم من الشتات والضياع، توفي بعد سنة ٩٤٢هـ.

٦ـ الأمير فيروز شاه قطب الدين: (ت ٩٣٩هـ)

هو فيروز شاه قطب الدين بن تهمتم بن جردن شاه بن طغلق بن طبق شاه، أحد أمراء آل مغامس على هُرْمُز والبحرين والأحساء والقطيف،توفي سنة ٩٣٩هـ،[1] بعد أداءه منسك الحج.

وتولى في آخر سنة من حياته إمارة ركب الحجيج منطلقاً من الأحساء إلى الديار المقدسة.[2]

٧ـ الأمير مبارك المسعفي: (كان حيّاً سنة ٩٤٠هـ)

الأمير مبارك بن راشد المسعفي، هكذا ورد نسبه في المصادر التاريخية، تابع إمارة ال مغامس في الأحساء، ولقب بسلطان الشرق (نجد والأحساء).

كان أميراً للحج الأحسائي سنة ٩٤٠هـ، وكان بصحبة القافلة أقمشة هندية، مما أدى إلى رخص ثمنها، وغيرها من المنتجات في هذه السنة.[3]

٨ـ الأمير بكر بن علي باشا: (تولى الحكم حدود ١٠٤٣هـ)

الأمير بكر بن علي باشا بن أحمد لاوند البريكي الأحسائي، ينتمي للدولة العثمانية التي حكمت الأحساء، بخطة محكمة أدت إلى إقالته من قبل الدولة العثمانية وتنصيب ابنه محله سنة ١٠٤٣هـ.

---

١ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ٦ : ١٧٥ .

٢ . السنا الباهر بتكميل النور السافر في اخبار القرن العاشر، مصدر سابق: ٢٥١ـ٢٥٢ .

٣ . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٧٨ .

يقـول (الفاخري) عن حج سـنة ١٠٤٣هـ، وهـو يصف الأعداد الكبـيرة التي جاءت لحـج بيـت الله الحرام من طريق الأحسـاء في منطقة (ركبـه) فيقول: «ظهر حـاج كبير، من الأحسـاء أميره بكر ابن على باشـا».[1]

حيـث تولّـى إمـارة الحـج بعد والـده، مع اسـتمرار ركب الحـاج الأحسـائي في كثافته وأعـداده الكبـيرة، بمايحتويـه مـن حجاج مختلـف المناطق القادمـة من الـشرق أو عبر ميناء العقير.

٩ـ الأمير علي باشا الحساوي: (كان حيّاً سنة ١٠٩٠هـ)

تـولى إمـارة الحـاج الأحسـائي في العهـد العثـماني الإول على الأحسـاء الذي بدأ سـنة ٩٥٧هــ، وكانت إمارته على الحاج سـنة ١٠٩٠هـ، وقد شـاركه رحلتـه للحج على طريق حـاج الأحسـاء، حجاج بـلاد فارس التابعـون للدولة الصفوية.[2] وهـو مختلف عن الأمير على باشـا المتقدم.

١٠ـ الأمير الشيخ سعدون الخالدي: (١١٠٣ـ١١٣٥هـ)

الأمـير سـعدون بـن محمـد بن غريـر آل حميـد الخالـدي، ثالـث حـكّام دولة بنـي خالد (١١٠٣ـ١١٣٥هــ)، تـولّى السـلطة بعـد وفـاة والـده محمـد بـن غريـر آل حميـد. اتصـف بالشـجاعة والقـوة حيث لقب بسـلطان البرّ، وقد بلغ حكـم بني خالد الـذروة في عهد هذا الزعيم من حيث الاسـقرار والاتسـاع ليشـمل نجداً والمناطق الشـمالية إلى الشـام إضافة إلى شرق الجزيـره العربيـة وقـد عم في فـترة حكمه الطويلة الهدوء النسـبي إذ أذعنـت له القبائل و دفعـت لـه الأمـوال مقابل سـماحه لهـم بارتيـاد المراعي الخاضعـة تحت حكمة. يقـول ابن لعبـون في تاريخـه ضمـن أحـداث سـنة ١١١٩هـ: «نزل الحـاج العقيـلي على ثـادق[3]، ومعه

---

١ . تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٨، تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ٨٨.

٢ . خاطراتى از سفرهاى حج از دوره صفوي، مصدر سابق: ١٣٥.

٣ . منطقة تقع في الجزء الشمال الغربي من منطقة الرياض.

سعدون بعسكره».[1]

١١ـ الأمير نجم بن غرير: (كان حيّاً سنة ١١١٧هـ)

الأمير نجم بن عبيدالله بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ريعة آل حميد من بني خالد، وإلي هذا الأمير تنسب عين النجم بالأحساء، وقد تولى منصب أمير حاج بني خالد عام ١١١٧هـ.[2]

تقلّد إمارة الحاج في الموكب الأحسائي في عهد الشيخ سعدون عام ١١١٧هـ وعام ١١٢٠هـ، وقد مرَّ في طريق العودة على العيينة، يقول ابن ربيعة في تاريخه:

«كما أنها محطة يمكن الاستراحة فيها والتمون منها، كما حدث عام ١١٢٠هـ، إذ نزلت قافلة الحج الأحسائية العيينة في طريق العودة من مكة، وكانت بقيادة نجم بن عبيدالله بن غرير».[3]

١٢ـ الأمير الشيخ عبد الرحمن العفالق: (القرن الثاني عشر)

الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن محمد العفالق، من أعلام مدينة المبرز في القرن الثاني عشر، أخذ عليه عددٌ من أعلام عصره، منهم: الشيخ محمد (١١٠٠ـ ١١٦٤هـ)؛ الشيخ منيع بن محمد بن منيع العوسجي النجدي (ت ١١٣٤هـ)،[4]

فقد كان أمير الحاج لدولة بني خالد، وذلك في عهد الشيخ سعدون بن محمد الغرير الخالدي (١١٠٣هـ ـ ١١٣٥هـ)، وذلك ضمن رحلة الحج لعام ١١٢٧هـ،[5]

---

١ . تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٥.

٢ . مجلة الواحة، العدد الستون، السنة السادسة عشرة ـ شتاء ٢٠١٠ م. خالد أحمد المغلوث: عين نجم بالأحساء عمران مكان و سياحة استشفاء: ٦٥.

٣ . تاريخ ابن ربيعة، مصدر سابق: ٨٠.

٤ . البدر، أحمد بن عبدالمحسن، معجم أعلام الأحساء من الماضين، غير منشور ٣ : ٤٣٥.

٥ . تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ١١٩.

والمصادر لا تذكر تفاصيل إمارته للحجيج وبعض الأحداث المرتبطة بهذه السنة، ولكن الواضح أنّ اختياره بناءً على المكانة الدينية التي نالها وأنه أحد القيادات الدينية في البلاد.

١٣ـ الأمير محمد بن خالد بن آل غريري الخالدي:

فقد كان أمير الحاج الأحسائي سنة ١١٣٢هـ، يقول صاحب كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) المعاصر للدولة الصفوية، وهو يستطرد أحداث سنة ١١٣٢هـ، وزيارة أمير الحاج الأحسائي السلطان حسين: «فلما كان يوم الجمعة تاسع شهر رجب ورد إلى إصفهان أمير الحاج الحسائي الشيخ محمد بن خالد آل غرير، من صوب سعدون شيخ بني خالد، و نزل بمحل لطيف فايح عاطر يسمى (قهوة الناظر) بأعلى حارة (الخاجو)، فأقام عشرة أيام بأصفهان، ثم رحل إلى مدينة قزوين لملازمة السلطان...».[1] إلى أن يقول: «فلما كان ضحى السبت من ثامن شهر شعبان المعظم، عام اثنين و ثلاثين ومائة وألف من هجرة النبي المكرم، لازم أمير الحاج المذكور في قزوين السلطان، رفيع المرتبة والشأن، المشهور في الخافقين، واهب الألوف من صنوف الورق والعين، الملك المؤيد الشاه السلطان حسين، لا زال بجوار ربه قرير العين، صحبة الأمير المكرم ميرزا رحيم الحكيم باشي، أي حكيم الحكماء، والفاضل العلّامة، شيخ الإسلام، الملّا محمدحسين ملا باشي، أي عالم العلماء، فأكرمه وأحسن مثواه، وأجزل صلته وأعطاه».[2]

وهذه الجزئية ـ رغم أننا سوف نأتي عليها لا حقاً بشيء من التفصيل ـ إلّا أننا سوف نستعرض مجموعة من النقاط الهامة هنا: أولاً: وجود علاقة قوية بين دولة بني

---

١ . المكي، السيد العباس بن على بن نور الدين الحسيني الموسوي (ت حدود ١١٨٠هـ)، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، وضع المقدمة السيد محمدمهدي الخرسان، منشورات المطبعة الحيدرية: النجف الأشرف، الطبعة الأولى: ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ١ : ٣١١.

٢ . نزهة الجليس، مصدر سابق ١ : ٣٢٢.

خالـد والدولـة الصفويـة، أو ما يمكن أن نعبر عنـه بتبادل مصالح بينيّـة، فالدولة الخالدية تقـوم بتوصيل حجـاج فارس القادمين عـبر ميناء العقـير إلى الديار المقدسـة وأداء فريضة الحـج و زيارة النبـيﷺ، ومـن ثـم العـودة عبر نفـس الطريق بعـد توفير الحماية المناسـبة، وفي المقابـل تأخـذ دولـة بنـي خالد الدعـم المـالي المجزي مـن الدولـة الصفوية. ثانيـاً: إنَّ بنـي خالـد ينظـرون إلى هـذا الصديق والحليـف الجديد بعـين الأهمية الكـبرى لدرجة أنّ أمـير الحـاج الخالدي يذهب بنفسـه إلى بلاد فـارس ويرافق الحـاج الإيراني مـن قزوين إلى الأحسـاء ومنهـا إلى مكـة المكرمـة، مما يعنـي أنّ ترتيبات الحـج تكون في فـترات مبكرة قد تسـتغرق عدّة شـهور قبل موسـم الحج.

ثالثـاً: إن هـذه الرحلـة مـن الأحسـاء إلى بـلاد فـارس ليسـت المـرة الأولى وإنـما ربما هـي عـادة قد تكـون اسـتمرت لعدة سـنوات كما سنشـير فيـما بعد، وربـما الاتفاق نفسـه يجـري مـع حجـاج الهنـد وغيرهـم، بحيـث يتم تأمـين الحـاج وإيصالهـم إلى الحـج، ومن ثـم إرجاعهـم لقاء مقابـل مـالي، وهـذا نـوع من سـبل الدعـم التـي كانت تحصـل عليها الدولة الخالديـة لتأمين احتياجاتهـا الماليـة الأخـرى.

رابعـاً: وجـود مراسـلات كثـيرة بـين الدولة الصفوية والدولـة الخالديـة وطّدت هذه العلاقـة و وسـعت مـن جوانبهـا ربـما شـملت إضافـة إلـى البعـد الديني والحـج بعض الأمـور الاقتصاديـة والتجارية.

١٤ـ الأمير سيف بن جبر الخالدي: (ت ١١٣٣هـ)

الأمـير سـيف بـن جـبر بـن ثقبـة بن خالـد الخالـدي، تـولى إمـارة الحـاج الأحسـائي في عهـد الشـيخ سـعدون بـن محمـد بـن غريـر سـنة ١١٣٣هــ، وقـد كانـت وفاتـه في (أبا الجفـان)، وهـو مـورد مـاء في جنبي العرمـة في إقليم الخـرج، في نفس هذه السـنة أثناء رجوعهـم مـن البلـد الحـرام. ففـي سـنة ١١٣٣هـ خلال شـهر صفر مـرَّ حاج الأحسـاء عـلى العـارض، وهـو تحت قيادة الأمير سـيف بـن جبر، ولعله مـرض أثنـاء الطريق فمات

في منطقة(أبـا الجفان).[1]

ومـن هـذا نـدرك طول فـترة الحج التي تبدأ مراسـمها من الأحسـاء والاسـتعدادات لهـا بعـد شـهر رمضـان المبـارك لتنطلـق ربما مـع بدايـات شـهر ذي القعـدة أو قبـل ذلك تحسباً للظـروف الطارئـة خاصة وأن موسـم الحج مرتبـط بتاريخ محدد، والعودة في شـهر صفـر وذلـك لأن الحجـاج يمكثون بعـد الحج فـترة منتظرين المجاميـع المغـادرة لمكة بعد الحـج مباشرة خاصـة التـي تبعد مسـافات بعيـدة، والتـي غالبـاً تتجـه إلى المدينـة المنورة لزيـارة النبـي الأكـرمﷺ، وفي المدينـة قد تسـتغرق فـترة البقـاء إلى قرابة الشـهر، ومن ثم تكـون رحلـة العـودة إلى الوطـن، ولم تذكر المصـادر حجـم القافلة التي انطلقـت معه، أو معـالم الطريـق، إلّا أن (أبـا الجفـان)، بالعرمـة وهي من المحطـات والمراحل التي يسـلكها الحـاج في طريقهـم إلى الديار المقدسـة ذهابـاً وإيابـاً.

١٥ـ الأمير محمد المحاوي (المحاري) الخالدي (١١٤٢هـ):

عيّنـه أمـيراً عـلى الحاج الأحسـائي أمير الأحسـاء الشـيخ سـليمان بن محمد بـن عريعر الخالـدي سـنة ١١٤٢هـ، ويظهر أنـه لم يكن بذي خـبرة وحنكة ومـراس في إدارة الأمور، ممـا جعله لقمة سـائغة لقطّاع الطـرق من قبيلة مطير. وتسـبب في إحداث مجزرة في الحاج قـرب منطقة (الحنـو)، يقـول ابـن بشر، عن بعـض تفاصيل المجـزرة الرهيبة:

«وفيهـا أقبـل حـاج كثير مـن أهـل الأحسـاء والقطيـف والبحرين وغيرهـم، ومعهم أمـوال كثـيرة فاعترضهـم عربـان (مطـير) فأخذوهـم عنـد (الحنـو) وكان يومـاً عظيـماً، والحـاج في الغايـة مـن الأمـوال والرجـال غـير أنه خـال مـن التدبـير، وأميرهم يقـال له: محمـد المحـاوي، وهم في غايـة من السـفاهة والنذالة، اسـتعمله فيهم سـليمان آل محمد آل مطـير رئيس الأحسـاء لأجل مصالحـه ولأنه من جنسـه، وكان من الحاج أعيان الأحسـاء

١ . هكـذا ذكـر اسـمه ابـن لعبـون في تاريخـه: ١٤٩، بينـما الفاخري قال في اسـمه جـبر، ولعله اشـتبه أو سـقط مـن الفاخـري، لأن ابـن لعبـون متقدم عـلى الفاخـري في التاريـخ وأكثـر قربـاً مـن الأحداث.

والقطيف والبحرين، وهلك أناس كثير، ونزعت الرحمة من قلوب الأعراب حتى أنه يهلك الهالك ما يسقونه ماءً،[1] وأخذوا الحاج الحساوي للحسوة»،[2] وهي منطقة تقع في جنوب شرق المدينة المنورة.

وفي هذا النص التاريخي مجموعة من المؤشرات المهمة من أبرزها:

إنّ قافلة الحج الأحسائي الخالدي تضم مجموعة من الحاج من الأحساء والبحرين والقطيف و«غيرهم»، في إشارة لحاج الفرس والهند ممن يأتون مع حاج الأحساء، وربما في بعض الرحلات بعض الحجاج العمانيين قادمين عن طريق البريمي.

تولى قبيلة مطير سلب الحاج عند عبورهم عبر أراضيها في طريق العودة من المدينة، وأنه قد تستخدم بعض القبائل أسلوب التشفي والانتقام لعدم تمكنها من سلبهم في طريق الذهاب إلى الحج حيث تكون مؤونتهم أكبر، وما بقي من الميزانية لديهم هو مقدار ضئيل يكفيهم للعودة فقط.

إن أمير الحاج هو من المناصب الحيويّة، وهو برغم أنه منصب تشريفي فهو في غاية الخطورة والأهمية بمكان، حيث أنّ أشدَّ مسؤولياته ومهامه تشمل التقصّي والتحرّي عن الطرق، وأيها أسلم وآمن للحاج من غيره، وكثير من القوافل تعدّ العدة للعودة من طريق ثم تعدل لغيره نتيجة لتغير الظروف الأمنية وبلوغها خطورة السير من بعض الطرق، ولعل هذا ما أشار إليه ابن بشر في تاريخه، وأن منصب أمير الحاج لا يؤخذ بالقرابة والنسب وإنما ينبغي أن يُعطى بالأهلية والخبرة.

وقد استمر بنو خالد في العناية بطريق الحاج و تسيير قوافل الحجيج طوال عهدهم ولكن المصادر التي تناولت تاريخ الدولة الخالدية أغفلت الكثير من جوانب هذه الرحلات حاولنا خلال السطور الماضية ذكر نماذج من هذا التاريخ الأحسائي خلال

١ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ٢ : ٣٧٢.

٢ . تاريخ ابن لعبون: ١٥٤.

هـذه الحقبة الزمنيـة الهامة.

١٦ـ سعود بن عبد العزيز آل سعود: (١١٦١ـ١٢٢٩هـ)

سـعود بـن عبـد العزيـز بـن محمـد آل سـعود حاكـم نجـد وملحقاتها، من الأحسـاء والقصيـم والوشـم وجبـل شـمر امتـد ملكـه مـن شـواطي الفـرات وباديـة الشـام، إلى أطـراف عُـمان واليمـن، ومـن الخليـج [الفـارسي] إلى البحـر الأحمـر.

ذهـب إلى الحـج لعـدة سـنوات كان الحـاج يرفقـه فيهـا خـلال السـنوات التـي كانت الأحسـاء خاضعـة لحكومتـه ودولتـه، لُقّـب بعد وفاتِـه سـعود الكبير.

فقـد كان أميراً لحاج الأحسـاء خلال السـنوات ١٢١٤هـ، و سـنة ١٢٢٢هـ، وكذلك سـنة ١٢٢٣هــ، وسـنة ١٢٢٤هــ، وسـنة ١٢٢٥هـ، واسـتمر في الحـج يأخـذ معه جميع المناطـق التـي تحت سـلطته، فعن سـنة ١٢٢٦هـ.

يقـول بـن بشر: «حـج حجته الثامنة سـنة ١٢٢٦هــ، فكان خروجـه في موكب مهيب شـمل مختلـف مناطـق دولتـه كالأحسـاء وعُـمان، ونجـد والجنـوب والحجـاز واليمن،[١] وخـلال هـذه السـنوات كما يظهر أنـه يأخذ كسـوة الكعبة من الأحسـاء، كما سـنبين ذلك في موضـع آخـر. إلى أن كانـت حجتـه الأخـيرة التـي حـج معـه الركب الأحسـائي سـنة ١٢٢٧هــ، حيـث سـقطت دولته عـلى يد محمد علي باشـا سـنة ١٢٢٨هـ، وكانت كسـوة الكعبة مـن مصر.

١٧ـ الأمير رجب أفندي البيكباشي: (بعد ١٢٨٨هـ)

الأمـير رجـب أفنـدي البيكبـاشي، تـولي إمارة الحـج في الركـب الـذي انطلـق مـن الأحساء سـنة ١٢٨٨هــ، وقـد رافقـه في الرحلـة مفتـي العسـكر داود السـعدي المعرف بأفنـدي البكبـاشي، الذي قـام بتدويـن تاريخ الرحلـة بـكل تفاصيلها، منـذ انطلاقها من الأحسـاء حتـى رجوعهـا، وقد ذكر خلالهـا العديد من الأحـداث التي تمثـل نموذجاً عن

١ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ١ : ٣٢٧.

معاناة الحجاج أثناء رحلتهم إلى الحج. وقد تمّ الحديث عن هذه الرحلة في موضع آخر، بما اكتنفها من عقبات وصعوبات جعلها من أفضل رحلات الحج الأحسائي الموثقة التي تكشف طبيعة الحج وما يعتوره من أحداث مرهقة، كما ذكر المنازل التي سلكها الحاج وميزة كل منزل عبروا عليه، وفيها ذكر الوقت الذي يستغرقه المسير من الأحساء إلى الديار المقدسة.

الفصل الثاني: الرفادة والأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين: الرفادة في اللغة:

رفد: الرفد، بالكسر: العطاء والصلة. والرفد، بالفتح: المصدر. رفده يرفده رفداً: أعطاه، ورفده و أرفده: أعانه، والاسم منهما الرفد. وترافدوا: أعان بعضهم بعضاً، والمرفد والمرفد: المعونة؛ وفي الحواشي لابن بري قال دكين:

خير امري قد جاء من معده — من قبله، أو رافد من بعده

الرافد: هو الذي يلي الملك ويقوم مقامه إذا غاب. والرفادة: شيء كانت قريش ترافد به في الجاهلية، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم، فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب للنبيذ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج؛ وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم، والسدانة واللواء لبني عبد الدار، وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف وسمي هاشماً لهشمه الثريد.[1]

الرفادة والأعطيات الأحسائية:

مع بزوغ فجر الإسلام بارك رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الخطوة وأيدها فاستمرت عادة وفادة الحاج والقيام على خدمته، بين رجالات المسلمين، وأصبحت عملاً تشريفياً يتبرك به ببذل الأعطيات لحجاج بيت الله الحرام.

---

١ . تاج العروس من جواهر القاموس، مصدر سابق ٣ : ١٨١ .

وقد استمر هذا العمل التشريفي في الخلافة الإسلامية، وكانت تتضمن الحلي والمجوهرات والملابس والأطعمة والأشربة، ممن يدخل السرور في نفوس الحاج وسكان الحرمين الشريفين، حتى أصبحت عادة تتميز بها مواكب الحج القادمة من العراق ومصر والشام واليمن وغيرها من مناطق خارج الجزيرة العربية.

وقد ساهم الأحسائيون في تقديم الأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين، على نسق باقي المواكب والمحامل العظيمة القادمة من مختلف الأصقاع والأقطار كالعراق والشام ومصر واليمن وغيرها من المواكب الكبيرة التي كانت ترد إلى الديار المقدسة فتوزع العطايا والمساعدات للقاطنين في الحرمين الشريفين أو إلى الحجاج المعوزين القادمين من مختلف البلدان، وهذا عرف درج عليه أمراء وأعيان المواكب الكبيرة لقرون عديدة، وسمة بارزة في المواكب القوية بحيث ينتظر وصولهم الحاج وأهل الحرمين لعلى أحر من الجمر.

والموكب الأحسائي كان أحد تلك المواكب العظيمة والمعروفة والتي وازت في بعض سنواتها المواكب المشهورة من حيث العدد والهيبة.

وقد رسد لنا التاريخ بعض الأعطيات التي كان يقدمها الأحسائيون للحاج. منها ما كان على يدي أمير الحاج، ومنها ما بذله أهل الأحساء، حبّاً للتقرّب إلى الله أولاً، وإسهاماً منهم لخدمة بلاد الحرمين الشريفين.

قال السخاوي في (الضوء اللامع) عن الأمير أجود وهو يشيد بكرمه وعطاياه للحاج، وقد أيده السيد السمهودي كونه أحد المستفيدين من تلك العطايا ويناله منها :

«أكثر من الحج في أتباع كثيرين يبلغن آلافاً مصاحباً للتصدق والبذل وغيرهم. أفاد حاصله السيد السمهودي وبالغ معي في شأنه وهو ممن يكثر البذل له».[1]

١ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ١ : ١٩٠ .

وحج الأمير أجود بن زامل في سنة ٩٠١هـ، وكانت رحلته من الأحساء إلى مكة المكرمة حيث قام بأداء فريضة الحج، ففي يوم الاثنين٥ ذي الحجة لعام ٩٠١هـ كان وقت وصوله إلى مكة.

يقول صاحب (بلوغ القرى بأخبار أم القرى): «وفي هذا اليوم دخل أجود بن زامل الجبري صاحب الحسا والقطيف وغير ذلك، ومعه خلق كثير يقال إنهم أربعة عشر ألفاً أو أكثر، وفرق عادته على أصحاب الوظائف أظن، وبعض الناس والله أعلم».[1]

وهنا إشارة مهمة في قوله وفرق عادته، في تنويه أن توزيع العطايا كان عادة له وليس حالة استثنائية على قرار مواكب الحج الكبيرة التي تأتي إلى مكة كالركب المصري والعراقي والشامي واليمني.

ويقول: «على أصحاب الوظائف أظن، وبعض الناس»، وهنا يبين مجال التوزيع يكون في اتجاهين: أولاً: أصحاب الوظائف من الأشراف وغيرهم الذين اعتادوا أخذ الهبات والعطايا من أصحاب المواكب. ثانياً: سائر الناس من المجاورين والحجاج المتواجدين في مكة، وهذه هي مجالات الصرف التي اعتاد عليها أصحاب المواكب للحج البارزين. وكانت تنتظر عطاياهم في كل عام، ويتطلع الناس لقدومهم طمعاً في نيل شيء من تلك الهبات التي توزع على أهل الديار المقدسة من الحاج وغيرهم.

وتشير بعض المصادر عن أنواع العطايا ومدى نفاستها مما يقدمه أمراء الأحساء وحكامها للحاج، ففي سنة ٩٢٦هـ حج حاكم الأحساء مقرن بن زامل الجبري، ويجلب معه العطايا والهبات التي توزع على أعيان مكة وأشرافها والأعيان والفقراء من الحجاج وغيرهم. يقول ابن أياس في بدائع الدهور: «الأمير مقرن أمير عربان بني جبر، ... و كان مالكي المذهب سيد عربان الشرق على الإطلاق، وكان أتى مكة وحجّ في العام الماضي، وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر

١ . بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مصدر سابق ١: ١١٩، ٢: ٥٧٤.

الخام والعود القماري و الحريري الملون، وغير ذلك من الأشياء التحفة، قيل: إنه لما دخل إلى مكة والمدينة تصدّق على أهل مكة والمدينة بنحو خمسين ألف دينار».[1] وفي هذا إشارة مهمة في تنوع العطايا وشمولها لأهل الدارين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة وتشتمل على العطور والأحجار الثمينة والقماش الفاخر الذي يقدم للأعيان والوجهاء وكبار الشخصيات، كما يعكس هذا الأمر البحبوحة المالية التي كانت تعيشها الأحساء خلال القرن العاشر الهجري.

ولم يكن أمر الأعطيات حكراً على ذوي المناصب من الحكم والزعامات السياسية، وإنما أمر شارك فيه التجار والأعيان والوجهاء الأحسائيون بما تسعهم القدرة والاستطاعة، فقد تركت لنا المصادر التاريخية معلومات شحيحة جدًّا عن هذا النوع من الأعطيات والهِبات، واكتفت بالإشارة إلى ما يبذله أمراء الحاج في هذا الصدد. وقد ذكرت لنا تلك المصادر عن خلف بن حمد بن مهيوب القحطاني الأحسائي،[2] المعروف بـ: «ملك التجار» (حدود ٧٩٠ـ بعد ٨٤٥هـ)،[3] المقيم في الهند، يقول تقي

١ . ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، مكتبة دار الباز: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٥ : ٤٣١.

٢ . هو خلف بن حسن بن مهيوب مبن ناصر بن مُقَدَّم بن القحطاني، ملك التجار القائم بدولة السلطان شهاب الدين أبي المغازي أحمد شاه، مُتملك كربلا، وغيرها من بلاد الهند، ولد حدود سنة ٧٩٠هـ بحصن القرمطي من الأحساء (الواقع بقرية البطالية)، و نشأ بها في كفالة أبيه، وكان من شيوخها، و قد بدأ حياته كتاجر بالهجرة إلى بلاد هرمز على الساحل الفارسي بفرسين جيدين، واشترى معهما أربعة، ومنها ذهب إلى الهند واتصل بالفقيه شمس الدين محمد الميموني، الذي شرى الأفراس منه، لتكون بذرة تجارته وسلطته، توفي بالهند في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري. المقريزي. تقي الدين أحمد بن علي (٦٧٧ـ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥ـ١٤٤٢م)، درر العقود المفيدة في تراجم الأعيان المفيدة، حققه وعلق عليه الدكتور محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٢ : ٥٧.

٣ . وذلك لأن المقريزي لم يُشر إلى موته أثناء تأليف الكتاب والذي يظهر أن وفاته كانت بعد وفاة المقريزي.

الدين المقريزي (٧٦٦ـ٨٤٥هـ) عن عطايا خلف:

«وما زال يرسل في كلِّ سنة إلى أشراف بَني حَسَن بمكة، وأشراف بَني حُسين بالمدينة النبوية بشيء من الميراث، فيقع منهم الموقع الحسن لشدَّة حاجتهم».[1]

وهذا إشارة إلى أن عطاياه كانت متكررة على مدى أعوام، ومرتبطة في الغالب بالأطعمة والمأكولات، كما فيه بيان للقدرة المالية التي كان عليها لتكون عطاياه للأشراف والتي تكون في العادة جزيلة وكبيرة. ولا يبعد أنه كان هناك غيره ولكن المصادر لم تشر، لأن معظم الرصد لتاريخ المنطقة ارتبط بالتاريخ السياسي منها فقط، وشذرات بسيطة عن الوضع الاجتماعي مما فوّت علينا الكثير من هذه الجوانب المرتبطة بوضع الحاج على مختلف الأصعدة والجوانب والتي من بينها الهبات والعطايا.

الفصل الثالث: صناعة كسوة الكعبة الشريفة في الأحساء: نبذة تاريخيّة

اشتهرت مدينة الأحساء منذ مئات السنين بصناعة النسيج، وخياطة المشالح (العباء) التي تصدرها لمختلف مناطق الخليج [الفارسي]، وكان الأمراء والزعماء داخل البلاد وخارجها يفضلون البشت الحساوي لما يمتاز به من دقة صنع وجودة حياكة لا يجدوها في المناطق الأخرى، وهي صنعة توارثها الأحسائيون جيل بعد جيل، أكسبتهم سمعة وشهرة بارزة جعلتهم يصدرون نتاجهم إلى دول الخليج [الفارسي] كالبحرين والكويت والإمارات وعمان وقطر، وغيرها كالعراق و سوريا.

وكان يختصّ بهذه المهنة عدد من الأسر الأحسائية عرفت بفنها و تميزها في هذه الصنعة، تنقلت في أفراد أسرها جيلاً بعد جيل، منهم على سبيل المثال العمار، المهدي، الحرز، الخرس، المحمد صالح، الخاجه، الرمضان، القطان، البو ناصر. القضيب، النجار، الخميس، الجعفر، البوزيد، وغيرها من العوائل التي تعود شهرتها

١ . درر العقود المفيدة في تراجم الأعيان المفيدة، مصدر سابق ٢ : ٦١ .

في هـذا الفـن لمئـات السـنين، لـو اسـتغرقنا في التفاصيـل لخرجنـا عـن الموضـوع.

هـذا الأمـر كان الخلفيـة التاريخيـة وراءَ اختيـار منطقة الأحسـاء بالخصـوص للتكفل بصناعـة كسـوة الكعبة، لما يمتاز أهل هـذا البلد من فـن و ذوق رفع في الخياطـة والحياكة ونسـج جعلهم محل أعجاب كلّ من تعامـل معهم.

ورغـم مـا لهذه المنطقة من إسـهام في كسـوة الكعبة ولو بشـكل محدود نجد أن معظم المؤرخـين لتاريخ كسـوة الكعبة يتغافـل عن هذه الجزئية مـن تاريخ الأحسـاء ويتجاوزها دون التفصيـل والتطـرق للدور الأحسـائي في هـذا الجانب الهام من كسـوة الكعبة.

عصـور صناعـة الكسـوة: تشرّفت الأحسـاء بـأن تكون لهـا حظوة ونصيـب وشرافة في نسـج كسـوة الكعبـة المشرفـة، وذلـك في عـدة عصـور وحقب سياسـية مـرّت عليها، نوجزها عـلى النحـو التالي:

العصر الأول: الدولة السعودية الأولى:

ففـي الدولة السـعودية الأولى بعـد أن سـيطر سـعود بن عبـد العزيز على مكـة المكرمة ١٢٢٠هــ واسـتطاع عـزل الشريـف غالب مـن إمارتهـا، منع دخـول الحجاج الشـاميين والمصريـين إلى مكـة المكرمـة لمـا كان يـراه مـن دخولهـم في مواكـب تتضمـن الطبـول والموسـيقى بما يتعارض مع الشـريعة الإسلامية، وكانت كسـوة الكعبة يحضرونها معهم.

وفي هـذه الحقبـة وصلـت الشـهرة الأحسـائية في صناعـة العبـاءة والنسـج الأفـاق، فـكان الأشراف والأعيان في مكة يرتدون العباءة الأحسـائية كنوع مـن التفاخر واعتراف بـما لهـذا البلد من فـن وإتقـان في صناعـة العباءة.

فقـد كان الشريـف غالـب بـن مسـاعد (١٢٠٢ـ ١٢٢٨هــ) حاكـم مكـة يرتـدي الملابـس التـي يرتديهـا كبـار أهـل مكـة وعـلى رأسـه غطـاء مـن الحريـر وعليـه عبـاءة صناعـة الأحسـاء،[١] لمـا يمتاز به هـذا البلد من جـودة وتخصص في هذه الحرفـة والصنعة.

---

١ . إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢ـ١٢٢٨هـ، مصدر سابق: ١٠٦.

هـذه السـمعة الطيبة والشـهرة الواسـعة؛ جعل سـعود بـن عبدالعزيز يكلـف الصناع والمهرة الأحسـائيين بصنع كسـوة للكعبة المشرفة، وذلك عام ١٢٢١هـ، فقد كسـا الكعبة بكسـوة أحسـائية قيلانية، وصفها لطـف الله بن أحمد جحاف اليمنـي (١١٨٩ـ١٢٤٣هـ) بالقـول: «ولما نزل سـعود إلى البيـت أمر بأن تُنزع كسـوته، وكسـا الكعبة عباءة حسـاوية قيلانيـة، وهي مـن أفخر مـا عندهم».[١]

ووصـف بن البشر الكسـوة: «أنها كسـيت في الأعـوام التالية بالقيلان الأسـود الفاخر و جُعـل إزارها و كسـوة بابها حريراً مطـرّزاً بالذهب والفضة، وفي بعـض الأحيان تكون كسـوة الباب من الحريـر الأحمر».[٢]

وبعـد دخـول محمدعلي باشـا مكة تحـدث عن كسـوة الكعبـة قائـلاً: «بـأن العمودين وجـدران الكعبـة مغطاة مـن الأعلى حتى ارتفاع خمسـة أقـدام عن أرضية الكعبة بكسـوة مـن حريـر وردي اللـون، يتخلله تطريـزات فضية».[٣]

ويؤكـد الدكتـور عبـدالله المطـوع مصداقية هـذه الروايـة: «والحقيقـة أن هـذه الرواية معقولـة جـدًّا؛ لأن الأحسـاء جـزء من دولة سـعود، بالإضافـة إلى أنها مشـهورة بالحياكة وصناعـة النسـيج الجيـد، ولهـذا فـلا يستغرب أن يكرّم بـل ويـشرّف أهالي تلـك المنطقة بصناعـة كسـوة الكعبـة المشرفة».[٤]

وفي السـنوات التـي تلتهـا مـن حكـم سـعود عـلى مكـة المكرمة كانـت تصنع كسـوة

---

١ . جحـاف، لطـف الله بـن أحمـد، درر نحـور الحـور العـين بيـسرة الإمـام المنصـور عـلي و أعـلام دولة الميامـين ١١٨٩ـ١٢٢٤هـ/ ١٧٧٥ـ١٨٠٩م، تحقيـق: إبراهيـم بـن أحمـد المقحفي مكتبة الإرشـاد: صنعـاء، الطبعـة الأولى: ١٤٢٥هـ: ٧٥٣.

٢ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ١: ٢٩٥.

٣ . إدارة مكـة المكرمـة في عهـد الدولة السـعودية الأولى: د. عبـدالله بن محمد المطوع، مجلة الـدارة، العدد الأول المحرم ١٤٢٩هـ، السـنة الرابعة والثلاثون: ٩٧.

٤ . مجلة الدارة، العدد الأول المحرم ١٤٢٩هـ، مصدر سابق: ٩٦.

الكعبة في الأحساء، وترسل إلى الحجاز لما وجد في التجربة الأولى من نجاح باهر وتميز، في الوقت الذي لم تكن أي منطقة من التي خاضعة للأمير سعود تمتلك هذه الموهبة والشهرة في الحياكة والخياطة للقيام بهذه المهمة العظيمة والشرف الكبير في الصنع خلال حكم سعود الكبير على الحجاز من سنة ١٢٢١هـ، إلى عام ١٢٢٧هـ، والتي انتهت بسيطرة محمد علي باشا عليها سنة ١٢٢٨هـ.

ففي هذه الحقبة توقفت مصر عن إرسال كسوة الكعبة المشرّفة مدة سبع سنوات حتى تستقر الأمور على أرض الحجاز، ولم ترسل للكعبة المشرّفة كسوة من مصر سوى في شوال ١٢٢٨هـ.[١]

مكان صنع الكسوة:

للمرة الأولى نسجت كسوة الكعبة بالأحساء سنة ١٢٢١هـ، في بيت أحد أبناء عائلة الشمس، وبالتحديد في منزل عيسى بن شمس بمدينة المبرز، في شارع الحاكة في فريق (حي) المجابل، وكان ذلك في وقت اشتهرت فيه عدة عوائل بحي المجابل بالمبرز بعمل نسج وخياطة المشالح، كعائلة السيافي، والبوعريش، والقديحي، والذي لا نستبعد أن يكون لهم مساهمة ومشاركة في نسج الكسوة الشريفة، إضافة لبعض النسّاج من مدينة الهفوف.

مكان صناعة الكسوة للكعبة المشرّفة في مدينة المبرّز بالأحساء، بوّابة البيت الذي كانت تصنع بداخله كسوة الكعبة المشرّفة أنقاض البيت في الوقت الحالي بعد قرار إزالته لكونه آيلاً للسقوط في السنة الثانية عام ١٢٢٢هـ، انتقلت صناعة الكسوة إلى مدينة الهفوف وبالتحديد في منزل الشيخ أحمد بن عمر الملا (ت ١٢٤٠هـ)، الواقع في حي الكوت بفريق (حي) الرويضة، وذلك لأن منزله واسع، على مساحة ألف متر

١ . حلمي، إبراهيم، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، كتاب اليوم يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم: القاهرة، د. ت]: العدد: ٣٢٠: ٥٩.

مربع، وكان ذلك بإشراف عبدالله بن إبراهيم السقوفي، وبعد الفراغ منها أرسلت إلى مكة عن طريق العقير إلى ميناء جدة، خشية عليها من قطّاع الطرق المتربصين في زوايا الطريق وبين تلاعه.[1]

والجدير بالإشارة أن حي الكوت هو مركز الحياكة وصناعة العباء في الأحساء في تلك الحقبة حيث برزت مجموعة كبيرة من الأسر كانت مصنوعاتهم ومنسوجاتهم من العباء والمشالح تصدر إلى مختلف أصقاع الجزيرة، وهم سبب شهرتها الكبيرة، من أمثال: البوزيد، أبو ناصر، الجعفر، الحرز، الخرس، الخميس، الخواجه، الرمضان، العمار، القضيب، القطان، المحمد صالح، المهدي، النجار، وغيرها.

ونتيجة للإتقان والجودة استمرت صناعة الكسوة في الأحساء إلى آخر عهد الدولة السعودية الأولى، متنقلاً نسجها بين مدينة المبرز والهفوف.

العصر الثاني: عهد الملك عبد العزيز آل سعود: نبذة تاريخية:

لن نتوغل كثيراً في تاريخ صناعة كسوة الكعبة عبر التاريخ كي لا يخرجنا عن إطار بحثنا، ولكن نشير إلى بدايات العقد الرابع من القرن الخامس عشر الهجري، حيث تشير المصادر إلى أن كسوة الكعبة منذ سنة ١٢٢٩هـ، إلى سنة ١٣٤٠هـ، أي ما يقارب (١١) سنة كانت تأتي من مصر ثم أوقفت مصر إرسالها في سنة ١٣٤١هـ، فكساها الشريف حسين بالكسوة التي بعثت بها الدولة العثمانية منذ سنة ١٣٣٣هـ، وذلك بسبب التوتر الذي نشأ بين الشريف حسين والملك فؤاد الأول، ثم قامت مصر بإرسال كسوة الكعبة سنة ١٣٤٢هـ، مرة أخرى.

إلّا أنها عادت في سنة ١٣٤٣هـ إلى انقطاعها من جديد بسبب دخول الملك

---

١ . لقاء منتشر في وسائل التواصل مع الدكتور عبد الإله الملا، حول مكان صنع كسوة الكعبة في الأحساء.

عبدالعزيز آل سعود الحجاز والاستيلاء عليها سنة ١٣٤٣هـ،[١] حيث كساها الملك في هذه السنة بكسوة من صنع الأحساء.[٢]

كسوة الكعبة سنة ١٣٤٣هـ في المصادر التاريخية:

كسيت الكعبة في صباح يوم عيد الأضحى من عام ١٣٤٣هـ، بكسوة جديدة من صنع الأحساء،[٣] وقد بلغ عدد الحجاج تلك السنة مائة ألف من داخل نجد وملحقاتها، وما يقارب من السبعة آلاف حاج من خارج الديار العربية.

وقد نشر ذلك في جريدة أم القرى الصادرة من مكة في حينه في عددها الأول: «أن الملك عبد العزيز، وعندما كان في الحجاز لم تأتِ كما هو معتاد. عندها أمر جلالته بعمل الكسوة الشريفة بالأحساء،[٤] وبالفعل تمَّ نسجها وتطريزها على أكمل وجه وأرسلت من الأحساء لمكة المكرمة في حينه و وضعت على الكعبة المشرفة صبيحة يوم عيد الأضحى المبارك عام ١٣٤٣ هجرية ١٩٢٥م».[٥]

وقد أشار الشيخ محمد طاهر كردي في كتابه «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم»، نقلاً عن تاريخ الغازي قائلاً: «إنَّ كسوة الكعبة سنة ١٣٤٣هـ، كانت من

---

١ . مؤذن، أعداد الطالب عبد العزيز عبد الرحمن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، إشراف الأستاذ الدكتور محمد رياض العتر، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم الحضارة والنظم الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠١ـ١٤٠٢هـ، غير منشورة: ٢٨٦.

٢ . كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، الهامش: ٢٨٦.

٣ . الغازي، عبدالله المكي الحنفي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقة المسمى بإتمام الكلام، دراسة وتحقيق: ا. د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، ٥ : ٧٣.

٤ . التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، مصدر سابق ٣: ٥٦٩.

٥ . جريدة أم القرى، العدد ٢٩ بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ، في صفحة: (حوادث محلية).

صنع الأحساء بأمر من الملك عبد العزيز».[1]

وإليك أخيراً نص الخبر تحت عنوان: (كسوة الكعبة المشرّفة): «فاتنا نذكر في الجزء الماضي من الجريدة خبر الكسوة الجديدة التي وضعت على الكعبة المشرّفة صباح يوم عيد الأضحى، وقد تأخر مجيء الكسوة التي تأتي من الديار المصرية فاستعيض عنها بكسوة من صنع الأحساء في الديار النجدية».[2]

ومن هذا الكلام كله نخرج بعدة أمور من أهمها:

إنّ أول كسوة للكعبة كانت بعد دخول مكة المكرمة تحت الحكم السعودي، صنعت على يد النساجين الأحسائيين، وذلك سنة ١٣٤٣هـ.

إنَّ الكسوة للكعبة المشرّفة كانت «مكسوة كسوة فاخرة»؛ كما يقول أحمد عبد الغفور، مما أدهش الحجاج المصريين وحكومتهم، أي لم تكن تقل مستوى عن الصناعة المصرية، إن لم تكن تفوقها، وهذا يؤكد عدم صحة القول إنّ الملك عبد العزيز وضع للكعبة الشريفة كسوة سنة ١٣٣٣هـ، وإلّا لكان المصريون تعرّفوا عليها أنها من صنعهم، بل ستكون بدل الإعجاب، محل سخرية وتهكم أنّ الملك لم يستطع إحضار كسوة جديدة للكعبة المشرّفة.

شهرة الأحساء الكبيرة في الحياكة ونسج الخيوط وفن التطريز ساهم في وقوع اختيار الملك عبد العزيز عليها لصنع ونسج الكسوة التي تعد من أعظم المهام تشريفاً، كما أنه يشكل تحدياً أمام الأحسائيين بنتاج عمل يتوافق مع مستوى و جودة كسوة الكعبة خلال الأعوام الماضية المصنوعة من أبرع المهرة المتمرسين، بحيث لا يلحظ الحاج و مرتاد بيت الله الحرام اختلافاً في المستوى والإتقان.

---

١ . الكعبة المشرفة وكسوتها، محمد بن سعد الشويعر، جريدة الجزيره: الجمعة ١٥ شوال، ١٤٢٠ العدد ٩٩٧٦.

٢ . جريدة أم القرى بعددها ٢٩ بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ، في صفحة: (حوادث محلية).

مكان صنع الكسوة في الأحساء:

وهي من المسائل التي شغلت الأحسائيين والباحثين بحثاً وتنقيباً وتفاخراً لعظم الأمر وأهميته، لذا سنحاول هنا الاستفادة مما نشر وتناقله الأحسائيون حول مكان صنع الكسوة سواء خلال الدولة السعودية الأولى أو الثالثة، والأسر العاملة في هذه المهمة الجليلة والعظيمة.

كان محلّ الصنع في منزل في حي المجابل بمدينة المبرز في منزل الأسره آل موسى، والذي يؤسف له أننا لم نعرف أسماء المشاركين في صنع الكسوة.

إضافةً إلى قرية الجرن القابعة في شمال الأحساء الشهيرة بالصناعات الخوصية والمداد، حيث ساهم رجالاتها ونساؤها في عهد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود في أول عهده في صناعة المداد (الحصر) للحرم المكي وقد استمر ذلك لعدة سنوات.

* * *

الباب الرابع: إطلالة على التاريخ الأحسائي في الحجاز ...

الفصل الأول: مراسلات الحج بين الدولة الصفوية وبني خالد بين عامي (١١١٧ـ١١٩٥هـ)

جرت مراسلات عديدة بين بعض الزعماء في بلاد فارس المختلفة وحاكم الأحساء، وذلك في القرن الثاني عشر الهجري.

منها ما كان من دولة بني خالد في عهد الشيخ سعدون بن محمد بن غرير الذي استمر حكمه بين عامي (١١٠٣ـ ١١٣٥هـ)، وكذلك وزيره الشيخ ناصر الأحسائي، وامتدت المراسلات إلى سنة ١١٩٥هـ، وذلك في عهد الأمير سعدون بن عريعر الخالدي بغرض طلب الاهتمام بالحجاج الإيرانيين القادمين إلى الحج عن طريق الأحساء...

...ومما يجدر ذكره أنَّ هذه الرسائل تبين الموقعية الاستراتيجية لمنطقة الأحساء،

توضّح ما تشكّله من أهمية لحجاج فارس، والمناطق القريبه منها، وسوف نتناولها من خلال العناوين التالية: عصر المراسلات: كانت المراسلات خلال وجود الحكومتين الدولة الصفوية في فارس (٩٠٧ـ١١٤٨هـ)، وبالتحديد في حكم حسين الأول بن عباس الثاني (١١٠٥ـ١١٣٥هـ)، و دولة بني خالد في الأحساء (١٠٨٠ـ١٢١٠هـ)، في الحقبة التي حكم فيها الأحساء الشيخ سعود بن عريعر، أي بين عامي (١١٠٣ـ١١٣٥هـ)، وهذه الحقبة بالتحديد قريبة من سنة ١١٢٠هـ، الفترة التي كان خلالها الشيخ ناصر الدين البويهي، وزيراً لابن عريعر، كما يقرّر ذلك الرحالة مرتضى بن علوان في رحلته إلى الأحساء، حين زارها خلال ذلك التاريخ، فقد قال: «ويذكروا (كذا) إن نصف أهلها شيعة، ونصفها سنة، ومتَّحدين اتحاد الأهل من غير عناد، وكذلك قراها، وكافلها و واليها وحاميها يقال له الشيخ سعدون من عرب خالد، ووزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر، وأنه من أولاد مروان ابن الحكم كما أخبرنا، واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين، وكل منهما راض عن الآخر».

وقد مكث في الأحساء خمسة وعشرين يوماً، من عام ١١٢٠هـ، مما يجعل هذا التاريخ هو أقرب احتمال للمراسلات، ويقوي هذا الاحتمال أنّ وفاة الشيخ محمد مسيح الكاشاني ـ وهو أحد أطراف أغلب المراسلات ـ كانت حوالى سنة ١١٢١هـ.

والشيء اللافت في هذه المراسلات أن يكون طريق الحاج الإيراني عبر الأحساء، في حين كان درب زبيدة المعروف بطريق الحاج من الكوفة إلى مكة أقرب وأسهل، خاصة المقادمين عن طريق البرّ،[1] الذين يكون طريقهم عبر العراق، ومنها إلى الديار

١. طريق الأحساء هو أقرب وأسهل الطرق بين إيران والحجاز؛ أذ أن المسافر بين إيران والحجاز يتعين أن يقطع أراضي العراق بكاملها قبل أن يدخل صحراء الجزيرة العربية، بأبطإ وسيلة نقل في ذلك الزمن وهي الحمار، حيث لم يكن الجمل مستخدماً في النقل في تلك الأصقاع، بينما يستخدم المسافرون من إيران إلى الحجاز طريق البحر إلى ميناء أو القطيف، أو الجعيمة، ثم يستقلون الجمال، يضاف إلى ذلك أن العراق كان تحت الحكم العثماني، والعلاقة بين العثمانيين والصفويين متوترة كما هو معروف.

المقدسة في طريق متكامل الخدمات، ويعبره الحاج عبر العصور؛ مما يوحي بوجود مانع جعل الحاج في العصر الصفوي يستبدل ذلك الطريق بطريق الأحساء، ومنها إلى مكة المكرمة تحت حماية ورعاية حاكم بني خالد حينها الشيخ سعدون بن عريعر الخاليد، ونائبه الشيخ ناصر الدين الأحساني.

ولكي تتضح الصورة والحركة السياسيه التي كانت تعيشها الدولة الصفوية في هذه الحقبة الزمنية بالذات ينبغي أن نشير إلى عدّة أمور من أبرزها:

إنّ السلطان حسين، آخر حكام الدولة الصفوية (١١٠٥ـ١١٣٨هـ)، والذي صعد عرش الدولة الصفوية بعد وفاة والده الشاه سليمان الذي وافته المنية في الخامس من شهر ذي الحجة سنة ١١٠٥هـ، وصل الحكم والدولة كانت تعاني من ضعف وترهل داخلي و خارجي، نتيجة للصراعات والحروب التي كانت تعاني منها الدولة على عدة جبهات، منها الجانب الأفغاني الذي كان ينشد الاستقلال عن الدولة الضعيفة التي كان حكامها مشغولين بالملذات والملهيات، ناهيك عن القدرة السياسية في إدارة الأمور، فأخذوا يغيرون على المناطق الخاضعة للنفوذ الصفوي، ويقتلون ويسلبون، منها الذي حدث سنة ١١٠٨هـ في يزد عندما أغاروا عليها وأسروا منها ٨٠٠ شخص من سكانها، ولعل أول مؤشرات الخطر الأفغاني عندما قام ميرويس الأفغاني بقتل حاكم قندهار سنة ١٢٢١هـ، والسيطرة على المدينة.[١]

ومن الجهة الأخرى الدولة العثمانية التي كانت تضيق على الدولة الصفوية وتتصيد الفرص لإسقاطها رغم انشغالها سياسيّاً وعسكريّاً بالعدو الروسي الذي كان يعيش معها حاله اقتتال. وكانت تسيطر على معظم العراق، وقد بسطت نفوذها فيه، وأخذت تضيق على الحجاج الإيرانيين و تمنعهم من العبور داخل الأراضي الخاضعة

---

١ . الموسوي، إعداد عباس حسن (كمال السيد)، نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مكتبة فدك: قم، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٤هـ: ٢٦٤.

لنفوذها وسيطرتها، إما بمنعهم من العبور أو عبر الهجمات المنظمة التي تشكل حالة قلق لدى الحاج الإيراني الذي كان يتخذ معبر زبيدة الذي هو طريق الحاج الشهير من الكوفة إلى مكة المكرمة، وتجعله يتجنب هذا الطريق قدر المستطاع.

في الوقت الذي كانت تعاني الدولة العثمانية من انهيار داخلي، مما أثر في معظم الولايات الدولة وخاصة الأقاليم النائبة كالأحساء، وزاد من ذلك مقاومة القبائل العربية للولاة والمتصرفين العثمانيين في الأحساء، وهذا السبب هو الذي مهد لنفوذ بني خالد لأخذ الحسا من يد الدولة العثمانية، وذلك في عصر السلطان محمد الرابع.[1]

ورغم ذلك حرص الخوالد على حفظ العلاقة الودية التي يشوبها الحذر مع الدولة العثمانية بعدم الإساءة لرجالات الدولة العثمانية في المناطق المسيطر عليها وإنما بإرسالهم سالمين إلى العراق، وهذا كان يتوافق مع مصلحة الدولة العثمانية التي لم تكن تريد فتح جبهة صراع جديدة لها في الخارج في الوقت الراهن على الأقل؛ إذ كان همها الأعظم أن تبقى الأحساء بعيدة عن أيدي القوى البريطانية.

في هذه الحقبة كان وجود الخوالد يعتبر كما يقول (الوزيناني): «خط الدفاع الشرقي عن مكة والمدينة وكان الخليج الشمالي خاضعاً آنذاك في مناطق الشمالية لشيوخه ورؤسائه الموالين أيضاً للدولة العثمانية، وهذا واضح مما كان يفعله بنو خالد الذين كانوا يقومون بحماية حجّاج العراق إلى الأراضي المقدسة للحج و حمايتهم من القبائل التي تقوم بقطع الطريق عليها، كقبائل الظفير وغيرها من القبائل الأخرى التي كانت تغير عليها، ففي سنة ١١٠٠هـ، قامت قبائل الظفير والفضول بقطع الطريق على حجّاج العراق بقرب التنومة؛ لهذا كان قيام حكام بني خالد بالغزوة تلو الغزوة لتأديب هؤلاء القبائل التي تتعرض لقوافل حجاج الدولة العثمانية من العراق، و حماية

---

١ . الوزيناني، إعداد الدكتور خلف بن دبلان بن خضر، الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري، دار القاهرة: القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م: ١٠٨.

قوافـل الحـج آنذاك يشـكل مظهراً هامّـاً من مظاهر وجـود الدولة العثمانية وحمايتها لشـبه الجزيرة العربية».[1]

وهـذا لم يكـن يجـري مـن بنـي خالـد دون مقابـل وفوائـد مادية تعـود عليهـم، الأمر الـذي استفاد منهـا الصفويون في تسـيير قوافلهم للحجيـج بحماية بني الخالـد الذين كان لهـم صيـت واسـع في هـذا المجال.

كـما عانـى الحـاج الإيراني والهنـدي القادم عـبر البحرين على حدٍ سـواء بعد سـيطرت الخـوارج في عُـمان، بعد شـن عـدّة هجمات عـلى جزيـرة أوال وإحـداث مجازر كبـيرة فيها كالتـي حدثـت في جزيـرة النبيـه صالح وغيرهـا، إضافة إلى قطـع طريق الحـاج القادم عبر تلك الأراضي.[2]

في ظـلّ هـذه الظـروف الصعبـة أصبـح الخيـار الأحسـائي قويّـاً، خاصـة أنهـا تعيش حالـة استقرار سياسي نسـبي في ظـلّ حكومـة الخوالـد الباسـطين نفوذهـم في المنطقـة، وكانـت لهـم درايـة بطريـق الحـاج القادمـين مـن تلـك الأنحـاء وحمايتها.

علـماً بـأنّ طريـق حـاج الأحسـاء كان يسـلكه الحجّـاج الإيرانيـون قبل ذلـك التاريخ بعـدة قرون، خصوصاً سـكان السـاحل الفارسي منهـم، والقريبين منها مـا ذكره صاحب (الفوائـد الرضويـة)، في ترجمـة (عـلي بن الحسـن بن عـلى بن محمد الـرح العامـل ما نصه: «قـال أخوه الشـيخ أحمد في (الدر المسـلوك):

«وفي سـنة سـبع وثمانـين وألـف أخـذت الأعـراب حجـاج العجـم، في طريق الحسـا بعـد مـا حجـوا، وفقـد منهـم خلـق كثـير، وكان فيمـن فقـد أخـي الأصغـر الشـيخ علي وسـلم أخـي الأكـبر الشـيخ محمـد، وكان قـد مضى عـلى طريـق البحريـن ومعـه ابن ملا خليـل القزوينـي الأخبـاري وجماعـة، ونظم قصيـدة مطلعهـا: «ركبنا مُتـون البحر في لجة

١ . الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري، الوزيناني، مصدر سابق: ١٠٩ .

٢ . نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مصدر سابق: ٢٦٤_٢٦٥ .

الأسرى، الأبيات».[1]

وقد استمر ذلك الطريق محل استحسان لدى الحجاج الأعاجم خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري، فقد كتب على نسخة من كتاب (في آداب السفر والحج) للسيد محمد باقر بن محمد تقي... لناسخ مجهول، على الغلاف الأول من المخطوط هذا التعليق الذي يعود لسنة ١٢٤٩هـ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ليعلم أنّ هذا المنسك قد اشتريناه من الأعراب الذين نهجوا حجاج العجم طريق مكة على طريق الأحساء والمطلب التخلص منه حتى لا يخفى. سنة التاسعة والأربعين بعد الألف والمائتين».[2]

مما يقودنا إلى الجزم بأن الأحساء كانت تشكّل رابطةً هامة للحاج الإيراني، وطريقاً أساسيّاً يسلكه الحجاج العجم، لماتتمتع به من أهمية قصوى، وقدرة على تأمين الحاجّ عن غيره من الطرق الأخرى، وما هذه المراسلات إلّا نتيجة دراية وخبرة قدم خلالها الحجاج من مناطق مختلفة من بلاد فارس، منهم من بندر بوشهر، وآخرون من خراسان، المشهد الرضوي، والحجاجُ الإيرانيون الذين وصلوا إلى البصرة، ولعل بعضهم من إصفهان أو غيرها من مناطق النفوذ الصفوي في تلك الفترة.

هذه الرحلات لم تكن تأتي إلى الأحساء عن طريق البر لما يتخلل هذا الطريق من مخاطر ومشاكل مع بعض البداة الذين يستغلون الحجاج من أجل النهب والسلب، وإنما تسلك الطريق البحري من الجهة الساحلية المطلة على الخليج [الفارسي] إلى ميناء العقير التابع للأحساء، ومنه إلى الديار المقدسة بالحجاز تحت الحماية الخالدية.

---

١. القمي، الشيخ عباس، الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، تحقيق: ناصر باقري بيدهندي، نشر دفتر التبليغات الإسلامي، الحوزة العلمية: قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ ش، ٢: ٢٦٢.

٢. فهرس مخطوطات الروضة الحسينية في كربلاء، سليمان هادي آل طعمة، مجلة الذخائر، العدد العاشر، ربيع ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م: ٢٠٣.

مشاكل الحاجّ الإيراني:

كان هذا الطريق خياراً جيداً نظراً لتميّزه، وتوفيره عدة أمور تشكّل نقطة هامة للحاجّ الفارسي، يمكن تلخيصها في التالي:

معرفة الطريق إلى الديار المقدسة:

إنّ معرفة الطريق المؤدي إلى المناطق المقدسة يتطلب خبرة بالمنطقة وبطرقها الوعرة من السالكة، الآمنة من الخطورة، وهو الأمر الذي كانت تفتقر لها حملة الحج الإيرانية؛ لكونها في أرض غير أرضها، ناهيك عن حاجز اللغة الذي يكون عائقاً في التواصل مع سكان المناطق التي يمرّ عبرها الطريق.

وقد كانت إدارة الحج الأحسائي المتمثل في دولة بني خالد حينها تمتلك تلك الدراية والخبرة الطويلة بالطرق وأنواعها، ومميزات كلٍ منها؛ لذا يكون من المجازفة والمخاطرة عدم الاستعانة بهم، فذلك قد يعرض الحاج للضياع.

إكرام الحجيج وتوفير سبل الراحة لهم:

و هو من المطالب التي أكذت عليها المراسلات التي وردت بين الطرفين، فقد ورد في الرسالة السادسة: «فرخَّصوا حاجّي البيت العتيق وأذنوا في الناس بالحجّ من تلك الطريق، فالطريقة الأنيقة الوفاء بما وعدتُم في أمر حُجاج بيت الله الحرام، ورعاية ما عاهدتم في عابري سبيله الأحقّاء بوظائف الإعزاز والإكرام، فإنَّ الكريم إذا وَعَد وفى». وهو أمر ضروري، لما يتخلّل الطريق من مشاق و وعورة، لم يعتدها الحاج الإيراني الذي لم يألف التضاريس الوعرة والجافة التي هي من مميزات الطبيعة في الجزيرة العربية.

توفير الحماية والأمن للحاج:

يمرّ طريق الحاج الأحسائي في وسط الجزيره العربية على عدد من الأعراب والبداة منهم الصالح الذي يكرم الحاج، ويقدم له الخدمات، و يعتبر ذلك شرفاً له،

ومنهم السارق الذي يستغل عبورهم ليفرض عليهم الاتاوات، أو نهب ما لديهم من غنائم، وقد تصل إلى الاعتداء والقتل. الأمر الذي سبب إيذاء نفسيّاً و خوفاً للحجيج الآمنين، وجعل من الأمور الملحة توفير رجال الأمن المدجّجين بالسلاح المستعدين لأي اعتداء قد يعترض طريق القافلة، وقد أشارت لذلك المراسلات الآتية.

من ذلك ما نجد في الرسالة الثانية بالقول: «أن لا يألو جهداً في كفِّ أذى الأعراب الطُغاة، و فكِ حبائل كيدِ يكادُ يكيد به سائر المردة العُتاة».

وفي الرسالة الثالثة: «حُسن المعاشرة مع الحاجّ، وصونهم عما كاد يعترضهم في السّبيل [و] الفِجاج، وتوصية الأمير والعسكر، بإتيانهم زيارة سيد البشر، عليه وآله سلام الله الأكبر».

بُعد الطريق عن نطاق سيطرة العثمانيين:

من العوامل المهمة التي كان ينظر إليها الصفويون في طريق الحاج أن يكون بعيداً عن سيطرة الدولة العثمانية التي كانت منافساً قويّاً لهم، وحيث أن الطريق البري في معظمه إما خاضعٌ لزعماء ورؤساء تابعين للسلطان العثماني، أو محفوف بالمخاطر الجمة في صحراء قاحلة، غير مأمون الجانب من اللصوص وقطّاع الطرق في منطقة يعتبرون هم أصحاب النفوذ والسيطرة فيها، فكان الخيار البحري إلى ميناء العقير، ومنه تحت حماية الخوالد إلى بلاد الحجاز من الخيارت المتازة، والمأمونة، وإن كان لا يبعد أن الخيار البري كان حضراً حينها، لكثرة الحجاج القادمين من إيران، وسيطرة قبيلة بني خالد على معظم الطريق المؤدي من البصرة إلى الأحساء، وكان يرافق الرحالة في بعض الرحلات حجاج من العراق، لتكون الرحلة في قافلة واحدة تشق طريقها نحو الأحساء لتكون طريقاً لهم إلى الديار المقدسة.

أمراء الحجّ: أمير الحاج، مصطلح تاريخي كان يستخدم منذ العصر الإسلامي الأول، ويعني أن يعين الحاكم (أميراً للحاج) يتولي قيادة الحاج والقيام على شؤونهم،

فكان هناك أمير الحاج العراقي، وأمير الحاج الشامي، وأمير الحاج المصري، وأمير الحاج اليمني، وتشير المصادر إلى اهتمام الحجاج بأمير الحاج ضمن الوفود المتحركة إلى الديار المقدسة، وكان يتم اختياره من أعيان البلاد وكبرائها المعتمدين والموثوقين لديها.

والذي نفهمه من المصادر حول أمراء الحاج في هذه الحقبة في العصر الصفوي ودور الأحسائيين في أنّ ركب الحجّ الإيراني يسير ضمن أميرين واحد لركب الحج الإيراني، وآخر لركب الحجّ الأحسايي، وقد يصحبهم في بعض الحالات ركب الحج العراقي، المختار من والي بغداد، يقول صاحب كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) المعاصر للدولة الصفوية، وهو يستطرد أحداث سنة ١١٣٢هـ، وزيارة أمير الحاج الأحسائي السلطان حسين: «فلما كان يوم الجمعة تاسع شهر رجب ورد إلى إصفهان أمير الحاج الحسائي الشيخ محمد بن خالد آل غرير، من صوب سعودن شيخ بني خالد، ونزل بمحل لطيف فايح عاطر يسمى (فهوة الناظر) بأعلى حارة الخاجو، فأقام عشرة أيام بإصفهان، ثم رحل إلى مدينة قزوين لملازمة السلطان ...».[1]

إلى أن يقول: «فلما كان ضحى السبت من ثامن شهر شعبان المعظم، عام اثنين وثلاثين و مائة وألف من هجرة النبي المكرم، لازم أمير الحاج مذكور في قزوين السلطان رفيع المرتبة والشأن، المشهور في الخافقين، واهب الألوف من صنوف الورق والعين، الملك المؤيد الشاه السلطان حسين، لا زال بجوار ربه قرير العين، صحبة الأمير المكرم ميرزا رحيم الحكيم باشي، أي حكيم الحكما، والفاضل العلّامة، شيخ الإسلام، الملا محمد حسين ملا باشي، أي عالم العلماء، فأكرمه وأحسن مثواه، وأجزل صلته وعطاه».[2]

ومن خلال النصّ يتضح أنه كانت هناك زيارات من بني خالد إلى السلطان

---

١ . نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، مصدر سابق ١ : ٣١١.

٢ . م.ن. ١ : ٣٢٢.

حسين رأس الدولة الصفوية، وأن عناية الخوالد بالحاج الإيراني تبدأ من بلاد فارس إلى الأحساء، ومنها إلى مكة المكرمة ثم المدينة المنورة، إلى رجوع الحاج إلى ديارهم سالمين، كما كانت الدولة الصفوية تعتني بأمير الحاج الأحسائي، وتسعى إلى راحته وكسب ودّه ورضاه.

إن الحجاج القادمين من بلاد فارس من أنحاء الدولة الصفوية المختلفة، سواء من قزوين أو إصفهان أو أرض خراسان (مشهد الرضا عليه السلام)، أو غيرها.

إنّ هذه العلاقة استمرت لسنوات طويلة أقلها بين سنة ١١٢٠ـ١١٩٥هـ، التي كان فيها الشيخ ناصر الدين بن بهاء الدين الخطي وزيراً ومستشاراً للشيخ سعدون، واستمرت إلى سنة ١١٣٣٥هـ، آخر أيام الشيخ سعدون، كما لا يبعد استمرارها إلى بعد هذا التاريخ.

طريق الدعوة للحج:

لكلّ بلد عاداتها و تقاليدها في دعوة الناس للحج، وإعلامهم بأنّ موسم الحج قد أقبل، فمن أراد الالتحاق بالقافلة عليه الاستعداد لذلك، ويتضمن هذا العرض التشويق وإثارة المشاعر الدينية لدى الناس لحثهم وتشجيعهم بالتوجه للحج، وهي تعدّ جزءاً من التراث والموروث، والفلكلور الشعبي، وهنا يطالعنا السيد عباس المكي، أثناء وجوده في إصفهان في هذه الفترة التي هي محل دراستنا عن مشاهداته، عن الآلية التي كانت تستخدمها الدولة الصفوية لإعلام الناس بدخول موسم الذهاب لأداء فريضة الحج فيقول:

«فلما كان خامس وعشرون من شهر شعبان المعظم عام ألف ومائة واحد وثلاثين من هجرة النبي المكرم صلى الله عليه وآله، وصل إلينا في إصفهان من قزوين أمير الحاج السيد مصطفى، من صوب باشا بغداد حسن باشا، وفي سادس وعشرين من الشهر المذكور، دارت ناقة الحج بإصفهان، وكيفية ذلك بأنهم يشدون المحامل ويسمّونها

الكجاوات على ظهور الجمال، ويركبون فوقها الأطفال، وكلهم لابسون الإحرام، ورافعون صوتهم بالتلبية لربّ الأنام، يحثون الناس لحجّ البيت الحرام، فيحصل الشوق للحج، ويرع الناس من كلّ فج، ويركب ذلك اليوم الأمير ويطوف في البلاد موكب كبير، فمن اشتاق لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله و حج بيته،[1] ...».[2] يستعد ويبادر للانضمام إليهم.

ولعلّ نفس الريقة تحدث في عدد من المدن، يجتمع بعدها الحاج من المناطق المختلفة ليسيروا في موكب موحد يضم جميع الحاج.

وقت انطلاق الحاج:

من خلال ما سبق من إشارات لقدوم أمير الحاج الأحسائي الشيخ محمد بن خالد آل غرير في شهر شعبان سنة ١١٣٢هـ، وقدوم السيد مصطفى أمير الحاج العراقي من بغداد لمرافقة الحجيج من إيران من السنة التي قبلها ١١٣١هـ، يتضح أن الحركة للحج في بلاد فارس تبدأ من نهاية شهر شعبان أو بداية شهر رمضان. نظراً لبعد الطريق، و تحسُّباً لما يتخلله من مشاق ومشاكل قد تكون غير متوقعة، وضمان الوصول قبل موسم الحج إلى الديار المقدسة.

نصوص الرسائل:

يبلغ عدد الرسائل التي استطعنا الحصول عليها (١١) رسالة ذكرها الشيخ حسين الواثقي في كتابه (ذخائر الحرمين الشريفين)، مرسلة من المسؤولين في الدولة الصفوية إلى الشيخ سعدون الخالدي، والشيخ ناصر الدين الأحسائي، وقد كتبت بلغة أدبية راقية، تنم عن مكنة لغوية عالية، إلّا أنه يمكن ملاحظة عدّة أمور عليها:

---

١ . يظهر وجود سقط في النسخة المعتمدة؛ لأن الكلام بعتدها غير مترابط، ومقطوع.

٢ . نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، مصدر سابق، ١ : ٢٥٨_٢٥٩.

إنَّ الشيء الذي يؤسف له أنّ الرسائل غير تفاعلية من طرف واحد فقط مما أفقدها جانباً مهماً عن معرفة الدور الأحسائي في طريق الحاج، وما يقدمه من خدمات؛ إذ المتوقع أنّ الرسائل المفقودة تتضمن عرض الخدمات التي كان يعمل عليها الطرف الأحسائي لخدمة الحاج، من توفير سبل الراحة والأمن والأمان لبلوغ الحاج الإيراني إلى الديار المقدسة إلى حين رجوعه، فكانت الرسائل الأخرى معظمها تقدم الثناء الجليل والمدح الجليل مقابل ذلك، وهذا بلا شك أفقد جزءاً مهمّاً من التاريخ الأحسائي.

افتقرت الرسائل إلى الأسماء والشخصيات الذين شملتهم رحلة الحج أو بعض الأحداث التي وقعت في الطريق، إضافة إلى خلوها من ذكر أي جوانب تفصيلية تكشف عن طبيعة الخدمات ومقدار المنجز منها، مما يجعل الرسائل سطحية ـ رغم أهميتها ـ وقائمةً على المجاملات في معظمها ومرتكزة على جانب الصياغة الأدبية دون التوغل في عمق العلاقة التي كانت بين الطرفين، مما جعل مجال الاستفادة منها محدوداً، قياساً لكمية الرسائل المتبادلة بينهما.

كما افتقرت الرسائل في معظمها إلى التاريخ، والبعض الآخر إلى أسماء الأشخاص المرسلين كعبارة: «من أحد رجال الدولة الصفوية» كما في الرسالة الثالثة، أو «أحد رجال الدولة الصفوية، الذي كان في بندر بوشهر»، كما في الرسالة التاسعة، أو لشخصية غير معروفة كالميرزا محمد حسين الحسيني أمير العساكر الإيرانيين في البصرة، كما في الرسالة العاشرة، مما قلل من مقدار الاستفادة من الرسائل.

الرسالة الأولى: من: المولى محمد مسيح الكاشاني.[1] إلى: الشيخ سعدون بن محمد

---

١ . محمد مسيح الكاشاني: المولى محمد مسيح الكاشاني الشهير بـ: «مولا مسيحا»، تلميذ المحقق آقاحسين الخونساري، المتوفى حوالي (١١٢١هـ)، قام بترجمة كتاب الشيخ المفيد (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد) من العربيه إلى الفارسية باسم شاه سليمان الصفوي. راجع: الطهراني، الآغابزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء: بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ٣ : ٤٤٢.

بـن غريـر الخالدي.[1]

المحتـوى: الإخوانيـة، وإعـلام بـأنّ حُجّـاج إيـران يتخـذون البـصرة طريقـاً إلى مكة المعظمـة في تلك السـنة، وإيصاء،[2] الشـيخ سـعدون بخدمـة الحجاج وحراسـتهم، فله في ذلـك خـير الدنيـا والعُقبى.

نصّ الرسالة:[3]

إنَّ أولـى مـا يليـق بِصِـدق الولاء بعد السـلام وهـو الدعاء الـذي يتفرّع على شـجرته الناميـة ثمـرةُ الفـوز بِعظيـم المـرام، أي تَمهيل بقـاء المولى الجليـل الكريم، الحـريّ بكل ما يُتحـرّى للأجلـة من التبجيل والتكريم، المحمودة شِـيَمه، الوكّافة الحـري بكل ما يتحرى للأجلـة مـن التبجيل والتكريـم، المحمودة شـيمه، الوكافة عـلى الكافة ديمـه، الزائد على ابـن زائـدة،[4] المشـهور بالسّـخاء في معنـى الـبِرّ والامتنـان، السـابق معطيّ عطائـه في طيّ مضـمار الكرم جـواد جود الطائي،[5] المعروف بفضل المعروف والإحسـان، الذي تنسـقت

---

١ . سـعدون بـن محمـد بن غريـر آل حميـد الخالدي ثالـث حكام دولـة بني خالـد (١١٠٣ـ١١٣٥هـ)، تولـى بعـد وفـاة والـده محمـد بن غريـر آل حميـد واتصـف بالشـجاعة والقـوة، حيث لقب بسـلطان الـبر، وقـد بلـغ حكم بنـي خالد الـذروة في عهد هذا الزعيم من حيث الاسـتقرار والاتسـاع ليشـمل نجـداً والمناطق الشـمالية إلى الشـام إضافـة إلى شرق الجزيره العربية، وقد عـم ـ في فترة حكمة الطويلة ـ الهـدوء النسـبي؛ إذ أذعنـت لـه القبائل، ودفعت لـه الأموال مقابل سـماحه بارتيـاد المراعي الخاضفة تحت حكمـه. راجع: موسـوعة ويكيبيديـا الإلكترونية.

٢ . إيصاء: أي توصيته.

٣ . ذخائـر الحرمـين الشريفـين، الواثقي، الشـيخ حسـين، ذخائر الحرمين الشـريفين، المكاتبـات المكية، مطبعـة اعتـماد: قم: الطبعـة الأولى: ١٤٣٦هــ ـ ٢٠١٥م، ٧: ١٩٥.

٤ . معـن بـن زائـدة: أمـير العـرب أبـو الوليد الشـيباني، من أكـرم وأجـود النـاس. كان من أمـراء متولي العراقـين يزيـد بـن عمـر بن هبـيره، فلما تملـك بنو العبـاس جـدَّ المنصـور في طلبه، وجعـل لمن يحمله إليـه مالا، قتـل غيلة سـنة ٧٦٨م. موسـوعة ويكيبيديـا الإلكترونية.

٥ . حاتـم الطائـي شـاعر عـربي جاهلي (تـوفي ٤٦هــ/ ٦٠٥م) اشـتهر بكرمه وأشـعاره وجـوده، حتى

أضـواء نجوم سـعوده، وتدفقـت أنواء غيوم جوده، باسـل بطل لدى شـجاعته بطولة كل بطـل كامل. وبطل بسـل عنـد جرأته دعوى البسـالة من كل باسـل فاضـل، كعبة الشرف والشـامة، نجـد المجـد والعز والكرامة، قطب فلك سـو المكان، بدر سماءالسـعادة الشـيخ سـعدون ـ زاده الله تعالـى بسـطةً وحشـمةً، ومن عليه بـكل منّة ونعمة.

وبـد نـشر صحيفـة الدعـاء، وبسـط بسـاط شـوق اللقـاء، فـلا يخفى عـلى مـرآة ذلك الضمـير المنـير، أنَّ في فتح طريـق البصرة،[1] يفتح لكـم أبواب النصرة، وتسـتفيدون بذلك فوائـد غزيـرةٌ، ولكم فيهـا منافع كثـيرة، وقد رخص من ذلك السـبيل، وفـد حجاج بيت الله الحـرام، ورهـط المعتمريـن المتمتعـين بإدراك المشـاعر العظـام، أُذن لهم في هذه السـنة، أجر مـن أحسـن إليهم أجـر من جاء بالحسنة.

وقـد خـرج مـن بيتـه مهاجـراً إلى الله ورسـوله، جمـع كثـير وجـم غفـير راجيـاً (آمـلاً. خ.ل) للظفـر بمأمولـه، ولقـد حاولوا بسرعة الحركـة، عوائد الاسـتباق إلى الخير والبركة، فبـادروا إليهـا عجـالاً. ونفـروا خفافـاً وثقـالاً، فينبغي لكـم الخـروج عن عهـدة العهود والمواثيـق المؤكَّـدة بغلائـظ الأيمان، والدخـول بذلـك في زمرة الذيـن سـارعوا إلى مغفرة مـن ربهـم ورضـوان، بأن تحرموا للسـعي في سـبيل الله على وجه يليق، وتحرسـوا سـالكيه الآتـين رجـالاً، وعلـى كلِّ ضامـر مـن كلِّ فـجٍ عميـق، لئـلا يصـيروا طعمـة لـكلّ ذئب مفـترس، ونهبـة لـكلّ لـصّ مختلـس، فلا يسـتطيعون لهـم نـصراً، ولا يملكون لأنفسـهم نفعـاً ولا ضراً، فليكـن اعتناؤكـم بذلك جميـلاً، والاهتمام بما فيه صـلاح أحوالكم ونجاح آمالكـم ضامنـاً وكفيـلاً، ﴿وَتَعاوَنُـوا عَلَى الْـبِرِّ وَالتَّقْوى﴾[2]

أصبـح مـضرب المثـل في الجـود والكرم، سـكن وقومـه في بـلاد الجبلين (أجا وسـلمى) التي تسـمى الأن منطقة حائل شـمال السـعودية. موسـوعة ويكيبيديـا الإلكترونية.

١ . هـو يشـير بذلـك إلى إمكانية الوصـول إلى البصرة بعـد خروجها لفترة مـن الزمن من سـيطرة الدولة العثمانية الموجـودة في بغداد.

٢ . سورة المائدة: الآية ٢.

وأطيعوا الله تعالى في الجهر والنجوى، وكيف لا يتنافس في كشف الضرّ عن الأحباب، مع ما في تنفيس الكرب من نفائس الأجر والثواب، ....

والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته.

الرسالة الثانية: من: المولى محمد مسيح الكاشاني، صهر الفقيه الآقا حسين الخوانساري. إلى: الشيخ سعدون الأحسائي.

المحتوى: جواب عن كتاب للشيخ سعدون والإخوانية، والمعاهدة لحراسة الحجاج الإيرانيين الذين اتخذوا طريقهم إلى الحج من الأحساء، وإيصاء الشيخ سعدون برعاية الحجيج، فإن تم ذلك ستكون الأحساء طريق الحجاج الإيرانيين إلى مكة المعظمة في المستقبل.

التاريخ: غير محدد، لكن حكمة الشيخ سعدون على الأحساء كانت سنة ١١٢٠هـ، مما يحتمل أن تكون الرسالة في هذه السنة.

نصّ الرسالة:

بعد حمد الله ربّ البيت الحرام، والصلاة على النبي الأمي التهامي خير من ركن إلى الركن وأقام الصلاة خلف المقام، وآله الغر الكرام أئمة الأنام، الذين لا يتم حج الإسلام من دون الوقوف بعرفة معرفتهم، ولا يتأتي إقامة صلاة المحبّة للرسول إلّا بتكبير شأنهم وتسليم مكانهم، الذي هو من جملة الأبواب لمسجد طاعه الله باب السلام.

فالداعي إلى فتح أبواب الكلام بمفاتيح الأقلام، هو تبليغ المرام إلى جناب المولى الجليل النبيل المُعترف بفضله العميم كلُّ قاصٍ و دانٍ، والمغترف من بحر كفّه الواكف الكريم توكّف،[1] الامثال والاقتران، ذي الدرِّ ... تُستَقى من رَواء،[2] صلاته البادية و زُلال هباته المتكثّرة غير الممنونة سواقي عيون الإحسان وجبابُه، وتحتسي من

---

١ . توكف: التوقع. توكف تسيل. لسان العرب.

٢ . الماء العذب، لسان العرب.

أحسائ أنديته الخافية وكرار أعطيته المتكررة المكنونة تلاءُ الأحساء وهضابه، بحر الندى والفضل الذي لا يُدرك ساحله، وبر البر والطول الذي لا يقطع مراحله، سابق فرسان البسالة والشهامة، فارس مضمار النبالة والكرامة، الغنيّ عن التعريف، الجامع لأحاسن محاسن التوصيف، باسط بساط الأمن والأمان، مولانا الأجل الأكرم الشيخ سعدان،[1] أيد الله تعالى بقاءه بالتأبيد، وكثر له بني خالد النعم الجسام، وساعده في جميع الأحوال بمساعد الجدّ السعيد، وحَماه مِن طوارق الليالي والأيام.

أمّا أولاً، فإعلام دعاء بلغ الغاية وخفقت في مظان الدجابة أعلامه، وأنهاء شوق جاوز النهاية وتبدّي من خافق الوجد والصَّبابة غرامُه.

وأمّا ثانياً، فإظهار المسرّة البالغة، والبهجة السابغة، بِورود كتابه الكريم الذي احتوى على ما يجب رعايته من أمر وَفد الحاج الآتين من الفجاج، مشتملاً على استدعاء وُفودهم من ذلك المنهاج، ومتضمّناً لشرائط؛ منها أن لا يألو جُهداً في كفُ أذى الأعراب الطُغاة، وفكُ حبائل كيدٍ يكادُ يكيد به سائر المردة العُتاة.[2]

ولما حصل الوثوق بميثاقه المرصوصِ أساسُه، وكَمل الاعتمادُ على شرطه اللآمع بنور الوفاء نِبراسُه، عرضنا هذه المراتب على مقر اللطنة الباهرة العُظمى،[3] ومستقر الدولة القاهرة الكبرى، لا زال معفراً لِجباه السلاطين، ومَلثَماً لشافه الخواقين،[4] وتعهدنا من جانبه الإيفاء بالعهود، واشترطنا من طرفه الوفاء بما التزمه من الشرط المعهود،

---

١. الصحيح سعدون بن غرير بني خالد العروف.

٢. وهو إشارة لما يتكبده الشيخ سعدون في مقاومة قطّاع الطرق من البداة الذين يستغلون موسم الحج للاعتداء على وفود الحج و نهبم.

٣. يقصد هنا مدينة إصفهان التي كانت مركز الدولة الصفوية.

٤. الخاقان: لقب لكل ملك من ملوك الترك. والجمع: خواقين، وقيل: خاقان: لقب من ألقاب السلطان، وهو لقب مغولي في الأصل. راجع: المصطلحات المتداوله في الدولة العثمانية، مصدر سابق: ٣٧٢.

ولذلـك قرن المأمول بالحصول، واقترن المسؤول بحسـن القبول، فيجـب عليكم الخروج مـن عهـدة هذه الضّمان، والدخـول في زمرة الموفـين بعهدهم عنـد الإخوان.

فـما دُمتـم مداومـين عـلى الوفـاء بالـشروط المزبورة،مسـاعدين لامـي تلـك النسـك المبرورة، يـدوم الأمـر المُطاع بذلـك، يُؤم ذلـك السـبيل فيسـلك دون غيره مـن المناهج والمسـالك، ويكـون مـشرب الإشـفاق عليـك صافيـاً، وقسـط التوجـه إليكـم مـن جهة الوفـاء بـما عاهدتـم عليـه وافيـاً، وينسـاق وفد الحـاج كلّ عـامٍ إلى ذلـك البلد ﴿وَهُـمْ مِنْ كُلِّ حَـدَبٍ يَنْسِـلُونَ﴾،[1] و يجبـى إليـه ثمـرات كلُ شيء فـيرزق أهلـه منها وهـم في ناعم العيـش يتنعمون، ويكـونُ أبـواب الخصـب والرَّخـاء عـلى قاطني تلـك البـلاد مفتوحةٌ، وبنعـم لسـاكنيها البـالُ عـن الجدب والسـنين مـدى الدهـر مندوحة.[2]

هـذا مع ما يسـتحب بـل يجب من تـرك التواني في إسـعاف الحجيـج وإكرامهم، وعدم طـي الكشـح عـن رعاية جانبهم والسـعي في إنجـاح مرامهم فـإن إكرام أضيـاف الله خيرُ سـجية وشـيمة، ولا يبلـغ ذروة فضلـه العـالي مـن فضائـل الكرائـم، لا زال حبـل ولاء الأحبـاء ممـدوداً سـالماً عن الانفصـام، وبابُ حـوادث الزمان عـلى الأصدقاء مسـدوداً ما طـرز عباءُ سـواد الليالي بطـراز بيـاض الأيام.

الرسالة الثالثة: من: أحد رجال الدولة الصفوية.[3] إلى: الشيخ سعدون والي الأحساء.

المحتـوى: وصـول كتـاب الشـيخ سـعدون، موافقـة الحكومـة الإيرانيـة عـلى طلـب الشـيخ سـعدون بإرسـال قوافـل الحجـاج مـن طريق الأحسـاء إلى الحـج، إيصاء الشـيخ سـعدون بحُسـن المعـاشرة مـع الحجـاج، وبـذل الخدمـة لهـم. توصيـة الأمير والعسـكر

---

١ . الأنبياء: ٩٦.

٢ . إشـارة لوجـود عطايـا ومنـح تبذل مقابـل ما يقوم به الشـيخ سـعدون من خدمات لحجـاج بيت الله الحـرام عند توفـير الأمن وسـبل الراحة لهم.

٣ . ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق، ٧: ٢٠٢.

أن يمرروا القوافل من المدينة المنورة ليزور الحجاج ضريح سيد البشر صلى الله عليه وآله. التاريخ: حوالي سنة ١١٢٠هـ. المصدر: المخطوطة المرقمة ١٨٣٩٣ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ص٤.

نصّ الرسالة:

التسليمات الزاكيات التي تنشأ من حشاشة الفؤاد، والتحيات الناميات التي تهبُ شميمها من مصر المودّة والاتحاد، تخص بها الشيخ الأجل، والمقام الأمثل، ذو العز الأثيل، والمجد الأصيل، شرف الأروم والقبائل، وسلالة الأماجد والأماثل، شمس السماحة من سماء جبهته طالعة، وبدر النجابة من فلك نجدته ساطعة، ينهدم إركان الصّفوف إذا ركب، ويُقعد قائمة السُّيوف إذا ضرب، لو وزن البحر المحيط بكفِّه ميزان الاعتبار لكان كفُّه ميزان الاعتبار، ولكان كفُّه راجحاً، أو قيس السحاب الماطر بجوده، ونواله، لكان السحاب لِقطر الخجل سائحاً.

وبعد، فلقد وصل إلينا كتابكم السامي، وخطابكم النامي، ولقد عرضنا كل ما صدَّرتموه فيه،[1] علي،[2] ...، وقلنا: إنّ الشيخ كلامه وذمامه ذمام، وتعهدنا ثانياً من قبلكم، وصار حسن سلوككم في العام الغابر سبباً لمزيد رغبة الأكابر والأصاغر، و عليكم بلزوم الطريقة الغرّاء، وتعاهد المحجة البيضاء أعني حُسن المعاشرة مع الحاجّ، وصونهم عمّا كاد يعترضهم في السُّبيل [و] الفِجاج، وتوصية الأمير والعسكر،[3] بإتيانهم زيارة سيد البشر،[4]

---

١ . إشارة لوجود مطالب لدى الشيخ سعدون مقابل الخدمات التي يقدمها للحجاج الإيرانيين، وهي بلا شك لو ذكرت لكشفت أمور هامة.

٢ . يوجد سقط في المخطوط، والظاهر أن السقط هو اسم السلطان في إيران آنذاك.

٣ . إشارة إلى أن موكب الحج الإيراني يذهب إلى الحج مع ما يقرره الشيخ سعدون يرافقهم أمير ومجموعة من العسكر من أجل توفير الحماية لهم.

٤ . بأخذهم إلى المدينة بعد أداء مراسم الحج، فقد ورد في الحديث: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»، راجع: بحار الأنوار، مصدر سابق ٩٩ : ٣٧٢.

عليه وآله سلام الله الأكبر، وعدم الزيادة عليهم عمّا قرّر وسطر. وكلما سنح لكم من أمر في هذه البلاد فعليكم الإعلام وعلينا الإتمام، وعليكم من الله العلّام سلام.

الرسالة الرابعة: مِن: المولى محمد مسيح الكاشاني،[1] إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي،[2] وكان وزيراً لوالي الأحساء الشيخ سعدون.

المحتوى: الإخوانية، وجواب عن كتاب الشيخ ناصر الدين الأحسائي.

التاريخ: حدود سنة ١١٢٠هـ، حيث كان مشتغلاً بالوزارة كما ذكر ذلك السيد مرتضى بن علوان الدمشقي في رحلته المكية.

المصدر: المجموعة المرقمة ٨٣ في مكتبة حجة الإسلام الگلپايگاني بگلپايگان بإيران، الصفحات: ١٣٩ ـ ١٤٢.

ـ المجموعة المرقمة ١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي بقم.

---

١ . من ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق، ٧ : ٢٠٤.

٢ . الشيخ ناصر بن بهاء الدين الخطي الأحسائي، كان حيّاً سنة ١١٢٠هـ، من بيت علم. فوالده الشيخ بهاءالدين من الأعلام، عاش في القطيف، ثم عين وزيراً للشيخ سعدون حاكم الأحساء وأمير بني خالد، ذكره ابن علوان الدمشقي في رحلته إلى الأحساء سنة ١١٢٠هـ، فقال فيه: «ويذكروا أن نصف أهلها شيعة ونصفها سنة ومتحدين اتحاد الأهل من غير عناد، وكذلك قراها و كافلها و واليها و حاميها يقال له الشيخ سعدون من عرب خالد و وزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر. وأنه من أولاد مروان ابن الحكم، كما أخبرنا واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين وكل منهما راض عن الأخر»، ووصف في العديد من الرسائل الواردة بالعلم والفضل، والمنزلة العلمية العالية، منها: (والشيخ الجليل الحريّ بكلِّ تبجيل و تكريم، السيّد العالم الهُمام البعيد الهمّة، المجلوّ بأنوار علومه ظُلمات الجهالات المُدلهِمة، ذي المكارم والفضائل، قدوةِ أنوار المعارف وأضوائها، ومصباحِها المنير لصَباحها ومسائها). راجع: رحلة مرتضى بن علوان إلى الأماكن المقدسة والأحساء والكويت والعراق، تحقيق و تعليق: أ. د. سعيد بن عمر آل عمر، مكتبة المتنبك الدمام، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ: ٦٧. العويناتي، الشيخ عبد الزهراء، وزير دولة آل حميدان الخالديين الشيخ ناصر بن بهاءالدين الخطي، تموز: دمشق الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م: ٣٠.

نصّ الرسالة:

إنّ أبهى ما يرقّم في صكوك الصدور. من الغرر التي تباهي درر النحور، وأبهر ما ينظم في سلوك السّطور، من فرائد الفوائد التي تباهر اللآلي البحور، تحيّات رُقمت بطراز الوداد برودها، وتسليماتٌ نُظمت بأنامل الاتحاد عقودها، يليها الثناء الذي يلي الوفاء بعهود الولاء، ويتلوها الدّعاء الذي يُتلى على ألسن الدّاعين لدى ذِكر الأحبّاء، بأن يدوم وجودُ جناب المولى الكريم، والشيخ الجليل الحريّ بكلّ تبجيل وتكريم، السيّد العالم الهُمام البعيد الهمّة، المجلوِّ بأنوار علومه ظُلمات الجهالات المُدلهِمة، ذي المكارم والفضائل، قُدوة الأكارم والأماثل، جامع شَمل الفنون العلمية، قاطِف ثمرات الأعمال من أصول العلوم الدينية،[1] مشكاة أنوار المعارف وأضوائها، ومِصباحِها المُنير لصَباحها ومسائها، الذي تَحلى بحلية الكرم والإحسان، و تزيّن بزينة كُلِّ خليقة من الخلائق الحسان، واحتوى على محامِدِ ذوي الأنساب والأحساب، وانتهى في مَحاسن الآداب إلى مرتبة قصُرت عن الوصول إلى تقريرها يدُ الإطناب، كهف الحاجّ والمُعتمرين، مولانا الشيخ ناصر الدين، أعلى الله تعالى بِناء مَعاليه، وأعزه في دولة كريمة يُعزُّ بها الفضلُ وأهاليه.

وبعد طيّ مراحل الاشتياق الذي قبل الوصول إلى غايته يَكبُو جوادُ القلم في ميدان بَيانه، وبسطِ بِساط الوِفاق الذي دُون البُلوغ إلى نهايته يَصدأ صارِم اليراع إذا تَصدّى لِقطع طريق شرحه وتبيانه، فالمكشوفُ على ضميره المنير أنه قد ورد في أشرف الساعات، وأكرم الأوقات، كتابه الكريم، وخطابُه الوَسيم، فابتسمت بوصوله أزهار حدائق الارتباط، وانفتحت بوروده وُرود رياض المسرّة والانبساط. لا أدري

---

١ . وهو إشارة واضحة إلى أن الشيخ ناصر الدين الأحسائي، إضافة إلى منصبه السياسي كوزير للشيخ سعدون الخالدي، هو من رجال العلم الأعلام الذين لهم مكانة دينية مرموقة، ويمتلك في قلمه لغة أدبية وعلمية راقية، جعلته محل الثناء والإعجاب، وإن كان الكلام هنا لا يخلو من مبالغة.

كيف أصِفُ جزّالة ذلك الكتّاب الذي قد انفرد في بابه، وليت شعري بأيّ يراعةٍ أرقُم براعة ذلك الرقيم الذي هو كهفُ لأصحاب الإرب وأربابه، لا يتأتّى مِن جّواد القلم أن يأتي بمثله الذي هو بعيد المَنال، ولمّا كان الغَرض مُنحصراً في إبلاغ التسليمات المُستطابة، وتبليغ الدعوات البالغة كعبة الإجابة، ختمت رسالة الكلام، بخاتمة الدعاء والسلام، قائلاً: لا زالت حاضرة لديكم أسباب التوفيق وأدواته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرسالة الخامسة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني. إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي الذي كان وزيراً لوالي الأحساء الشيخ سعدون.

المحتوى: جواب عن كتاب الشيخ ناصر الدين. التاريخ: يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١١٢٠هـ، السنة التي كان فيها وزيراً للشيخ سعدون، كما ذكر ذلك مرتضى ابن علوان الدمشقي في رحلته إلى الأحساء. المصدر: المجموعة المخطوطة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، الورقة ٨٧ حدوداً.

نصّ الرسالة:

حبذا مِن مُطوفات أقلام جناب المولى العالم الفاضل البارع الذي ثَقّف بالبراعة سِهام الفضل وقِداحَه، وأدار على مُشرّبيي ذلك المشرب الهنييء كُؤسه وأقداحه، محددٍ جهات مكارم الأخلاق، مُجدّد آثار المآثر والمحامد على الإطلاق، فرع دوحة المجد الباهر، والشرف الناضِر، مَخدومِنا الماجد الشريف الشيخ ناصر نَصرهُ الله تعالى بفضله وكرمه، وفتح عليه أبواب أياديه ونِعمه.

إذ ألقت إلينا من وَكر الولاء القديم بيضة أنيقة من كتابه الكريم، فانفلقت كالصبح الصّادق عن نهارٍ صدق الوداد، وكشفت بما أنتجت من ظهورِ سَلامة تلك الذات الكريمة ذاتٍ مكارم الصّفات، عمّا أقرّ العينَ وسرَّ سُرة الفُؤاد، فساعده الله تعالى بكلِّ

سـعادةٍ، ومـنَّ علينـا بطول بقائـه الذي هو أحَلـى من الحياة المُعـادة، ثمّ المكشـوف،[1] ...

الرسـالة السادسـة: مـن: المـولى محمـد مسـيح الكاشـاني. إلى: الشـيخ نـاصر الديـن الأحسـائي.

المحتـوى: جـواب عـن كتـاب الشـيخ نـاصر الدين، الـذي طلب مـن سـلطان إيران أن يتخـذ حجـاج إيـران طريقهـم إلى الحـج مـن الأحسـاء، فوافـق السـلطان عـلى ذلك، مـع إيصائـه بوفـاء العهد بالحفـاظ على سـلامة الحجـاج ورعايتهـم في الطريـق. المصدر: المجموعـة المرقمـة ١١٦٣٩ في مكتبـة آيـة الله السـيد المرعـشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبـة مجلـس الشـورى الإسـلامي، ورقة ٩٨.

نصّ الرسالة:

المسـؤول مـن مُجيـب الدعـاء، الخـالي عـن شـوائب الرّيـاء الحَـريّ بالاجابـة، الوصل سـهمه المـارقُ عـن جنية عَـرض المـرام إلى غرض الإصابـة، أن يُديـم بقاءُ حضـرة المولى الكريـم، الخلـق لـدى الخليفـة بلـوازم التعظيـم والتكريـم، المعـروف بالعلـم والعرفان، الموصُـوف بالجـود والإحسـان، قُطـب سَـماء الفضـل والشَّـهامة، مركـز دائـرة العـزّ والكرامـة، قـدوةِ الأكارم يقتـدي بـه كلُّ غَمـرِ الـرداء في صـلاة الصَّـلات، وأسـوةِ ذوي المكـارِم يُقلده كلُّ من اجتهد مِنْ سـالكي مسـالك العطاء في سـبيل الخـيرات، هف الحاج والمعتمريـن، مولانـا الأعـز الأكـرم الشـيخ نـاصر الدين حَمَـى الله تعـالى حمـاه، و وقاه من كلِّ سـوءٍ و حمـاه، إذ مَـنَّ على الدّاعي لبقـاء الأحباب، الرّاجي لخيرهـم وصلاحهم في كلّ بـاب، بإرسـال كتابٍ كريمٍ شـهدتْ بفضـل براعته بـوارع الأرقام، ونطقت بِسـبق يراعتِه نواطـق الأقلام، وكشـفت حِسـانُ فقراتِه عن ظهور حُسـن الإخاء، وتفتقـت كِمام ألفاظه وعباراتـه عـن زُهـور المحبـة والـولاء، فحرّك شـوقاً لا يـزال في البال بَل في سـائر الجسـد تزايُـده، وَبعـثَ توقـاً لا ينفـك عن الخلـد كثيرهُ وزائـده، فلا زال بيـتُ وُجُـوده المبنيّ على

---

١ . باقي نص الرسالة مفقود في المصدر.

تحري الخير في كلب بابٍ معموراً، وسعيُه الجميل المُبتدأ من صفاء الطوية في طيِّ طريق الثواب مشكوراً.

وبعد إهداء هَدي الدعاء البالغ كعبة الإجابة، فالمنتهى إلى ذلك الجَناب الذي تنتهي إليه مآثر النجابة، أن وردة عريضته المُرسلة إلى مَقرِّ الخلافة الكبرى، ومستقر المُلكة العُظمى، في استدعاء رُخصة الحجيج من طريق الأحساء، قد فُتحت في حديقة حضور أولياء الدولة القاهرة، وعرضت بأسرها على أركان السلطنة الباهرة، ولمّا فاح مِن طيِّ أرقامها رياً في عرض المراد، وفاح من مسك ختامها أريج صِدق الولاء وخلوص الاعتقاد، تلقُوها بالقبول، وجعلوها مفتاحاً لِباب إجابة المأمول، فرخَّصوا حاجّي البيت العتيق وأذنوا في الناس بالحجّ من تلك الطريق، فالطريقة الأنيقة الوفاء بما وعدتُم في أمر حُجاج بيت الله الحرام، ورعاية ما عاهدتم في عابري سبيله الأحقّاء بوظائف الإعزاز والإكرام، فإن الكريم إذا وَعَد وفى، ومنْ أوفى بما عاهدَ عليه فله الجزاءُ الأوفى،[1] مع ما في ذلك من ترويج الملّة الباهرة، ومنافع أخرى لمن يريد الدُّنيا وحسن ثواب الآخرة، ولمّا صُدَّ القلمُ عن حَصر فوائده الجمّة، وأُحصِر عن عَدُ عوائده المهمّة، عاد عن الإحرام لبسط الكلام، وأرسل هديُ التحية ثم أُحِل بوادي السّلام.

الرسالة السابعة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني.[2] إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي.

المحتوى: الودية والإخوانية. التاريخ: في القرن الثاني عشر، حدود سنة ١١٢٠هـ. المصدر: المجموعة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران الورقة ٨٧ حدوداً.

---

١ . إشارة لما تقدمه الدولة الصفوية مقابل تسهيل أمر الحاج، ولما في مساعدتهم على أداء هذه الفريضة الواجبة، ونقلهم بأمن و أمان من فوائد دنيوية وآخروية.

٢ . ذخائر الحرمين الشريفين. مصدر سابق ٧ : ٢١٢.

نصّ الرسالة:

أبهى سَلام سَمتْ في سماء القبول شُموسه وأقماره، ودار في فَلك البلوغ والوصول ثابتهُ وسيّارُه، وأنمي دُعاءِ جرَت في رِياض الإجابة أنهاره، ... وشمسُ فضلٍ أصبح بإفاضة حقائقه اللاّمعة ليلُ الفضائل نهاراً. فاضلٌ يُضاهي الصّبح عمودُ كَماله، و عالمٌ أورق بالعرفان عُودُ إفضاله، المولى المَلكيّ الآداب، والصاحب المستغني عن الإطالة في الألقاب، فلان.

والمرجو ممن يُجيب دعوة الدّاعِ إذا دعاه، ويُنادي في كل نادٍ لبسط فضله ونداه، ... ويُمد الرَّاجين فيمُد بطويل الرّجاء مدى مديد و جوده السامي.

أمّا بعد ... فإن المُحب المُشتاق وإن أبعدتهُ طوارقُ البِعاد عن التطرقِ إلى مجلس الحضور، وصرفتهُ صَوارِف الهَجر عن الاستضاءة بنور لقائه المحفوف بصنوف البهجة والسرور، لكنَّ مَناطق النُّطق بالثّناء على اللُسان مشدُودةٌ، وأيدي الدُّعاء في أكثر المظان مبسوطة وممدُودةٌ، سائلاً منه سبحانه أن يرفع مراتبه الفاخرة، ويسمع مطالبه في الدنيا والآخرة.

ثم المُلتمسُ منه دام فضله أن يذكرني بصالح الدُعاء، ولا ينساني في تلك الأماكن الشريفة التي يستضيء بنورها في الأرض نجوم السّماء، وأن يؤكد أركان الولاء في أكثر الأوقات، بإرسال صحائف الوداد المشتملة على حقائق الأحوال وإظهار ما اتفق من المُهمّات.

والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته

الرسالة الثامنة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني[1] إلى: الشخ ناصر الدين الأحسائي.

المحتوى: جواب عن كتاب الشيخ ناصر، وإعلام وصول مكتوبه، وإيصاؤه بوجوب الوفاء بالعهد الذي مضي حول الحفاظ على حجاج إيران في طريق الحج و

١ . ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق. ٧ : ٢١٢.

مراعاتهم. التاريخ: لعلها في سنة ١١٢٠هـ، حيث كان الشيخ ناصر وزيراً تابعاً للشيخ سعدون الخالدي. المصدر: المجموعة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، الورقة ٨٧ حدوداً.

نصّ الرسالة:

أيّد الله تعالى بقاء جناب المولى الفاضل، والصديق الوفي نقاوة الأكارم والأفاضل، واقفِ مواقف الفضل والكرم، عالمِ معالم الهداية يهدي للتي هي أقوم، جامع الشمائل الحميدة، حاوي الفضائل العديدة، رافع ألوية الفتوة والسّماحة، ناصِب رايات البلاغة والفصاحة، الأديب الساطع نورُه في آفاق مَحاسن الآداب، والأريب المُفتقِ نورُه في رياض محامد الألقاب. امتدَّ في البراعة باعُه، وبرع في طريق الكرامة حتى شَقَّ على من رامَ شَقَّ غُباره أتّباعه، جامع شتات المآثر، مولانا الألمعي الشيخ ناصر، رفع الله تعالى مقامه، وشغل بإعانة المؤمنين لياليه وأيامه.

أما بعد ...

فقد طلع من مَشرق الولاء الكامِن في صَدفة السُّوَيداء كالدرّ المكنون بأرقُ ابتهاج تجلّي كُنوز الشمس في مرايا العيون، خير بُرهةٍ من الأوقات، وأحسن دبانٍ يَحوي السعادات، إذ تفتح فيه وردُ وُرود كتابكم الكريم الذي أتاني، مُحتوياً على بديع البيان والمعاني، فكمّ مِن موهبةٍ هنيئةٍ قد أعطاني، وبُهجةٍ مُونِقةٍ قد إراني، فتمتع شَوقُ الوصال بصلة وصُوله، تنعم ذوقُ البال بنعمة حُلوله، والمرجوّ مِن طيبِ خلائقكم الحسان، تكرير هذا الإحسان، فإنه المسك ما كرّرته يتضوّع، وغُصنُ الإخاء بتكرّر صحائف الولاء يتورّق، وأصله به يتفرّع.

ثم المكشوف على ذلك الضمير المنير، والمشهود لدى ذلك الرأي المُستنير، أن ما أشعرتم به في طيّ تلك البطاقة الكريمة من أمر الحاج، والسعي في إرسالهم من

ذلك المنهاج، قد حصل بأي طريقٍ تأتي، وتجلّى في مرآة الحصول على أحسن وجه من وجوهِ شتى، كما زُبر فيما كُتب إلى جناب المولى الأجل الأكرم، ناشِرٍ لواء المجد والكرم، ناسك مناسك الفضل والإحسان، الشيخ سعدون، متّعه الله بالعيش البهيج، وأعانه بإعانة طرائف المعتمرين والحجيج، والمأمول من صِدق عُهودكم السّعيُ في صفاء المحبة، والاهتمام بوفائه بما عاهد عليه الأحبة، ...

والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته

الرسالة التاسعة: من: أحد رجال الدولة الصفوية،[1] ويظهر أنه من السادة، الذي كان في «بندر بوشهر».[2] في ذي القعدة الحرام سنة ١١١٧هـ، عند كتابة هذا المكتوب.

إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي.

المحتوى: ودية. وتحبيذ بحسن سلوك الشيخ ناصر مع الحجاج الذين طريقهم من الأحساء، كما آخبر العالم الفاضل المولى أبو الحسن، وأيصاؤه بخدمة الحجاج ليكون هذا الطريق مفتوحاً دائماً للحجاج الإيرانيين، وإرسال صاحب المكتوب ابنيه السيد محمد حسين والسيد محمداً إلى الحج من هذا الطريق في عام ١١١٧هـ، والتوصية بهما. التاريخ: ذو القعدة الحرام سنة ١١١٧هـ. المصدر: المنشآت المخطوطة المرقمة ١٨٣٩٣ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ص٢-٣.

---

١ . لم نستطع التوصل إلى اسمه.

٢ . مدينة بوشهر عاصمة محافظة بوشهر في جنوب إيران على الساحل الشرقي للخليج الفارسي، تبعد عن مدينة الأهواز مسافة ٤٣٤كيلومتراً إلى الجنوب، ذكر المستشرق والمؤرخ في صفحة ٣٤ من كتابه: «عرب الخليج»، وتقع بوشهر إلى الغرب من ري شهر، وقد أصبحت خلال القرن الثامن عشر أهم ميناء في إقليم فارس، وكانت مقرّاً عربيّاً. وفي أوائل عام ١١٣٩هـ، خطط الإنكليز لإقامة وكالة ومقر لهم في بوشهر. ولقد نشطت الشركة الهولندية هناك عام١١٤٩هـ، وينتمي سكان بوشهر كما ذكر كنيبهاوزن إلى «ابو مهير»، القبيلة العربية العمانية، والتي انحدت من ضواحي مسقط، أنظر: سلوت. ب. ج، ١٩٩٣. عرب الخليج ١٦٠٢-١٧٨٤، ترجمة عايدة خوري. النسخة العربية من إصدار المجمع الثقافي في أبوظبي. الطبعة الأولى: ١٩٩٣م: ٣٠٥.

نصّ الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد إتحاف ثناء بعجز عن تحمّلها الأوراق، وأهداء دعاء لا يتحمّلها مطايا الاشتياق، إلى جناب الشيخ الأجل. والصديق الأمثل، ذي الأوصاف الوضيّة، والأخلاق المرضية، فرد أفراد الدهر، وواحد آحاد العصر، عارج معارج الفضل والنهى، صاعد مصاعد السعادة في الآخرة والأولى، عنوان صحيفة مكارمه موشّح بذهب حمائد الخصال. وديوان مناقبه مرقوم من مداد العزّ والإقبال، عجزت ألسنة الأقلام عن الإطراء في مِدحته، وضاقت صفحات الأوراق عن تحمّل كريم خصلته، ذي العز الشامخ الباذخ، شيخ أعاظم المشايخ، بل أفضلهم من السوالف والغوابر، الشيخ ناصر، لا زال من الخالق منصوراً، وعند الخلائق مشكوراً.

فالشوق إلى كريم لقائكم على حيث يضيق عن الإحاطة به نطاق البيان، حيث اشتهرت مدائحكم في الأصقاع والبلدان، لا سيما بعدها ما حكى الشريف الفاضل، والعالم العامل، قرّة عيني وحبيب قلبي المولى أبو الحسن ـ وفقه الله تعالى ـ من أوصافكم ما تبهر فيه العقول، وتتعجب منه الفحول، و خصوصاً حُسن السلوك مع الحاج في الام الغابر، جزاكم الله في ذلك خير الجزاء.

وحيث علمنا من مدائح أخلاقكم، ومحاسن أوصافكم، سالفاً و انفاً، تعهدنا عند الحضرة البهيّة السلطانية ـ أيدها الله بالنصر والتمكين، وأيدها بجنود من الملائكة مُرادفين ـ مِنْ قِبلكم لأجل الحاج، وعرضنا عليه: إنّ كلامكم كلام، وذمامكم ذمام، فعند ذلك رخص الحاج، وأمر بإدارة المحمل على طريق الأحساء ـ صانه الله عن ضروب البلاء ـ ولمّا اطمأن قلبي من تلقائكم غاية الاطمئنان، رخَصت قرّة عيني، وفلذة كبدي، وثمرة فؤادي، محمد حسين و [ال] سيد محمد ـ أنشأهما الله نشأ الصالحين، وردّهما وسائر الحاج على أوطانهم سالمين غانمين ـ.

ونحن نوصيكم أولاً برعاية الحاج، وحفظهم عمّا يعترضم في السُبُل والفجاج،

ليكـون ذلـك سـبباً لفتح هـذا الطريـق، ورفع ما يعتريـه في بعـض الأحيان مـن التعويق، كيـلا يظهـر الأمـر خلافَ مـا تعهّدنا، وثانيـاً أن يكـون الولَـدانِ في ظل مِن عزّكـم، ومحلّ مـن مجدكـم، والله الموفـق لكل خير، والسـلام مـن الله السـلام عليكم.

الرسـالة العـاشرة:، [1] مـن: الميرزا محمد حسـين الحسـيني أمـير العسـاكر الإيرانيين في البـصرة.[2] المنشيء: العالم السيد محمد علي بن محمد حسـين الموسـوي الجزائـري الغروي، كان وزيـر جعفـر خان بن صـادق خانزند، وهو شـاعر كبـير، يحتمل الواثقـي في كتابه أنه كان كتـاب الرسـائل في حكومـة فـارس بشـيراز.[3] إلـى: الشـيخ سـعدون بـن عريعر بن دجين، من بنـي خالـد (١١٨٨ـ١٢٠٠هـ).

المحتـوى: ١ـ الإخبـار بغلبـة الجنـود الإيرانيـين عـلى الطغـاة. ٢ـ فتح طريـق الحجاج الإيرانيـين مـن ذلـك الجانـب بعـد أن كان مغلقـاً بسـبب الرتحـال سـلطان إيـران و عدم الأمـن. ٣ـ التوصيـة لعامـة الحجـاج والمعتمريـن بحفظهـم واسـترضاء خاطرهـم. ٤ـالتوصيـة بميرزا محمـد حامل هذا المكتـوب الذي قصد زيـارة البيت الحـرام. التاريخ: ٢ رمضـان المبـارك ١١٩٤هـ. المصدر: المخطوط المرقـم ١٦٧٦ في مكتبة الوطنية بطهران، الصفحـة ٢٦٢ـ٢٦٤ حـدوداً.

نصّ الرسالة:

جـرى حكمنـا العالي، عـلى خلاصة الأماجـد والأعاظم، سـلالة الأكابـر والأفاخم، غُـرة وجـه الـلآلي، وقمر براقـع الترافـع والتعالي، شـيخ المشـايخ المعظمين، فخـر الأكابر المفخمـين، قـدوة القبائـل، وزبـدة الأماثـل، الشـيخ سـعدون، أسـعده الله تعالـى بهدايـة

---

١ . ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق ٧ : ٢٢٠.

٢ . أحـد قـوّاد الدولـة الصفويـة بعد سـيطرتها عـلى بلدة البـصرة في حربها مـع العثمانيين، الذين بسـطوا نفوذهـم عـلى معظم العـراق. ذخائـر الحرمين الشريفـين، ٧ : ٢٢٠.

٣ . ذخائر الحرمين الشريفين، ٧: ٢٢٠.

المُحرِمين، وحداية القاصدين. إلى زياره سيد الأنام عليه آلاف التحية والسلام.

بعد الوثوق بالله، والاتكال على الله، فكن على أسرّ حالٍ بما أتّفق لنا من الفتوحات العظيمة على الفئة الباغية، وأفرح بالٍ بغلبة جُندنا الغالب على الطائفة الطاغية، فبحمد الله تشتّت شملهم، وتفرّق جمعهم، حتى ما بقي منهم إلّا شرذمة قليله في غاية الندامة والنكال، المتحيرين في أسوء حال في البراري والجبال،[1] فانتظم المُلك، ... ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

ألا، فلمّا ثبت وفور أخلاصك بمحضرتنا العالي، ومزيد اختصاصك بخدمتنا المتعالي، وأطّلعنا على حسن سلوكك مع المترددين من الأداني والأعالي، سيّما المُحرمين إلى طوف بيت الله الحرام، والزائرين قبر النبي عليه السلام، تشيّد أركان المحبة السابقة، وقوى بنيان المودة السابقة، صدر فرماننا،[2] المطاع، وحكمنا اللازم الإتباع، على جميع الأطراف والأكناف من ديارنا، والمستظلين تحت ظلال اختيارنا، ممن قصد أن يطوف بالبيت العتيق، بأن يأتوكم على الطريق، ولارتفاع الأمنية والأمان، بعد ارتحال الخاقان،[3] عليه شآبيب الغفران، إلى هذا الأوان، لإفساد المفسدين من أهل الطغيان، ما

---

١ . في هذه الفترة كانت هناك محاولات عديدة من قبل الدولة الصفوية لفرض نفوذها على مدينة البصرة لما تشكله من أهمية اقتصادية وسياسية في المنطقة، وهي في معظم الأوقات كانت خاضعه لسيطرة الدولة العثمانية وولاتها، إضافة إلي ما كان فيها من مقاومة داخلية من قبل الأهالي من رفض لذي عدوان خارجي، ولعل هذا الكلام إشارة لما كانت تعيشه مدينة البصرة العراقية من تقلبات سياسية عديدة.

٢ . فرمان: لفظ فارسي معناه أمر أو حكم أو دستور موقع من السلطان. والفرمان العثماني هو قانون بأمر من السلطان العثماني نفسه و ممهور بتوقيعه وهو نافذ من دون رجعة عنه. وكانت تدعى الأمور العالية للخديوي في مصر بالفرمان أيضاً. راجع: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ١٦٤.

٣ . خاقان: لقب لكل ملك من ملوك الترك والتتار، ويختصر اللقب إلى خان أوقان. راجع: المصطلحات المتداولة في الدولة العثماية، مصدر سابق: ٣٧٢.

قـدروا النـاس عـلى الحجّ والزيـارة، وانقطع بـاب المعاملة والتجـارة، والحـال بعون الملك المعـين، قبضنـا الممالـك مـن يـد المخالفـين، وقطعنا أيـادي سـلطنتهم من النـاس أجمعين، فتكثّـروا الحجـاج والمعتمرين، وازدادوا التجـار والمترددين مـن العباد، لأنه يورث عمران البـلاد، وسـبباً لاشـتهارك بالسـداد، فأرضِهـم ما كانـوا في أرضـك، وداريهم مـا داموا في دارك، سـيّما حامـل كتابنـا المـيرزا محمـد. إيـاك والتعديـة الفاقرة، لمـا فيه من خـزي الدُّنيا وعـذاب الآخـرة، وبـه الكفايـة، وحُرر ذلـك في ثاني شـهر رمضان سـنة ١١٩٤هـ.

الرسـالة الحادية عـشرة: مـن: المـيرزا محمـد الحسـيني أمـير العسـاكر الإيرانيـين في البـصرة. المنشيء: العـالم السـيد محمد علي بن محمد حسـين الموسـوي الجزائـري الغروي. إلـى: الشـيخ سـعدون بـن عريعر بـن دجين مـن بنـي خالـد، حاكم الأحسـاء.

المحتـوى: التوصيـة بالأمـير أحمد سـلطان ـ من أمـراء خراسـان و مرافقيه الذيـن أمّوا البيـت الحرام ـ بالخدمة إليهم، واسـترضاء خاطرهـم في ذهابهم وإيابهـم. التاريخ: جمادى الأولـى سـنة ١١٩٥هــ. المصـدر: المخطـوط المرقـم ١٦٧٦ في المكتبـة الوطنيـة بطهـران :٢٦٤ـ٢٦٦.

نصّ الرسالة:

جـرى حكمنـا العـالي، عـلى خلاصـة الأعاظـم والإطيـاب، وسـلالة الأماجـد والأنجـاب، قـرّة أعـين المجـد والإكـرام، وغـرة ناصية الغـزّ والاحـترام، من أسـعده الله بـين الأنـام، بدلالة المُحرمـين والقاصدين إلى طواف بيـت الله الحرام، وزيارة سـيّد البررة الكـرام، عليـه آلاف الصـلاة والسـلام، شـيخ المشـايخ العظـام، وعـن الأعـالي الفخام، الشيخ سـعدون.

بعـد الوثـوق بـالله والاتـكال عـلى الله، لا يخفـى عليك، أسـبغ الله نعـماءهُ لديـك، بإن حامـل كتابنـا هذا عمدة الأعاظـم والأعيان، وزبـدة الأماثل والأفران من أهل خراسـان، أمـير أحمـد سـلطان، معـه طائفة من مُحرمـي طـواف الحـرم، وقاصـدي زيارة سـيّد الأمم،

قد أتانا راجياً من جنابنا رخصة الوفود على ديارك، والعبور عن مصدر اختيارك، واستدعى من جنابنا تحرير كتاب المحبة إليك، وتكليف بذل المجهود عليك، بإبلاغهم إلى مدارج آمالهم، وطف همّتك على إيصالهم، بأقصى مراتب مقصودهم ومرامهم، وأعلى معارج مأمولهم ومهامّهم، فرخّصناهم مُنجحين من بابنا، وابعثناهم إلى دياركم عن أعتابنا، وطيّبنا خواطرهم من كلّ باب. بمعاونتك عليهم بعد الورود بتلك الأصواب، فينبغي لك أن تُرضيهم ما كانوا في أرضك، وتُداريهم ما داموا في ديارك وأرضك، و تبذل المجهود بمسيرهم، ووصولهم إلى ذلك البلد الأمين سالمين آمنين ... بعون الله القادر العلّام، وبه الكفاية.

وحرِّر في جمادى الأولى سنة ١١٩٥هـ ...

* * *

ملخّصات البحوث
بالانجليزية

Abstracts

" Hajj through Al-Ahsa (4)

By: Mohammad Ali Alherz

Abstract:

I always had the idea of addressing the issue of Al-Ahsa pilgrimage from a historical point of view; describing a rich connection between Ahsa and Hijaz which is one the most significant routes to perform Hajj. There are also many hardships and obstacles for Al-Ahsa pilgrims which share the common ground alongside other Hajj pilgrims who journey from other regions toward Mecca. It is an important research as many experts of the history of Hajj and its routes are negligent about such hardships and there are few writings with regards to such routes. Therefore, many authors just talk about well-known routes like Syrian, Iraqi, Egyptian, Yemeni, Jordanian and other ones without analyzing this threshold since it is a rugged way that is unclear spot.

Well-known figures from Mecca and Medina: Aqil Ibn Abu-Talib. (2)

By: Mohammad. Sollaman.

Abstract:

We are still with Aqil bin Abi Talib in the second and last episode of his life, and in the beginning I would say:

He was descended from a great personality, master of the tribe and the greatest leader of Quraish. He grew up and lived in the house of such a father therefore, he received all the public fame regarding wisdom, delicacy, and courage. Almost all the people recognize such an extended family by these attributes; therefore, Aqil and his brothers had a priority to live, implement, embody and exercise those characters within their lifestyle. Why should not they be like this, when Holy Prophet indicated the following remarks about Abu-Talib: "If all people were descended from Abu-Talib, they would be all courage and brave." So it is not a good and sound idea to say that Aqil did not have significant participation in the early Muslim society nor during the caliphate of Imam Ali (A.S)! Some other accusations like Aqil was suffering from an illness or blindness, or to say that Imam Ali exempted him from his duties, therefore did not fear him or saying that he did not accept his priority, are all rejected by another set of narrations which believe his presence in the society. I think the second idea is preferable due to his dynasty with noble characters and his essential love for the prophet and his brother Ali (A.S) as the bearer of the truth and reality.

Miqat Al-Hajj | Month of Rajjab, 1444 | Year 30, No 59

A treatise about the duties of Hajj and Umrah

By: Hadi. Alaqobaissi.

Abstract:

A brief and inclusive treatise that includes all the obligatory and most of the recommended acts in an easy way, and it is classified for the public Muslims so that they can refer to it without difficulty. All the intentions of pilgrimage are mentioned in the text, which it appears that he benefited the Second Martyr (Shahid Al-Thani).

As for the chain of transmission, we could not identify its author or writer, nor the date of its writing, except for what we found of some evidence indicating that it dates back to the end of the tenth or early eleventh century AH, whether in terms of the type of paper, ink, and calligraphy, and that he transmitted the words of some Scholars whom we did not come across anyone except the Second Martyr!

(2)"And Show Us our rituals"

By: Mohsen. Alassadi.

Abstract:

we try to explain some of the Quranic verses in which the concept of "Nusk" which means ritual and its derivations have been indicated. hereby, we also want to shed light on the relevance exist between this concept of Hajj and Umrah in respect to ritual, conceptual, historical and principal aspects. then we are going to discuss the rituals included in Hajj if we do not say the Hajj is just ritualistic.

Two issues about Hajj Jurisprudence:

.By: Ali. Faazel. Assadadi

Abstract:

1) The legitimate duty of a Muslim with diarrhea during circumambulation;

One of the main conditions during obligatory circumambulation is ritual cleanliness from any impurity. But about a person suffering from diarrhea it is sufficient to have a certain extension of purity as it is the same case with frequent urination.

2) Ruling of impurity occurred during the obligatory circumambulation;

There is a complete agreement on the necessity of purity during the obligatory circumambulation. There is a quotation by Mohammad Ibn Muslim which says: I asked one of the two Imams about a man who began to circle around Ka'ba while he was impure! He replied: should he make an ablution and repeat it again.

In His name

Miqat[1] Ul-Hajj

Month of Rajjab, 1444

Year: 30, No: 59

Type: semi-annual

Scientific journal of cultural, historical, political, and social affairs in Hajj

ISSN: 2538-1733

1. A sacred boundary near Mecca which is almost the beginning of rituals.